كلمات

الليل نغني ، لا للنهار . نحن ، أهل الشرق ، يهزنا الغناء لليل . ما أن تصدح حنجرة ملوجعة أسيانة بـ « ياليل » حتى يتمايل بنا الطرب الحزين كل جهة . ثم نهتف دونما إرادة ربما : الله !؟ . شيء في أعماقنا غامض يشدنا الى الليل . شيء جميل عذب حنون يمد خيطا طويلا من الشجى بين أعماقنا وبين هذا المدى المبهم الذي اسمه الليل . على خيط الشجى هذا تمر أغانينا منذ القديم القديم . ولقد توارثنا ، نحن الأجيال الجديدة ، هذا العبور . مثلما انتقلت إلينا وراثة النواح ، انتقلت وراثة الليل . وكما ، في كل إرث ، يكون القبول ، هكذا قبلنا في قلقنا إيقاع الليل الرتيب .

ARCHIVE

أما النهار فلا يغنيه أحد .

ذلك أن حياتنا لم تخرج ، بعد ، الى الشمس .

نحن ، في الشرق ، ليليون . وكل ليلي هو قمري بالضرورة . القمر سيد صوتنا ، وليست الشمس . علقنا أيضا في القمر . وفي القمر أسرارنا ودموعنا وصلواتنا . هل لأن القمر غامض ، والشمس فاضحة ؟! ربما ! لذلك ، أيضا ، نلوذ بالظل . الظلال تستر . ونحن في حياتنا ، في كل شيء من حياتنا ، نعتصم بالستر . ربما لأننا نتناول حياتنا في الخفاء .

ربما لأننا نخشى بساطة الشمس .

فلنجرب الغناء في الشمس .

كيف نكتب قصيدة النهار ؟!

ذلك اليوناني اهتدى الى جواب جميل :((إنتها الشمس! أيتها القلنسوة الشرقية على رأسي ! يطيب لي أن أرتديك مائلة .)) . لم يجيء ، هذا الجواب ، من الليل . . . بل من الشمس ذاتها . ذلك أنه في مملكة الشمس كان يعشق . منغمرا بذهب الشمس ، وبهجرها ، كان يعيش . متمسكا معها في الأشياء كان يعيش . سواء ، بعد ذلك ، أن يرتديها مائلة ، أو عمودية .

كازانتزاكي كتب قصيدة النهار . وكتبها تحت عين الشمس ، أحب الحياة في عريها الرائع ، في توهج دفئها . . . حيث جسد الشاعر [illegible] البديع .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أن تكتب قصيدة النهار ليس [illegible]

الصعب هو أن تعيش النهار لتكتب قصيدته . وقليل بين شعرائنا من يعيش النهار . يقولون : هاتوا فرحا ، وخذوا شعرا من اشراق ! الفرح لايأتي من خارج . كما الإشراق من القلب ينبع ، هكذا الفرح . في القلب حزن ! هذا صحيح ! إنما القلب ليس وطنا للحزن وحده . على ما فيها من قتامة ، لاتخلو الحياة من شرفات الضوء . هذه الشرفات هي مطلات الشعر .

وإلا فإن الشعر لايفعل سوى أن يزيد من تعاسة البشر . وليست هذه وظيفة الشعر .

رئيس التحرير

دراسات في التربية

محور

تطوير الدراسات العليا والبحث العلمي

في الوطن العربي

د. صالحة سنقر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دور التربية في التنمية الاجتماعية

د. عمر محمد التومي الشيباني

جماهيرية الحركة التعليمية

في جامعات العالم الثالث

د. محمد رؤوف حامد

المعاناة اليومية للعقل العربي

د. فتح الله الشيخ

د. محمد رؤوف حامد

تطوير الدراسات العليا والبحث العلمي في الوطن العربي

د. صالحة سنقر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يعد العلم احد العناصر الاساسية في الخلاص من التخلف ، واليوم تتعالى أصوات المنادين بالبحث العلمي بغية حل مشاكلنا ذاتيا ذلك ان عصرنا الحاضر يشهد اهتماما ملحوظا بالبحث العلمي عبر عنه (ج . ج مونلي) بقوله : « يبدو أن الوقت قد حان كي نخلص انفسنا من تصوراتنا التجريبية الضيقة للبحث وأن نستخدم جميع اساليب البحث المتوفرة لدراسة الظواهر » وقد أدركت البلدان المتقدمة اهمية البحث العلمي الكبرى في دفع عجلة التطور وفي تدعيم كيانها واعلاء شأنها فأولته الاهمية التي يستحق تخطيطا وتنفيذا ومتابعة .

واذا كان للجامعات وغيرها من مؤسسات التعليم العالي مهمةتعليمية قوامها تحضير الملاكات اللازمة للبلاد من الاختصاصيين في مختلف الحقول، فان مهمتها في البحث العلمي لا تقل اهمية عن مهمتها التعليمية ، فعلى الجامعات ان تسعى الى التقدم في مجالات العلم والتقنية والفكر والفن وتحرص على اعداد المختصين في مختلف فروع العلم والانتاج والخدمات والنهوض والمشاركة في البحوث العلمية وتطوير وسائل البحث والتعليم واساليبهما .

والحق ان الجامعة لا يمكن ان تستحق هذا الاسم الا اذا قامت بدورها التوجيهي في جميع القضايا المتعلقة بالبحث العلمي وقصدت لمشكلات المجتمع من حولها على اسس علمية تضمن النجاح وحسن التنفيذ والاقتصاد في النفقات .

ولو استعرضنا تاريخ البحث العلمي في جميع دول العالم للاحظنا امرين اساسيين : أولهما انه نشأ أصلاً في المؤسسات الجامعية بحكم طبيعتها ورسالتها التي تعنى بالبحوث العلمية الاساسية والتطبيقية وقدرتها على خلق الروح التعاونية بين الباحثين في الميادين المختلفة والتصدي للمشكلات التي ظهرت نتيجة الثورة العلمية والتكنولوجية باسلوب علمي شامل يتجاوز الحدود الفاصلة بين التخصصات العلمية .

وثانيهما : ان البحث العلمي لم يعد ترفا تمارسه بعض الامم المتقدمة وتحتكره بعض المجتمعات الناهضة بل اصبح واجبا يتحتم على كل جامعة ان تنهض به ، وضرورة تحتاجها البلاد النامية كما تحتاجها البلاد المتقدمة في سبيل الوصول الى الحلول الصحيحة للمشكلات العديدة .

ونظرا لان العلوم والمعارف بدات تتكدس متسارعة بعد الحرب العالمية الثانية بحيث اصبح من المتعذر على الطالب في مرحلة الاجازة ان يلم باكثر من المبادىء الاولية وان يتعرف على اكثر من اساسيات العلوم التي

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

بدرسها ، كان لابد للجامعة حرصا على تطوير البحث العلمي فيها من ان تركز اهتمامها على الدراسات العليا التي توفر الاطر اللازمة للمجتمع من جهة ، والقادرة على القيام بالابحاث العلمية اللازمة من جهة اخرى، لدرجة جعل بعض المقومين للجامعات يحددون سمعتها بمستوى الدراسات العليا المحققة فيها .

واذا كانت التهيئة لقيام بحث علمي تتطلب شجاعة ، وصبرا ، ووعيا وخبرة وحزما وتعاونا وثيقا بين مؤسسات الدولة جميعها واحساسا بالمسؤولية وتحملا لها من قبل رجال العلم والاختصاص ، فان ولادة البحث في الوطن العربي هدف رفيع سام ينبغي ان تقدم له التضحيات وان تحمل في سبيله الصعوبات وان تعد له العدة وان تتخذ كل التدابير اللازم اتخاذها لانجاح هذه العملية اذا اردنا للبحث العلمي ان يصبح حقيقة واقعة وان ينجح النجاح اللازم .

وقد بدأت الاقطار العربية تعطيه اهتمامها اللائق حين كان العربي فضل السبق في ميدان البحث وخوض غماره ، فبدأت تهتم بالبحث العلمي عامة بتطوير الدراسات العليا في جامعاتها بخاصة في سبيل اللحاق بركب الحضارة والتقدم .

الدراسات العليا والبحث العلمي :

اعطيت الجامعة في عصر ثورة العلم والتكنولوجيا الذي تطلب اهتماما متزايدا بالعلوم الاساسية مهمة جديدة في العناية بتلك العلوم ، فقد دلت التجربة على ان ميادين المعرفة الجديدة ارتكزت الى العلوم الاساسية وتطورت نتيجة عمل المتخصصين الجامعيين بها ، مما فرض ضرورة تعليمها وتدريب المتخصصين في جميع المجالات ضمن اروقة الجامعة عامة وفي الدراسات العليا بخاصة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ونعني بمصطلح الدراسات العليا مرحلة الدراسات التي تلي المرحلة الجامعية الاولى « الاجازة » التي يتابع الطلاب فيها دراستهم بهدف الحصول على درجة الماجستير ، والدكتوراه او ما يعادلها .

وتعتمد معظم نظم الدراسات العليا في الوطن العربي المراحل الثلاث التالية :

ــ دبلوم الدراسات العليا : وهي مرحلة دراسية تمتد لسنة على الاقل ، ولسنتين على الاكثر ، يتلقى فيها الطالب محاضرات تزيد من اطلاعه على وسائل البحث العلمي واستخدامها وتعمق معلوماته في بعض الموضوعات .

ــ الماجستير : وهي مرحلة دراسية لا تقل مدتها عن سنة تلي الدبلوم ويقوم الطالب باعداد بحث باشراف استاذ جامعي .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

ــ الدكتوراه : وهي مرحلة لا تقل مدتها عن سنتين وفيها يتفرغ الطالب للقيام ببحث علمي مبتكر ؛ وقد عمدت الانظمة الجامعية في بعض دول العالم الى تحديد **الاهداف** التي تتوخاها في مرحلة الدراسات العليا ونعرض فيما يلي اهمها :

١ ــ تفهم البحث العلمي والمشاركة فيه .

٢ ــ تنمية قدرات المتخصصين وتجديد معارفهم والتعمق بالمعلومات لهم يتناسب والحاجات الراهنة .

٣ ــ تكوين الخبرات وتعزيز قيم المبادرة والابتكار واتاحة الفرص للبحث والتجريب .

٤ ــ خلق روح التعاون والعمل الجماعي بين الطلبة الباحثين .

٥ ــ الاهتمام بالعلوم الاساسية التي هي الركيزة الاولى لجميع ميادين المعرفة .

٦ ـ تدريب طلاب الدراسات العليا على البحث المنهجي .

٧ ـ التصدي للمشكلات التي ظهرت نتيجة الثورة العلمية والتكنولوجية باسلوب علمي شامل والقيام بدراسات تطبيقية تهدف الى ربط الجامعة بالمجتمع .

٨ ـ تحقيق الكفاية اللازمة من الاطر البشرية ذاتيا من طلبة الدراسات العليا الذين يمكن أن يعملوا في ميدان التعليم الجامعي أو في البحث العلمي .

٩ـ توفير قيادات فنية مؤهلة خلقيا ووطنيا وعلميا قادرة على انجاح خطط التنمية .

ومما لاشك فيه ان تحقيق تلك الاهداف رهن بمدى توفر المقومات الاساسية اللازمة لمرحلة الدراسات العليا والتي هي :

ـ اعتماد خطة محددة الاهداف .
ـ توفير الاطر البشرية اللازمة « طلابا واساتذة » .
ـ توفير الامكانات المادية والاجهزة والمعدات العلمية
ـ تأمين الاعلام العلمي .

وسنتناول فيما يلي كل من هذه المقومات بشيء من الشرح والتفصيل :

اولا ـ التخطيط للدراسات العليا :

يتطلب تحقيق الاهداف وضع خطة محددة الاهداف مبرمجة على نحو دقيق ، تحدد بصورة مسبقة مشروعات البحوث والبرامج التنفيذية التي تتضمن تحديد العناصر البشرية والوسائل المادية اللازمة لذلك .

وبقدر ما يستطيع المخططون في التعليم العالي تحديد المراحل الرئيسية والفرعية ، على نحو اجرائي سلوكي والابتعاد عن التعميم(١) بقدر ما يحققون

(١) اذا كان التعميم والتجربة بداية العمل ، فالتوجيه الفاشل هو النهاية الحتمية له .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التكامل بين رأس المال المادي وراس المال البشري ، والتفاعل المنتج بين التنمية الاقتصادية والاجتماعية والتنمية التربوية .

ونحن في الوطن العربي احوج ما نكون الى التخطيط للدراسات العليا وتوجيهها بالتفكير العلمي والتخلي عن الارتجال والعفوية والنظرة الآنية والتحول عوضا عن ذلك الى الاسلوب العلمي والنظرة المستقبلية على المدى القصير والطويل ، وزيادة القدرة على توجيه الدراسات العليا وتطويرها لحساب ادق ، وشمول أكثر ، وكفاءة اعظم ، وسرعة أكبر في الاتجاهات المطلوبة .

ولن يتم لنا هذا دون خطة عقلانية تضع في حسابها ، بقدر ما تسمح به الرؤية ، بالظروف والامكانات القائمة والمتوقعة ، وما يطرأ أو ينتظر أن يطرأ على التعليم العالي عامة والدراسات العليا بخاصة وعلى المجتمع من تغيرات وبمقتضاها يتم تحسين واقع الدراسات العليا وتطويرها بما يتناسب الاهداف والمرامي المنشودة .

ARCHIVE http://archive.sakhrit.com

ووجود مثل هذه الخطة رهن بتوفر العناصر البشرية القادرة على التخطيط للدراسات العليا وعلى الاشراف على البحوث والدراسات فيها وعلى التنسيق بين اللجان المتخصصة في وضع الخطط السنوية والقصيرة المدى ومتابعتها والمزودة بقدرات ومهارات تمكنها من ترجمة الابعاد الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الى أبعاد تربوية تعليمية ، وحساب القوى والمؤثرات التي تعمل عملها في الدراسات العليا بأبعادها المختلفة وفهم ديناميات الجماعة وطبيعة الدراسات العليا نفسها وتحليل انشطة العمل فيها وحساب ما يتصل بذلك من زمن وعمالة وكلفة .

وغني عن البيان ان تخطيط البحث في الدراسات العليا تخطيطا دقيقا على أساس من الحاجات والامكانات يتطلب :

ـ دراسة كافية لخطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية ولاسيما في بلداننا النامية ليتم التنسيق بين البحث العلمي وخطط التنمية وجمع البيانات المتوفرة عن واقع الدراسات العليا والمشكلات التي تواجهها ، وحاجات الطلاب للباحثين في ضوء الاهداف المحددة وبما يتناسب وقدراتهم ورغباتهم وقابلياتهم ومواهبهم والفروق الفردية فيما بينهم .

ـ تحديد مسبق للابحاث والانشطة اللازمة للبحث والتي تدخل في نطاق التعليم العالي والجامعة وماذا يترك للمؤسسات والوزارات الاخرى في المجتمع ، وكيفية التنسيق بين الجامعة وتلك المؤسسات ، ولابد ان تشمل خطة الدراسات العليا في صلبها وسائل تنفيذها ، فالبرمجة تدخل في صلب التخطيط منذ البداية .

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

وفي هذه المرحلة لابد من الاطلاع على تجارب البلاد المتقدمة في مجالات التنسيق بين الجامعة والمؤسسات الاخرى وسبل تحسين فعالية الدراسات العليا وتأمين مستلزماتها بما يفيد تطوير البحث العلمي وتطويع نتائج تجاربهم للظروف والامكانات المتوافرة وهذا يتطلب تضافر جهود الهيئات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وتعاونها مع المعنيين بشؤون التعليم العالي وتحقيق استقرار علمي لواقع الدراسات العليا وترجمة اسسها الاجتماعية الى اهداف تعليمية . واذا كان واقع الدراسات العليا في الوطن العربي يشكو من قصور ، فمرد ذلك الى اسباب كثيرة يأتي في مقدمتها :

ـ عدم وجود لجان متخصصة بالبحوث والدراسات في التعليم العالي يمكنها وضع خطط سنوية للابحاث والدراسات التي يمكن ان يقوم بها طلاب الدراسات العليا ، وذلك في ضوء امكانيات الكليات واقسامها ، وفي ضوء حاجات مؤسسات الدولة ومتطلباتها ، مما ادى الى تناسي اهمية البحث العلمي ودور الدراسات العليا فيه وعدم اعارته الاهتمام الذي يستحق في كثير من الاحيان .

– عدم التنسيق بين الاجهزة التي تخطط للدراسات العليا على المستويين القطري والقومي وعلى المستويين النظري والتطبيقي ، وما لم يتم ايجاد تنظيم يرعى البحث العلمي ، وينسق بين الاجهزة المهتمة به من جامعات ومراكز للبحث في كل قطر ، وتحقيق تنسيق قومي بين مراكز الابحاث في الاقطار العربية(١) ، وتعميق الصلات بين مراكز الابحاث المختلفة وبين اجهزة التنفيذ في مجالات الانتاج والخدمات بحيث تعتمد مؤسسات الدولة وهيئاتها على الجامعات لتحصل على الرأي العلمي الصحيح ، فان البحث العلمي سيبقى في حدوده الضيقة من حيث التجريب والشمول ، ولن يحقق دوره في تأمين متطلبات التنمية وحل مشكلات الوطن العربي .

وحرصا من الجامعات على تحقيق طلاب الدراسات العليا لاهداف هذه المرحلة ، فقد اكدت ضرورة اشراف الاساتذة الجامعيين عليهم واهمية متابعتهم لهم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ونلحظ اختلافا بين بلد وآخر في نوع الاشراف الذي يتلقاه طالب الدراسات العليا ، ففي حين يكون الاشراف في الدول الاشتراكية على طالب الدراسات العليا كاملا في جميع مراحل دراسته ، نجد ان الجامعات في فرنسا والدول اللاتينية عامة تترك للدارس حرية العمل وتقصر دور المشرف على اسداء النصح والرد على التساؤلات فقط .

وتتخذ انظمة اخرى كما هو الحال في جامعات الدول الانكلوسكسونية اسلوبا وسطا بين الطرفين حيث يكون الاشراف على الطالب كاملا في المراحل الاولى وحتى حصوله على درجة الماجستير ، لتترك له الحرية بعد ذلك .

---

(١) يدعو العاملون بالبحث العلمي الى انشاء مركز قومي للبحوث وهذا يتطلب اجراء مسح شامل للبحث العلمي وممارساته في الاقطار العربية ، وتوفر اشخاص ذوي كفايات عالية ، متمرسين في البحث العلمي في جميع فروعه وميادينه ، وتأمين الميزانية المناسبة من حيث الرواتب والتعويضات للعاملين فيه .

ثانيا : الاطر البشرية العاملة في مجال الدراسات العليا :

يتركز محور العملية في الدراسات العليا على الاطر البشرية ، طلابا واساتذة ، واذا اردنا الاهتمام بالبحث العلمي والتوسع به كان علينا ان نبحث عن هؤلاء ونعدهم ونؤهلهم قبل التصدي للقيام بالبحوث لان البحث يتعثر او يوصل الى نتائج خاطئة عندما يسند الى فئات غير مؤهلة للقيام به ، فتطوير واقع الدراسات العليا يقوم على معرفة خصائص كل فرد منهم وامكاناته وقدراته لان كل فرد يختلف عن الاخرين في مستوى قدراته وامكاناته ودرجة متابعته ، وفي المعوقات التي يواجهها(١) وهذا يتطلب منا معرفة دقيقة بواقع كل من الطلاب الباحثين والاساتذة المشرفين ، الا اننا فيما يلي سنعرض لابرز النقاط التي نتلمسها لدى طلاب الدراسات العليا ومن ثم لدى الاساتذة الجامعيين المشرفين عليهم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أ ـ طلاب الدراسات العليا :

وهم الطلاب الذين انهوا مرحلة الاجازة في التعليم الجامعي كما بينا . والمبيؤن للقيام بأبحاث علمية باشراف اساتذة جامعيين متخصصين .

ويتوقف نجاح الطلاب في هذه المرحلة :

آ ـ على مدى نجاح المراحل السابقة لها في اداء مهماتها من حيث تزويدهم بالمعارف والمهارات والاتجاهات والقيم اللازمة للمتابعة والبحث . ونظرة موضوعية الى ما تقوم به المراحل السابقة لاعداد الطالب الجامعي تؤكد لنا ضرورة النظر في المناهج والطرائق والوسائل التعليمية وامتحانات

---

(١) يرى نيجتز (أن الاف المربين لم يدركوا أن الصعوبات التعليمية شخصية فردية كالمرض الجسمي تماما وان كل فرد يحتاج الى علاج خاص بحسب الصعوبات التي يعاني منها .

في مرحلة التعليم قبل الجامعي وفي مرحلة الاجازة من التعليم الجامعي والتي عجزت عن استثارة المتعلم واحداث تغيير في سلوكه في الاتجاه المرغوب بحيث تصبح تلك المناهج اكثر شبها بالحياة تأخذ المستقبل بحسبانها وتلبي الحاجات الراهنة وتستخدم طريقة البحث والتحري والحوار في معالجة المشكلات والاهتمام بالامور العملية وتعمل على تحقيق التكامل والتنسيق بين خبرات الطالب المتنوعة ، ليتمكن من تمثل التفاعلات العميقة والدائمة بين العلوم وادراك ديناميتها وتطورها . ذلك ان المناهج التعليمية في الوطن العربي مازالت تعاني من :

ـ عدم ملاءمة محتوى الدراسة لواقع الحياة ومشكلاتها ، وعدم الاستجابة لاهداف المجتمع والتغيرات الحاصلة فيه وضعف الربط بين الجانب النظري والجانب التطبيقي ، اي بين العلم والعمل ، مما انتج لنا افرادا قلما يقدرون على تحمل المسؤولية والمتابعة والبحث .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولن يتم تحسين واقع الدراسات العليا دون القيام بدراسات شاملة لمناهج التعليم في مرحلة الاجازة الجامعية وما دونها وذلك في ضوء ظروف الوطن العربي وتطلعه الى مستقبل افضل وعلى ضوء ما يجري من تحديث التعليم في شتى البلدان المتطورة .

ب ـ على اسس قبول الطلاب الى الدراسات العليا :

ذهب بعض المربين الى انه يصعب تغيير واقع الدراسات العليا تغييرا حقيقيا ، ما لم تتغير اساليب القبول لها ، فاذا ما تبدلت طبيعة القبول وتطورت اشكاله واساليبه ونظمه ، فان الدراسات العليا لا بد ان تتغير تبعا لهذا التبدل ، وتجاوبا مع ذلك التطور . اي ان اسس القبول الصحيحة قد تكون المفتاح الرئيسي لتحسين الدراسات العليا وتطوير البحث العلمي .

وواقعنا الحالي يكشف اننا لانزال نقتصر على معيار واحد في قبول الطالب للدراسات العليا وهو حيازته على تقدير جيد على الاقل في معدل تخرجه بالاجازة الجامعية ، وقد نتساهل في هذا الشرط الوحيد غير الكافي احيانا مما ادى الى تدني مستوى الدراسات والابحاث التي يقوم بها امثال هؤلاء الطلاب(١) .

وما لم تستخدم الى جانب هذا الشرط التحصيلي اساليب اخرى كقياس الاتجاهات الشخصية والسلوكية والعلاقات الاجتماعية فنستعين بالروائز واختبارات الميول للكشف عن الاستعداد للبحث والمتابعة مع دراسة للبطاقات التتبعية والوقوف على اراء اعضاء الهيئة التدريسية التي اشرفت على الطالب في مرحلة الاجازة واختبار قدرة المرشح للدراسات العليا في لغته القومية وتمكنه منها ومعرفته الكافية للغة اجنبية حية، تلك القضية الاساسية للعلم بوجه عام وللبحث بوجه خاص ، والتي يسهل له العودة الى المراجع وقراءة مختلف الكتب العلمية فلن نتمكن من اختيار العناصر الافضل للدراسة وللبحث .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ج ـ نوع الدراسات التي يقومون بها :

يتطلب البحث روحا ابتكارية ، وذهنا متوقدا ، وفكرا نيرا واحساسا وتفانيا نحو العمل ولما كانت هذه الخصائص تتوفر في جيل الشباب اكثر من سواه من الاجيال الاخرى، كانت الجامعات بما تضم من طلاب الدراسات العليا فيها اكثر حيوية وقدرة مطردة على البحث مما جعل علماء التخطيط يتوجهون باهتمام خاص لتطوير الدراسات العليا ودعم الدور الذي

---

(١) عند قبول طلاب لم يحصلوا على تقدير جيد في الاجازة ، لابد من تزويدهم بمحاضرات ترمم النقص الحاصل في تحصيلهم العلمي .

تقوم به في تدعيم منهجية البحث العلمي وتنميته وتطويره(١) والبحث العلمي الذي يقوم به طلاب الدراسات العليا يفترض ان يكون بحثا نظاميا مضبوطا ، مجديا يوثق بنتائجه يختبر الطالب فيه فرضياته ويستبعد اراءه الشخصية ، ليبقي على الحقائق الموضوعية التي تتصف بالصحة والدقة يتعرف على المشكلة ويدرك الهدف من البحث ، وينطلق من استراتيجية واضحة ويستطيع في ضوئها ان يحدد مجال البحث وحدوده(٢) والافراد الذين يمكن لهم أن يساعدوه فيه ، وفي أية مرحلة وبأية طريقة وفي اي مجال ، يحفزه في هذا كله رغبته في انجاز دراسته والحصول على الدرجة العلمية التي يطمح اليها مما يجعلنا نثق بنتائجهم ونستفيد من دراساتهم في تطوير الواقع وتحقيق التنمية .

وقد نبهنا جون ديوي في كتابه « كيف نفكر » الى أن التفكير والبحث العلمي لاية مشكلة كانت تتطلب صيغة عامة تقوم على عرض مشكلة البحث بصيغة واضحة ومحددة تساعد على المعالجة وتوصل الى نتائج موثوق بها.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ــ وضع الفرضية وتجريبها ، وهذا يتطلب توفير الادوات اللازمة من اختبارات وطرق احصائية وادوات وتهيئة الظروف والاجهزة اللازمة

---

(١) اكد الاتحاد السوفيتي في مؤتمر ١٩٧٢ ضرورة الاهتمام الخاص بالجامعات ، وربط مراكز البحث العلمي ومؤسساته بها ، لان تلك المؤسسات والمراكز معرضة كالكائن الحي للانتقال من حالة النضج إلى حالة الشيخوخة ، في حين تحافظ الجامعات على شبابها وحيويتها لوجود طلاب الدراسات العليا فيها .

(٢) لابد للباحث من أن يأخذ بعين الاعتبار المجالات التالية عند تحديده للبحث :
- المجال الفلسفي أو دور الانسان فيه ، ومجال تعلمه ، وقيمه ، ومعارفه .... إلخ
- المجال الاجتماعي : ونوع المفاهيم والمبادىء التي لابد للباحث التربوي أن يلم بها .
- المجال التقني والادوات المستخدمة في البحث .
- المجال النفسي : وانواع الفعاليات التي تتجلى خلال البحث .
- المجال التقويمي : وتحديد الاطر اللازمة للتطوير .

لاجراء التجارب وما اختبار الفرضية الا بيان للعلاقة بين المتحولات التي تعبر عنهـا الفرضية .

وجميع ما سبق ذكره يحتاج من طالب الدراسات العليا الى مستوى عال من المعرفة العلمية والاطلاع الكافي والخبرة والمهارة النظرية منهـا والعملية الى جانب صفات يتحلى بها كل باحث كالموضوعية والدقةوالذكاء والقدرة على الابداع والتنظيم والمتابعة بداب الخ ...

ـ **تحديد الهدف** ؛ بناء على تحليل الاستراتيجية وبحسب مجـال **الدراسة** ، شريطة ان يكون الهدف اجرائيا قابلا للتحقيق .

ـ **تحديد** الزمن المطلوب وفريق العمل اللازم للبحث .

ـ تحديد مجالات البحث التي غالبا ما تكون متداخلة ومتعددة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والبحث العلمي الذي يقوم به طلاب الدراسات العليا اما ان يكون بحثـا اساسيا او بحثـا تطبيقيا او بحثـا ميدانيا او بحثـا مقارنـا

ويهدف البحث الاساسي الى التعمق في المعرفة العلمية ، وفتح مجالات جديدة للبحث دون النظر الى التطبيقات العملية . انه استثمار بعيد المدى يهدف الى تنمية قدرات الانسان العقلية والجسمية التي يرتكز عليها تقدم الجنس البشري ورفاهيته في نهاية المطاف ، ويشمل جميع البحـوث المحضة في العلوم الاساسية والتي تهدف الى التعلم وفهم القوانين العلمية الاساسية الى الدراسة الدقيقة لظاهرة طبيعية بغية ترسيخ نتائج هذه الظاهرة تقنيا ، او تحديد متطلبات تقنية ما ، في حدود المعرفة العلمية المتوفـرة .

اما البحث التطبيقي فيدفه التوصل الى المعرفة العلمية لاغـراض عملية تطبيقية ويتم على مرحلتين :

المرحلة الاولى :

وهي تصور تحليلي يشمل الدراسة المبدئية لنتائج فكرة ما .. بغية ايجاد طريقة تقنية جديدة او تحسين طريقة معينة لانتاج معين ويتطلب هذا : التفكير والتحقق تحليليا من ان الفكرة هي فكرة عملية وتحديد الفرض ووضع خطة مبرمجة لتنفيذ الفكرة .. واخيرا مواصفات التطبيق الناتج عن التنفيذ .

المرحلة الثانية :

بيان ميداني عملي ويشمل التحضير بواسطة التصميم والتطوير والفحوص والاختبارات التي تجرى على نموذج مختبري مما يجسد ويمكن من عرض ميداني وعملي للفكرة ..

وتشكل الابحاث التطبيقية في جميع الدول النامية نسبة كبيرة في مجموع البحوث العلمية ، وذلك لان نفعها ظاهر ويصل الباحث فيها الى نتائج اسرع مما هو الحال في الابحاث الاساسية ..

وقد سعت بعض الجامعات الى توجيه بحوثها الوجهة العملية انطلاقا من أن قيمة الابحاث العلمية الاساسية أو الاكاديمية هي بمدى الاستفادة منها على صعيد التطبيق والحياة الواقعية ولذلك فقد وجهت البحوث الزراعية مثلا نحو تحسين البذور والبحوث الطبية نحو دراسة الامراض المستوطنة ، والبحوث الكيميائية نحو تصنيع النفط والبحوث الانسانية نحو حل المشكلات الاجتماعية المحلية .. واعتمدت هذه البحوث جميعها على خلفية علمية من البحوث الاساسية تغذيها وتطورها وتدفعها الى الامام.

ويبقى الاتجاه الصحيح الذي يجب أن يتخذه طلاب الدراسات العليا، وهو تحقيق توازن بين ابحاثهم الاساسية وأبحاثهم التطبيقية ، بين الجانب

النظري والجانب العملي ، بحيث يستعين العملي بالنظري ، ويتغـذى النظري من العملي ، وتحديد العلاقة بينهما .

واذا قبلنا جدلا اقتصار طلاب الدراسات العليا على الابحاث التطبيقية فحسب ، فان من الضروري رفدهم بالنبع الفتي اي بالعلوم الاساسية .

واذا كان نجاح طالب الدراسات العليا في البحث العلمي وفاعليته في تحقيق تقدم علمي واجتماعي واقتصادي ... يتوقف الى حد كبير علـى التفاعل الوثيق بين البحث الاساسي والبحث التطبيقي ، فكل منهمـا ينشط الاخر . ذلك ان البحث الاساسي قد فتح افاقا جديدة امامالبحث التطبيقي ، في الوقت الذي وفر فيه البحث التطبيقي فرصا جديدةللبحث الاساسي ، وتناقصت حاليا الفروق بينالبحث الاساسي والبحث التطبيقي في الاساليب والطرائق في المدخل لمعالجة المشكلات .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

فجميع هذه البحوث تتطلب من الباحث التمهيد لها بدراسات عديدة وبحوث مرحلية سابقة منهاالبحوث الكشفية والبحوث الوصفية والبحوث التشخيصية والبحوث التقويمية .

كما تتطلب ان يأخذ الباحث بحسبانه جميـع العناصر الرئيسيـة والتغيرات الممكنة في البيئة والتي تؤثر على منحى البحث ومنهجه ، وعلى صحة النتائج وعلميتها .

واذا كان طلاب الدراسات العليا قد اثبتوا قدرتهم على البحث العلمي ، فان التوسع في الدراسات العليا وتقديم المساعدات المالية لطلبتها وضمان توظيفهم بعد تخرجهم في اعمال مناسبة ، يستفاد منها في تخصصهم تصبح من مستلزمات البحث العلمي .

واذا اردنا لطالب الدراسات العليا أن يعمل بنجاح في البحث التطبيقي والذي يكون في بعض الحالات واجبا عليه بغية الاستثمار السريع لميادين المعرفة المكتشفة حديثا ، فلا بد أن تحرص الانظمة الجامعية على التدرج في تطوير البحث التطبيقي ، فلا نتورط في التطبيقات العملية السريعة قبل ان نختار من البحوث ما هو اقرب الى طبيعة البحث الاساسي الموجه نحو حل المشكلات وبعدها يمكن لطلاب الدراسات العليا ان يقوموا بالدور المطلوب منهم .

د ـ متابعة طلاب الدراسات العليا وتقويمهم :

ان الاهتمام بطلاب الدراسات العليا ورعايتهم يساعد في تخريج اعداد كبيرة من الافراد العلميين الذين يمكن ان يبرز من بين جموعهم ما يساعد على تكوين هيئة علمية مؤهلة . ويأتي في مقدمة وسائل الرعاية والاهتمام تفرغ طلاب الدراسات العليا للبحث العلمي ، وعلى نحو كامل ، طوال فترة دراستهم ، وتوفير حرية العمل والحركة لديهم ، ومراعاة الفروق الفردية، وتشجيع الافكار المبدعة لدى النوابغ منهم والمؤهلين لحمل الاعباء العلمية والتكنولوجية التي ستلقى على عاتقهم ، ومنحهم المكافات المالية المناسبة واعتماد برامج تنظر الى العلوم كوحدة متكاملة يتكيء بعضها على البعض الاخر ، بحيث تكفل الاتصال المتبادل والتدريب بين الدراسات العليا في الجامعات والمؤسسات التطبيقية والاقتصادية التابعة للوزارات ، كما انها تربط بين الثقافات الاجنبية والثقافة الوطنية .

ويمكن لطلاب الدراسات العليا وفق هذه البرامج ان يقدموا وباشراف اساتذتهم ، الخبرة والمشورة للمؤسسات الاقتصادية والاجتماعية وان تعمد تلك المؤسسات الى رعايتهم وتشجيعهم على القيام بابحاث علمية يمكن ان يكون فيها او ما ينتج عنها ، او ما يتصل بها ، خير مادي او معنوي للتنمية بجميع ابعادها الاقتصادية والتكنولوجية والثقافية . .الخ

ونظرا للنقص الحاصل في الكفاءات العلمية في الوطن العربي ، واذا اردنا لطلاب الدراسات العليا القيام بدور ريادي في تنمية البحث وتغيير النظرة نحو دور الجامعات في البحث العلمي وتوطيد صلتها مع مراكز البحوث العلمية المتخصصة ، فان هذا يتطلب تجميع الطاقات القادرة على معالجة المشكلات ، وتجميع الاختصاصات المتعددة من اجل التعاون المشترك .

انه يتطلب انتظام الباحثين في الدراسات العليا في كيانات علمية جماعية ، ليعملوا كفريق متعاون ، يعرف كل طالب فيه دوره ومستلزمات بحثه ووسائل تنفيذ ذلك بما يتناسب والسياسة المرسومة والاستراتيجية الموضوعة لتطوير الدراسات العليا .

وقد أطلق تشارلس على فريق الباحثين اسم الكتلة الحاسمة لان انحرافهم عن طريق البحث الصحيح يؤدي الى تعطيل العملية كليا ، ولان عدم التعاون فيما بينهم يقلبهم الى ما أسماه (العربة الموسيقية) التي لا تحدث الا تغييرا جزئيا وعلى نحو بطيء مما يعيق تحقيق اهداف البحث بين رجال العلم ، فتعيق نموهم وتعطل كفاءتهم ، وانه ما لم تعتمد الجامعة اساليب فعالة للتفاعل بين الاساتذة الجامعيين والعلماء ، فتؤمن الظروف الكفيلة لتحقيق المشاركة على اختلاف انواعها من ندوات ومؤتمرات محلية واقليمية ودولية وزيارات اطلاعية الى مؤسسات البحث العلمي في البلدان المتقدمة . والتي تساعد على تبادل الخبرات واقامة الحوار مع العلماء والباحثين وتنفيذ برامج مشتركة ... فان الباحث يعاني من قصور في رؤياه وعجز عن اختيار المشكلة الاهم وحصر الرئيسة منها وتحديدها .
ولما كان طالب الدراسات العليا هو العنصر الحيوي في مجال البحث العلمي ، كان لا بد من تقويم علمي له وفق معايير موضوعية ، تكشف من خلال تطبيقها ما تحقق من اهداف الدراسات العليا والمعوقات التي وقفت

دون تحقيق بعضها الاخر ، فلا بد من وضع معايير محددة عادلة لتقويم ابحاث طلاب الدراسات العليا ، وحفزهم وابراز المكانة العلمية لكل منهم ، مع الحفاظ على العمل الجماعي فيما بينهم .

وبدون تقويم مستمر لفعالية طلاب الدراسات العليا في مجال معلوماتهم ومعارفهم ومهاراتهم واتجاهاتهم وقيمهم فلن نصل الى الصورة الصادقة والواقعية لطالب الدراسات العليا .

٢ ــ الاساتذة المشرفون على طلاب الدراسات العليا :

يقوم الاستاذ الجامعي بالاشراف على طلبة الدراسات العليا في مستوياتهم المتعددة وعمله هذا يتطلب منه القيام بأبحاث علمية ، تمكنه من التمرس في ميدان تخصصه ومن تطوير محتوى الموضوعات التي يحاضر بها ، ومن تحقيق فعالية أكبر في طريقة التدريس التي يستخدمها، اضافة لما يخلق في طلابه من روح البحث والتقصي والابتكار .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويمكن ان نقول ان مهام الاستاذ الجامعي تتلخص في قدرته على تجديد التعليم من جهة ، واغناء البحث العلمي من جهة اخرى ، ومن هنا نظرت السلطات الجامعية بعين الاهمية الى الاستاذ الجامعي واعطته المكانة التي يستحقها ، ووفرت له مستلزمات البحث ومتطلباته وخففت من اعبائه ، وحافظت على مستواه ، انطلاقا من ان نجاح البحث العلمي في الجامعة يتطلب وجود استاذ مشرف يأخذ بيد طلاب الدراسات العليا ويتحلى بـ :

ــ الفهم الكامل للنقاط الرئيسية للبحث ، والالمام بالنظريات المختلفة والاسس التي يقوم عليها ، وكيفية التخطيط والتصميم والتنفيذ .

ــ امتلاك المؤهلات الكفيلة بنقل البحث الاساسي الى مجال التطبيق والممارسة الفعلية ، والقدرة على المبادرة واثارة الفكر النقدي والفعال عند الطلاب .

ـ المهارة في التعامل مع الافراد والجماعات في المواقف التي تتطلب المواجهة والقدرة على تحديد الصعوبات التي يواجهها الطلاب واعتماد الحلول للتغلب عليها والقدرة على الربط بين ما هو قائم من اتجاهات وقيم ، وبين البحث الذي يتصدى له ، والقدرة على اختيار الوقت الانسب ، لنشر ما توصل اليه من ابحاث بطريقة حسنة ترضي الجميع ، وعلى وزن قيمة بعض القرارات التي يتخذها .

ولو القينا نظرة سريعة على واقع الاساتذة المشرفين على الدراسات العليا في الوطن العربي لتبين لنا ان الدراسات العليا :

تعاني من نقص عدد الاساتذة الجامعيين المشرفين ، مما يؤدي الى خلل واضح في الاشراف على الدراسات العليا ومتابعة الطلاب الباحثين . ولن يتوفر العدد المطلوب منهم الا اذا عمدت السلطات الجامعية الى اساليب متعددة في تأمين الحد الادنى من العلماء والخبراء القادرين على القيام بالابحاث العلمية والاشراف على طلاب الدراسات العليا ، من ذلك مثلا :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ الاستفادة من المتخصصين من خارج الجامعات للعمل فيها اذا توفرت فيهم المستويات العلمية والعملية .

ـ والاستفادة من الاساتذة الجامعيين السابقين في الاشراف على طلاب الدراسات العليا .

ـ الى جانب الاستعانة بأساتذة زائرين ممن يملكون خبرة علمية موثوقة ليسهموا في اشاعة الجو العلمي فيفيد طلاب الدراسات العليا واساتذتها من خبراتهم ، من خلال ما يقومون به من تنظيم لحلقات البحث اللازمة وما يتحلون به من اسلوب علمي في مناقشة موضوعاتها .

وتعاني من عدم قدرة بعض الاساتذة على الاشراف ومتابعة طلاب الدراسات العليا ، إما لنقص في اعدادهم في المجال التخصصي ، او في

المجال التأهيلي ، أو بسبب العزلة التي يعيشون بها وعدم مجاراتهم للجديد في مجال تخصصهم ، وما لم تتشدد الانظمة الجامعية في انتقاء الاستاذ الجامعي ، وتدقق في الشهادة التي يحملها ، وفي اللغة التي يتقنها ، فانها لن تجنب التعليم العالي عامة والدراسات العليا بخاصة ، الانتهازية في العلم والارتزاق به ؛ ولن تتمكن بالتالي من تطوير البحث العلمي في مرحلة الدراسات العليا .

وما لم توفر الانظمة الجامعية الفرص لاعضاء هيئة التدريس للمشاركة في المؤتمرات العالمية والاطلاع على احدث التطورات العلمية ، فتوفد من يستفيد حقيقة من تلك المؤتمرات ؛ ومن يملك القدرة على المساهمة فيها وتوفر لهم البعثات الدراسية والاطلاعية الى المراكز العالمية ، وتعمد الى تحضيرهم كباحثين وتاهيلهم كمشرفين على البحث العلمي ، وتستمر في تقويم انتاجهم استنادا الى معايير تقويمية موضوعية وتعزز اصحاب الابحاث العلمية الاصيلة التي تفيد منها الدولة في حل بعض مشكلاتها ، فان الابحاث على قلتها ستبقى دون المستوى الحقيقي البحث اسلوبا وابتكارا ، واصالة .

ولو دققنا في اسباب النقص الكمي والكيفي الحاصل في اعضاء الهيئة التدريسية لتبين لنا إن ذلك كله يعود الى وجود بعض القيود التي تتحكم في الاستاذ الجامعي وتؤثر الى حد كبير في عطائه (١) . وتلعب البيروقراطية دورا ملحوظا في ضعف انتاجية العلماء وقتل ابداعهم ، وما لم تتحرر الجامعات من تلك القيود فتعيد النظر في عمل الاجهزة الجامعية ، وفي الاسلوب الآلي للبحث ، وفي الصلاحيات الممنوحة الى الاقسام والمجالس المختلفة وتوفر للبحث العلمي جوا من الحرية والراحة النفسية ،

(١) بين ماسلو عالم النفس الامريكي ان كل انسان يتطلب الشعور بالطمأنينة والرضى عن الذات ، كما حدد الحاجات النفسية الرئيسية للانسان بـ (الامن – الحب – الانتماء – الاحترام –تقدير الذات) .

ARCHIVE

وتعتمد الوسائل والطرق التي تبعث روح الشعور بالمسؤولية في نفوس أساتذة الجامعية وتعطيهم المزيد من القدرة والمكانة ، وتشركهم في حل مشاكل المجتمع وفي اتخاذ القرارات المناسبة وتخفف العبء الملقى على عاتق اعضاء الهيئة التدريسية(٢) فتتيح الوقت اللازم لهم للبحث . وما لم تؤمن الاستقرار للعلماء وتحافظ على الكفايات العلمية العالمية وتمنع هجرتها الى الدول الاجنبية وذلك لتأمين متطلبات العيش الكريم على ارض الوطن ، فان النقص في اعداد اعضاء الاساتذة الجامعيين وفي اعدادهم وتأهيلهم سيترك اثارا سلبية على التعليم الجامعي عامة والدراسات العليا بخاصة ... ففاقد الشيء لا يعطيه .

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

ثالثا : الامكانات المادية والمعدات العلمية :

لا يجوز ان تقيد نشاة الدراسات العليا في الوطن العربي بقيد يعوقها وبرباط يشلها فان وجودها هدف رفيع ينبغي ان تقدم له التضحيات وان تحمل في سبيله الصعوبات ، فقد آن الاوان القيام بأبحاث علمية أساسية وتطبيقية وعلينا ان نبارك وجود الدراسات العليا وان نعد لها العدة اللازمة ونوفر لها المتطلبات الضرورية والتي من اهمها :

المال : الذي هو شرط أساسي وعنصر ضروري لتنمية العلم وقد عد كوبرز المال اهم المصادر المؤثرة في البحث والتطور ، ذلك ان البحث العلمي يتطلب القيام بدراسات ميدانية تحتاج الى مخصصات مادية كافية ما لم يتوفر المال اللازم والكافي ، فان كل تفكير في البحث العلمي بحث لا طائل تحته . فماينفق على البحث العلمي لا يعد هدرا بل استثمارا يزيد من الدخل القومي اضعافا مضاعفة اذ احسن التصرف به . ولا تزال الجامعات في الوطن العربي تعاني في هذا المجال مـن هنات يصعب تذليلها ، فاذا تأمن المال فقد يتطلب استيراد الاجهزة اللازمة فترة طويلة واذا تأمن الجهاز

فقد لا يتأمن المكان المناسب لوضعه أو الفنيون اللازمون لتشغيله واستخدامه وخاصة بالنسبة للاجهزة الحديثة المعقدة ، وقد يحتاج الباحث الى كتاب او مقالة نادرة او نشرة خاصة فلا تتوفر الوسائل السريعة للحصول عليها .

ولعل السبب الرئيسي في ان اكثر الابحاث العلمية في الوطن العربي لا تزال ابحاثا مسحية وضعية يعود الى عدم توفر مستلزمات البحث التجريبي .

وقد ادركت الدول المتقدمة علميا هذه الحقيقة فانفقت على البحوث العلمية نسبا متزايدة من اجمالي الناتج القومي وضاعفت الانفاق على البحث العلمي كل ثلاث سنوات تقريبا ، وقد تجاوزت هذه النسبة ٤ ٪ في بعض البلدان ، في حين ان ميزانيات الانفاق على البحث العلمي في البلاد العربية لا تكاد تذكر ولا وزن لها في ميزانية الانفاق الحكومي فلم تتجاوز (١ ٪ ــ ٣ ٪) وقلت عن ذلك احيانا واذا كان تأمين المال اللازم للبحث العلمي يتطلب جهودا كبيرة فان تخطيط الانفاق وترشيده وتخصيص البحوث الاكثر فائدة بالتمويل وفق سلم أولويات موضوعي على قدر كبير من الاهمية .

---

(٢) عمدت وزارة التعليم العالي في الجمهورية العربية السورية في لائحتها التنفيذية الصادرة عام ١٩٨٢ انقاص نصاب اعضاء هيئة التدريس الذين يشرفون على الدراسات العليا وسمحت بتفريغ الراغبين منهم الى العمل في البحث بدل التدريس .

(١) بلغت معدلات الانفاق على البحث الاجتماعي فقط في الولايات المتحدة الامريكية عام ١٩٦٤ وقدر ما صرف على البحث العلمي بجميع انواعه خلال ٦٦ ــ ٦٧ ــ ٦٨ ثلاثة ارباع ما صرف على البحث في تاريخ الولايات المتحدة وبلغت معدلات الانفاق عن البحث الاجتماعي في فرنسة عام ١٩٦٣ ــ ١٢٨ مليون فرنك وازداد في عام ١٩٧٠ بنسبة ٤٤٪ عما كان عليه .

واذا كان المال من أهم الوسائل والشروط لوجود بحث علمي فان تطوير واقع الدراسات العليا والبحث يستلزم تأمين متطلبات الباحثين جميعها المادية منها والمعنوية .

واذا كانت نسبة الانفاق على البحث العلمي في الوطن العربي ضعيفة الى حد كبير من انشاء صندوق لدعم البحث العلمي ، تشترك في تمويله القطاعات المستفيدة منه من وزارات وادارات وشركات (١) او مما يقدم له من مساعدات وتبرعات من قبل منظمات دولية وهيئات اجنبية صديقة او ما يخصص له من خبرات توضع له ، علما ان النظم المالية الخاصة التي تيسر سبل الافادة من اعتمادات الا يقل ما يخصص لمشروعات البحث العلمي في ميزانية الدولة عن نسبة ١ ٪ من الدخل القومي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاجهزة والمعدات العلمية :

يتطلب النهوض بالبحث العلمي في عالمنا المعاصر اجهزة متطورة ومختبر ومكتبات وسيلا متدفقا من المعلومات ، ولن يتحقق له النجاح المأمول الا اذا ارتكز على قاعدة قوية وعريضة من المعلومات العلمية والبيانات والاحصائيات الدقيقة والمتجددة باستمرار ، مما يؤمن تأمين المختابر الحديثة وتجهيزها وفقا لحاجات البحث العلمي كأن تجهز بجميع الوسائل التكنولوجية الحديثة والمساعدة في تحقيق اهداف البحث (٢) .

ومن أهم اجهزة المختبر الحديثة واكثرها فائدة للبحث العلمي الحاسب الالكتروني والذي يقدم للبحث خدمات متنوعة ، وفي مستوى عال من الدقة والسرعة والتنظيم ، اذ يمكن الحصول بواسطته على المعلومات اللازمة للبحث ، كما يمكن خزن المعلومات التي يتوصل اليها البحث فيه ، وكذلك يمكن استخدامه في ضبط متغيرات البحث ، ثم في حساب نتائجه ، ولهذه الوظيفة اهمية خاصة ، فكلما تعقد البحث وازداد

عدد متغيراته وكثرت الارقام وارتفع كمها ، اصبح الحاسب الالكتروني الة لا يستغنى عنها في معالجة تلك الارقام وتطبيق المعادلات المعقدة وحساب تفاعل المتغيرات ونتائجه ، أو غير ذلك من العمليات المعقدة التي يصعب أو يستحيل انجازها بدون هذا الجهاز ، مما يجعل لاستخدامه دوراً اساسيا في تطوير البحث العلمي التكنولوجي .

وطبيعي ان يتوفر في المخابر فنيون مشرفون على الاجهزة ويتولون صيانتها ويحضرون لطلاب الدراسات العليا ما يلزمهم من مواد واجهزة .

ربما كانت المكتبة ضرورية لطالب الدراسات العليا حتى يتمكن من الاطلاع على المعلومات ذات الصلة بالبحث ، وعلى الطرائق التي استخدمتها البحوث المشابهة وعلى الاتجاهات الجديدة في المجال الذي يرغب بالبحث فيه ؛ كان لا بد من تأمين **مكتبة لطلبة الدراسات العليا** وتنظيمها وفق الاسس واغنائها بمختلف الكتب والمراجع والدوريات والحوليات والمعاجم والاحصاءات الهامة والسلايدات واشرطة التسجيل وأجهزة الميكرو فيلم وتقوية جهازها بتهيئة المختصين القادرين على القيام بمثل هذه المهمة وتبسيط الروتين المتبع في الحصول عليها وطبيعي أن اغناء المكتبة ورفدها بمحتويات جيدة وتطويرها يتطلب قيام الاساتذة الجامعيين بالترجمات لابحاث الكتب التي تسد احتياجات الطلبة في المكتبة العربية من المراجع الاجنبية واصدار الكليات الجامعية للمجلات العلمية العربية للبحوث في ميادين التخصص المختلفة ، وتوجيه المصطلحات العالمية والفنية من خلال الجمعيات العلمية والاتحادات العربية والمجامع العلمية اللغوية ، والعمل على توفير العلومات والمعطيات والبيانات التي يتطلبها الباحثون

---

(١) يفيد نشر الاهتمام بالبحث العلمي في قطاعات المجتمع المختلفة وتطوير المناخ الاجتماعي ليصبح ملائما للنمو العلمي والتفاعل الخصب بين العلم والمجتمع ما يحقق له تأييدا ودعما ماليا .

(٢) يتوقع بعض المربين انه في عام (٢٠٠٠) ستقوم الوسائل التكنولوجية بتقديم نحو ٤٠٪ من التعليم .

من المؤسسات والهيئات في الدولة التي يسترشدوا بها بغية التصدى لمشكلات التنمية .

رابعا : الاعلام العلمي :

لا بد من نشر البحوث بعد الانتهاء منها لاعطاء فكرة واضحة كافية عن البحث وطرقه ووسائله ونتائجه ولا بد من وجود عدد من المجلات والدوريات والحوليات لنشر البحوث والتعريف بها ، وتوفير المناخ العلمي للدراسات العليا بتوفير وسائل النشر والاتصال .

ويتطلب هذا اجراءات كثيرة منها انشاء دار للطباعة والنشر ، مركز للمعلومات والمساهمة في شبكات التوثيق العلمي والتكنولوجي الدولية والاقليمية .

ARCHIVE

واخيرا ارى انه لا بد لدى اية معالجة موضوعية لقضية الدراسات العليا والبحث العلمي من التصدي لهذه المشاكل جميعها . صحيح ان ايجاد الحلول على قدر كبير من الصعوبة والتعقيد ، وانها تتطلب زمنا وشجاعة وتصميما ، الا ان وضع هذه الحلول امر لا مفر منه عاجلا او آجلا ، وان نبدا اليوم خير من ان نبدا غدا .

قيل ان ليوتي القائد الفرنسي قال مرة لبستانيه (اغرس شجرة غدا فقال البستاني انها لن تثمر قبل عشر سنوات) فقال ليوتي للبستاني (اذن اغرسها عصر هذا اليوم) .

ان حصر غلال البحوث العلمية ، وقطف ثمار الدراسات العليا يقتضينا ان لا يكون موعد التخطيط له غدا بل اليوم .

وما عرضنا ان هو الا خواطر استوحيناها من معاناتنا لمشاكل الدراسات العليا وآمل ان اكون قد حققت بعض الفائدة عند عرضها .

دور التربية
في التنمية الاجتماعية

د. عمر محمد التومي الشيباني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مقدمة :

ان التنمية الاجتماعية ضرورة من ضرورات مجتمعنا العربي الذي لا يزال بالرغم من كل ما حققه في سنواته الاخيرة من تغير اجتماعي ايجابي او تقدم اجتماعي ـ متخلفا في مجموعه اجتماعيا . وفي اكثر العبارات تادبا وتفاؤلا : انه مجتمع نام اجتماعيا ، او انه مجتمع في حالة نمو اجتماعي .

والمجتمع العربي كغيره من المجتمعات يتاثر في نموه الاجتماعي سلبا او ايجابا بكثير من العوامل والمؤثرات ، ياتي في مقدمة العوامل ذات التاثير الايجابي التربية التي تعتبر احدى مؤسسات المجتمع واهم اوجه النشاط التي تحدث فيه ، وتستمد منه خصائصها ومقوماتها وفلسفتها واهدافها . ولها دور رئيسي في تغييره وتجديده .

وفي حديثنا عن هذا الموضوع سوف نناقش بايجاز النقاط الخمس التاليـة :

١ ــ مفهوم المجتمع والعلاقة بين عناصره .
٢ ــ مفهوم التنمية الاجتماعية ومؤشراتها وعناصرها .
٣ ــ مبادىء ومرتكزات التنمية الاجتماعية الصالحة .
٤ ــ اهداف التنمية الاجتماعية وغاياتها .
٥ ــ التربية كأهم عامل من عوامل التنمية الاجتماعية .

١ ــ مفهوم المجتمع والعلاقة الوثيقة بين عناصره :

يمكن لمتصفح الكتب الاجتماعية ان يجد العديد من التعريفات او التفسيرات لكلمة « المجتمع » .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

من هذه التعريفات او التفسيرات :

آ ــ ما فسر به بعضهم المجتمع بأنه : « مجموعة من الافراد تربطهم وحدة الثقافة والمكان » . فلقيام اي مجتمع ــ حسب هذا التعريف ــ لا بد من توافر هذه العناصر الثلاثة الرئيسية : افراد ، وثقافة مشتركة بينهم ، ووحدة في المكان الذي يجمعهم(١) .

ب ــ ويعني المجتمع لدى باحث آخر : « وجود أناس رجال ونساء واطفال ، يعيشون في بيئة جغرافيـة معينة حيـاة مستقرة نسبيا ، وينتظمون بالضرورة في جماعات : جماعات اجبارية احيانا ، كالاسر والعائلات ، او جماعات اختيارية احيانا أخرى ، كجماعـات اللعب

(١) محمد عطيه ، التربية والارشاد . القاهرة : مطبعة لجنة البيان العربي ، ١٩٦٤ .

والترفيه ، كما ينتظمون عادة في منظمات دينية كالمسجد ، أو منظمات تربوية كالمدرسة ، او منظمات اقتصادية كالمصنع ، أو غير ذلك من المنظمات . ويعملون في ضوء ما لديهم من اساليب فنية علمية ، مثل الرعي والزراعة والصناعة وما الى ذلك ، في سبيل تحقيق بعض الاهداف الكبيرة ، كحفظ النوع وحفظ الحياة مثلا ، في ظل مناخ اجتماعي ثقافي معين ، اي في ظل قيم اجتماعية معينة ومبادىء معينة ومثل عليا معينة »(١) .

ج ـ ويرى بعض علماء الاجتماع : « ان المجتمع هو اي مساحة أو بلدة او منطقة او اقليم ، وحتى اي مساحة اكبر من ذلك . ولكي تستحق هذه المساحة ان تسمى بالمجتمع فيجب ان تتميز على نحو ما عن غيرها ، ويجب أن تكون للحياة العامة فيها بعض السمات الخاصة حتى تكتسب الحدود الجغرافية معنى » .

د ـ وهناك تعريف آخر يقول : « ان المجتمع عبارة عن عدد من الناس يشتركون في اهتمامات معينة ومشاعر وسلوك واشياء اخرى مشتركة ، لانهم ينتمون الى جماعة اجتماعية واحدة . وجميع هؤلاء الناس يقطنون في منطقة معينة ، يستخدمونها بغرض استمرار الحياة الطبيعية والاجتماعية للجماعة ، وتربط بين جميع اعضائها علاقات اجتماعية مباشرة أو غير مباشرة ، وتكون تلك العلاقات الاجتماعية في مجموعها البناء الاجتماعي لذلك المجتمع » .

هـ ـ كما يوجد تعريف آخر للمجتمع يشير الى ان « المجتمع عبارة عن مجموعة من الافراد والعائلات ممن يعملون متعاونين كوحدة واحدة للتصدي لاحتياجاتهم المشتركة ، ويجمعهم في ذلك الميول والعادات واتفاق المشارب والمصلحة المشتركة لهم جميعا » .

---

(١) سيد عويس ، حديث عن الثقافة . القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٠ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبتحليل التعريفات والتفسيرات المختلفة التي تناولت مفهوم المجتمع يتضح لنا ما يلي :

١ ــ ان وجود مجتمع من المجتمعات « يؤكد ضرورة وجود مجموعة من الناس تربطهم علاقات اجتماعية ولهم آمال وآلام مشتركة ويسعون نحو اهداف عامة » .

٢ ــ ويركز التعريف الثالث السابق للمجتمع على وجود « مساحة معينة ، على أن تتميز العلاقات الاجتماعية داخلها بمميزات معينة تجعل لها طابعا خاصا ، بحيث تقول : انه يغلب على الافراد في ذلك المجتمع مثلا صفة التباين الاجتماعي . او ان هذا المجتمع يتسم بروح التعاون وقوة الترابط بين سكانه ، او ان هذا المجتمع متحضر او صناعي ... الخ » .

٣ ــ وفي التعريف الرابع اشارة الى اهمية عنصر الارض في مفهوم المجتمع ، «علاوة على انه يعطي أهمية للعلاقات الاجتماعية كمركز ثقل في تكوين المجتمع » .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

٤ ــ وفي التعريف الخامس اهتمام « بالعلاقات الاجتماعية كراس سنم للربط بين افراد المجتمع وجماعاته من حيث استثارة الافراد من اجل العمل كوحدة واحدة للنهوض بمجتمعهم »(١) .

فافراد المجتمع لا يعيشون في فراغ ، بل يعيشون في علاقات اجتماعية متشابكة دائمة . « فالفرد يعيش في جماعة او جماعات . وهذه كلها تعيش في المجتمع ، بل هي قوام المجتمع ، كل واحد منا يبدأ ظهوره في المجتمع اول ما يبدأ في الاسرة التوجيهية (اي اسرة ابيه وأمه واخوته وأخواته) ، او في اسرة بديلة ، اي في جماعة . وهذه الاسرة تعيش في حي في المدينة او

---

(١) محمد كامل البطريق ومحمد جمال شديد ، تنمية المجتمع المحلي . القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٩ ، ص ٢١ ــ ٢٧ .

في جيرة ، اي في مجتمع محلي . او تعيش في ناحية من نواحي القرية . . وهذا الحي ا و هذه الجيرة او هذا المجتمع المحلي يرتبط بغيره من الاحياء او الجيرات او المجتمعات المحلية في المدينة . وهذه القرية تتصل بغيرها من القرى . وما المدينة او القرية الا جماعات ذات مصالح ، أو منظمات واجهزة اجتماعية مثل المنظمة التربوية (المدرسة) ، والمنظمة الدينية (المسجد) ، ومنظمة شغل اوقات الفراغ (النادي) ، والاجهزة الثقافية والترفيهية (اجهزة اعلام) . وهذه الجماعات والمنظمات يظلل اعضاءها مناخ اجتماعي ثقافي معين : مناخ اجتماعي ثقافي قوامه عقائد المجتمع وقيمه الاجتماعية ومثله العليا . فما المجتمع الا مجموع كل ذلك ، جماعات يعيش اعضاؤها في جماعة ويتعاونون ويتصارعون ، ويظللهم مناخ اجتماعي ثقافي معين » (١) .

٥ ــ يقال عن الناس الذين يعيشون سويا بأنهم يعيشون في مجتمع او جماعة . وتستعمل هاتان الكلمتان في اغلب الاحيان بمعنى واحد تقريبا . غير ان الاختلاف احيانا في استعمالها يقوم على نوع ودرجة التنظيم في المجموعة ، وعلى مدى وعي الناس بأسلوبهم الاجتماعي في الحياة . ومع هذا فكلاهما يستلزم وجود بعض العوامل المشتركة ، كالحياة في اقليم جغرافي معين والاحساس بالانتماء الى نفس المجموعة .

تعبر كلمة « الجماعة » عن معنى اكثر اجمالا ، في حين ان « المجتمع » يعبر عن نوع خاص للجماعة .

واذا كان لابد للتميز بين هذين المصطلحين فانه قد يكون من المفيد الاشارة الى ما ذكره « كولينجوود » بهذا الخصوص ، حيث

---

(١) سيد عويس ، « دور الجمهور في الوقاية من الجريمة والجناح » ، بحث قدم في الحلقة الدراسية التي اقامتها المنظمة الدولية العربية للدفاع الاجتماعي ، في طرابلس ، ليبيا ، في الفترة (١١ ــ ١٥ اكتوبر ١٩٧١) ، ص ٤ ــ ٢٥ .

ان الجماعة في رأيه تضم جميع الافراد : الكبار ، والاطفال الذين يعيشون في اقليم معين ، حيث يشتركون كلهم في اسلوب الحياة فيها ، وان لم يكن جميعهم واعيا بتنظيمها او غرضها .

اما المجتمع فهو نوع من الجماعة وجزء منها ، اصبح اعضاؤها على وعي اجتماعي بأسلوبهم في الحيـاة ، وتربطهم مجموعة مشتركة مـن الاهـداف والقيـم » .

٦ ــ « ومـن الحقائق المعروفة ان لجميع المجتمعات مجموعة مـن الاهداف والقيم والمجتمع ليس جامدا ، بل هو مجموعة من الناس يتطلعون نحو المستقبل ، وقد يكونون غير متأكدين من اهدافهم ، ولكنهم يحاولون تبعا لمدى وعيهم الاجتماعي ، ان يعيشوا سويا بنوع معين من الاسلوب المنظم . كما ان لاعضاء كل مجتمع مجموعة من الوسائل لانماء وتربيـة اطفاليـم »(١) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٧ ــ يتطلب وجود المجتمع ادراكا افضل مـن افراده ، وشعورهم بانهم يكونون وحدة واحدة ، وتحمسهم للعمل من اجل النهوض به . كما انه من الضروري توافر الموارد للمجتمع بما يسمح له باشباع قدر مـن الاحتياجات الاولية لجماعاته .

٨ ــ ان المجتمعات البشرية في تغير دائم هو سبب بقائها ونموها . فهي تتكيف مع واقعها وتسد به حاجاتها ، فتتخلص من القديم الذي تضيق به وتتبع الجديد الذي يلائمها ، فالمجتمعات تتطور بين الحين والآخر ، وذلك انعكاسا لتطور وتغير اساليب حياة الناس والنظـم الاقتصاديـة والاجتماعية الموجودة بالمجتمع .

---

(١) ا. ك. اوتاواي ، التربية والمجتمع . (ترجمة : وهيب ابراهيم سمعان وآخرين) . القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٠ ، ص ٣ ــ ٥ .

ان ظاهرة التغير قد صاحبت الانسانية منذ نشأتها ثم استمرت عبر القرون حتى الوقت الحاضر . وينعكس هذا التغير على نظم المجتمع وقيمه ومعاييره وما الى ذلك . ولكن التغير في عالم اليوم يمتاز بالشمول وسرعة الحركة .

٢ ـ مفهوم التنمية الاجتماعية ومؤشراتها وعناصرها :

وتنمية المجتمع هي عملية متعددة الجوانب ، متشعبة الابعاد ، تدريجية مستمرة ، وذات طبيعة تراكمية ، وهي تعني فيما تعني انها : « عملية احداث التغير والتحول التي تترك بصماتها على حياة الافراد والجماعات». وللتغير الاجتماعي جوانب ثلاثة ، هي : التحول ، والتطور ، والتقدم . والتحول هو تغير مستمر الحركة في اتجاه واحد ، قد يكون نحو التقدم أو نحو التخلف والتطور هو التغير نحو النمو من شكل مبسط الى شكل مبسط الى شكل اكثر تعقيداً . والتقدم هو تغير يتجه دائماً الى الامام للوصول الى الاهداف المطلوب تحقيقها .

ومن التعريفات التي ذكرها علماء الإجتماع وعلماء تنمية المجتمع بالذات لتنمية المجتمع ، هو تعريفها بانها : « العملية التي يمكن عن طريقها تنسيق وتوحيد جهودالافراد وجهود الهيئات الحكومية لتحسين الظروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في المجتمع » .

وعرفت هيئة التنمية الدولية تنمية المجتمع بانها : « عملية للعمل الاجتماعي تساعد الناس في المجتمع على تنظيم انفسهم للتخطيط والتنفيذ، حيث يقومون بتحديد احتياجاتهم الجمعية والفردية ، والتعرف على مشاكل حياتهم الجمعية ، كما يقومون برسم الخطط الكفيلة بسد هذه الاحتياجات ، وعلاج تلك المشكلات ، وتنفيذ هذه الخطط معتمدين في ذلك على الموارد الذاتية للمجتمع الى اقصى حد ممكن ، واستكمال هذه

الموارد ، اذا لزم الامر ، عن طريق الخدمات والمساعدات المادية التي تقدمها الهيئات الحكومية والاهلية » . (١)

ومن التعريفات البسيطة التي ذكرت للتنمية الاجتماعية هو انها : « عبارة عن عمليات تغير اجتماعي تلحق بالبناء الاجتماعي ووظائفه ، وانها تسعى الى اقامة بناء اجتماعي جديد يمكن عن طريقه اشباع الحاجات الاجتماعية للافراد » .

وهذا التعريف الاخير يشير « الى ان التنمية الاجتماعية ليست مجرد تقديم الخدمات ، وانما تشتمل على عنصرين اساسيين :

احدهما: تغيير الاوضاع الاجتماعية القديمة التي لم تعد تساير روح العصر ، والاخر : اقامة بناء اجتماعي جديد تنبثق عنه علاقات جديدة ، وقيم مستحدثة ، ويسمح للافراد بتحقيق اكبر قدر ممكن من اشباع المطالب والحاجات » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولعله واضح من التعريف الاخير للتنمية الاجتماعية . ان التنمية الاجتماعية اوسع واشمل من التغير الاجتماعي . اذ ان التغير الاجتماعي ينصب على كل تغير يقع في التركيب السكاني للمجتمع ، او في بناء المجتمع ، او في نظمه الاجتماعية ، او في انماط العلاقات الاجتماعية ، او في القيم والمعايير التي تؤثر في سلوك الافراد والتي تحدد مكاناتهم وادوارهم في مختلف التنظيمات الاجتماعية التي ينتمون اليها . بينما التنمية الاجتماعية تشمل كل هذه الجوانب ، كما تتناول المشكلات المتصلة بالتغير الاجتماعي ، مثل مشكلات المنتجين . ومشكلات الهجرة من الريف

---

(١) الفاروق زكي يونس ، تنمية المجتمع في الدول النامية . القاهرة : مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٦٧ ، ص ٢٨ ، ٢٩ .

الى الحضر ، والمشكلات الاجتماعية الناجمة عن التغير الاجتماعي السريع(١) .

وتنمية المجتمع تعني تنمية كل مايتعلق بالمجتمع من عناصر مادية مثل سبل المواصلات ووسائل الاتصال والمباني السكنية وعناصر اجتماعية نفسية مثل العادات والتقاليد والاعراف وانماط الحياة والقيم والاتجاهات والنظم والعلاقات .

والتحليل الوافي لعملية التنمية ايا كان نوعها ، ثقافية او اجتماعية او اقتصادية او سياسية ، ليس بالامر اليسير . فهو يتطلب تحليلا لمختلف العوامل الثقافية والتقنية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي يمكن ان يكون لها تأثير على عملية التنمية . وتحليل هذه العوامل لايمكن قياسه كميا ، كما لا يمكن اخضاعه لعوامل علمية محددة وثابتة لارتباطه بالسلوك البشري وبالبيئة البشرية التي تتم فيها عملية التنمية ، وهي امور تختلف من مجتمع الى اخر ، ومن وقت الى اخر في المجتمع نفسه(٢) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومن اقدم الطرق واكثرها شيوعا في دراسة ظاهرة النمو والتخلف، هي تلك الطريقة التي تعرف الظاهرة بأعراضها . ومن مميزات التخلف الاقتصادي والاجتماعي التي يذكرها اصحاب هذه الطريقة التي اصبحت تعد سطحية في نظر علماء التنمية المحدثين ، هي : الفقر ، وسوء التغذية، وسوء المستوى الصحي ، وضعف مستوى التعليم وارتفاع نسبة انتشار

(١) عبد الباسط محمد حسن ، التنمية الاجتماعية ، القاهرة : معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧٠ ، ص ٨٩ – ١٠٩ .

(٢) عبد العزيز هيكل ، « معوقات التنمية الاقتصادية في الدول العربية » ، مجلة الفكر العربي ، (تصدر عن معهد الانماء العربي) ، السنة الاولى ، العدد الاول ، يونيو ١٩٧٨ ، ص ١٤٨ – ١٦٨ .

الامية بين افراد المجتمع . ويربط « هاجن » بين التخلف والمجتمع التقليدي . ويذكر لهذا المجتمع خمسة محكات هي : انتقال السلوك من جيل الى آخر بشكل جامد اجمالا ، وتحكم العادة والتقليد بالسلوك لا القانون ، ونظام اجتماعي تحكمه مرتبيه جامدة ، وتحديد المكانة الاجتماعية للفرد والاديا اكثر مما تتحدد من خلال الكفاءة ، والانتاجية منخفضة جدا واهم من ذلك ان هناك في هذا المجتمع مقاومة للتغير ورضوخا لسيطرة البيئة ، مع بنى اجتماعية ذات نمط تسلطي ، تنشأ معها شخصية ذات بنيــة سلطوية ، مما يكون ويعمم نظاما من العلاقات يتصف بالسيطرة والرضوخ والامتثال ، يعرقل عملية التغير من خلال سد السبيل امــام ظهور قوى الرفض(١) .

يضاف الى هذه الاعراض او المميزات الاساسية للتخلف الاجتماعي خصائص ومميزات فرعية كثيرة اخرى ، نذكر منها على سبيل المثال : ارتفاع زيادة السكان الكلية بمعدل يزيد عن معدل زيادة الانتاج ، وارتفاع معدل المواليد ومعدل الوفيات بين الاطفال ، وانخفاض متوسط العمر بين السكان ، وكبر حجم الاعالة ، وانخفاض المستوى الصحي ، وانتشار الامراض وعلى الاخص امراض سوء التغذية بين السكان نتيجة للفقر والجهل بأصول ومقومات التغذية الصحية ، وقلة المرافق الصحيـــة وانتشار الوسائل البدائية في العلاج بين السكان ، وازدحام السكان وسوء الظروف السكنية ، وانتشار ظاهرة عمالة الاطفـال ، وضعف الطبقة المتوسطة في المجتمع وعدم توفر عوامل نموها ، وانخفاض المركز الاجتماعي للمرأة وقلة مساهمتها في الحياة ، وتفشي العادات والتقاليد الضارة ، والمغالاة في الصرف على الافراح والمآتم ، واحتقار العمل اليدوي ، وقلة

(١) مصطفى حجازي ، التخلف الاجتماعي مدخل الى سيكولوجية الانسان المقهور . بيروت : معهد الانماء العربي ، فرع بيروت ، ١٩٧٦ ، ص ١٩ — ٤٤ .

حرية الحركة والتعبير عن الراي ، والادارة الفاسدة التي تخدم اغراض امتيازات القلة ، وقلة كرامة الفرد في المجتمع وفقدانه لإنسانيته ، حيث يتحول الى شيء او اداة او وسيلة ، وسيادة التسلط والعنف والخوف في العلاقات الاجتماعية ، وفقدان التعاون والتضامن والتعاطف بين الناس ، وانتشار مشاعر الكسل والاتكالية وقلة المبالاة وعدم تقدير المسؤولية ، وفقدان الاحساس بمعاناة الناس وآلامهم ومخاوفهم وحاجاتهم وعدم المبالاة تجاه معاناتهم ، وسيطرة مشاعر الذنب والقلق والنقص والدونية بين عدد كبير من الناس والتخبط الذهني ، والفوضى والعشوائية ، وسوء التخطيط واضطراب منهجية التفكير ، والرضوخ للانفعال والذاتية ، وفقدان الموضوعية في التفكير ، والتذبذب وانعدام اليقين ، والعجز عن التصدي للواقع من خلال الحس النقدي والتفكير العقلي . كذلك من سمات هذا التخلف على مستوى الفرد العجز عن التخطيط لان الذهنية المتخلفة تنظر الى الواقع بشكل تجزئي زمانيا وتعجز عن النظر ابعد من دائرة ضيقة ، هي حدود محيط الشخص المباشر ، وسوء التنظيم ، لان الذهن المتخلف عاجز عن ادخال التنظيم على الواقع ، لانه يفتقر هو ذاته الى التنظيم والمنهجية ، ويعيش في التخبط والعشوائية . والذهن المتخلف يظل حائر امام شتات الظواهر ، لاهو بقادر على النفاذ الى لبها ولاهو بمستطيع لاعادة ربطها فيما بينها من صيغ جديدة . كما انه يعاني من صعوبات في الانتقال من مرحلة التفصيلات الى مرحلة التنسيق الكلي ، وقصور تفكيره النقدي . انه متحيز بشكل تلقائي لتدخل العوامل الانفعالية والعاطفية في تفكيره . والذهن المتخلف قاصر عن الجمع في سياق واحد بين الاوجه الموجبة والاوجه السالبة لمسالة ما وفاقد للقدرة على المثابرة والتركيز الطويل على التفكير ، كما انه فاقد للدقة والضبط في التصدي للواقع وفي تقدير الامور . ان الذهنية المتخلفة تعجز صاحبها عن النظرة الكلية الشاملة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

للامور ، لاترى من الامور الا جانبا واحدا فقط . فالمتخلف يفتقد المرونة والقدرة على بحث الامور من جوانب متعددة ومن منظورات ومستويات شمولية . فهو يرزح تحت انفعالاته التي تفيض على العالم ، ملونة اياه بصبغة ذاتية واضحة ، يغلب عليه التعصب والتحيز وسرعة اطلاق الاحكام القطعية . والاحكام المسبقة ، سرعان مايتحول النقاش لديه الى صراخ وخصام ، ويسير صعدا نحو انهيار المنطق ونحو اللغة الحركية ولغة القوة والاخضاع ، بعد فشل الاقناع والاحساس بعدم القدرة على السيطرة على الواقع من خلال العقل والمنطق ، لان هذا الواقع يبدو في النهاية خال من تحكيم العقل والمنطق . والانسان المتخلف ايضا ينكفىء على ذاته ، ويسيطر عليه الاحساس بالعجز وقلة الحيلة . وهو محدود في طموحاته ، لايدري كيف سيكون غده ولاابن ستستقر به الامور ، يتقي الشر بالابتعاد عن الاحتكاك به ، ويتهرب من المشاركة في كل ماهو عام ، وتتأصل فيه الروح الانهزامية ازاء التحديات والقوى التي لاقبل له بها .⁽١⁾

هذه بعض الخصائص الاجتماعية والنفسية والذهنية للمجتمع المتخلف اجتماعيا وللشخصية المتخلفة اجتماعيا . وهناك خصائص وسمات اخرى لايتسع المقام لذكرها فضلا عن شرحها ومناقشتها .

ولعله من اليسير على القارىء اللبيب ان يدرك من السمات السابقة التي ذكرناها للتخلف على مستوى المجتمع ككل وعلى مستوى الفرد سمات التقدم الاجتماعي ، وذلك على اساس ان الاشياء تتميز بأضدادها.

فمن مؤشرات التقدم الاجتماعي وسماته على سبيل المثال وبقطع النظر عن الترتيب التي ذكرت عليه سمات التخلف السابقة ، هي السمات

(١) ينظر المرجع السابق ، ص ٤٧ – ١٢٣ .

التالية : ازدهار التعليم ،ووفرة فرصه امام جميع الراغبين فيه ،وتحسن الظروف السكنية والاحوال الصحية لافراد المجتمع ، ووفرة سبل المواصلات والاتصال وحسن نوعيتها ، وتوثق الصلات والعلاقات الاجتماعية وعمقها بين الناس ، وسيادة الشعور بالانتماء والولاء والتماسك والتضامن بين افراد المجتمع وجماعاته ، وتوافر روح الامن والاطمئنان وقلة نسبة الجرائم ، والزيادة المضبوطة للسكان ، وصغر حجم الاسرة ، وحرية الحركة والحراك الاجتماعي ، وتحقيق مبدأ تكافوء الفرص امام الجميع ، واحترام القوانين والالتزام بالمسؤوليات والواجبات ، واحترام الوقت والمواعيد ، وعدم تحكم العادات والتقاليد والاعراف في سلوك الناس ، وارتفاع مستوى المرأة واحترامها وتحسن نوع الادارة وعدم خضوعها لسيطرة القلة ، الى غير ذلك من مؤشرات التقدم الاجتماعي التي يمكن فهمها مما سبقت الاشارة اليه من سمات التخلف الاجتماعي .

ولتتحقق التنمية الاجتماعية الشاملة للمجتمع ، لابد ان تبذل الجهود في جميع الاتجاهات وفي جميع جوانب وقطاعات الحياة ومجالاتها لاشباع كافة الاحتياجات الاساسية للانسان . وقد يختص بهذه التنمية الاجتماعية قطاع عريض يعرف بقطاع الخدمات الذي جرت العادة بتقسيمه الى اربعة قطاعات جزئية هي : التعليم ، والصحة ، والاسكان ،والضمان الاجتماعي . وقسمته بعض البلدان الى اكثر من ذلك ، وذلك في الهند التي قسمته الى سبعة قطاعات ، هي : التعليم ، والصحة ، والاسكان ، ورعاية العمل ، والنهوض بالطبقات الفقيرة ، والرعاية الاجتماعية ، ومنع المشروبات الكحولية والمخدرات ، وتأهيل الاشخاص المعوقين .

ومن الممكن اتباع اسس مختلفة في تصنيف قطاعات التنمية الاجتماعية ، قد يكون من بينها تصنيفها وفقاً للاسس التالية :

(آ) ــ من حيث نوعية الخدمات : ويشتمل هذا النوع على خدمات تتعلق بالتعليم ، والصحة ، والاسكان ، والترويح ، والامن ، والعدالة ، والتربية الدينية ، والثقافية ، والجمالية ، والرعاية الاجتماعية .

(ب) ـ من حيث المجال الجغرافي : ويشتمل على خدمات تتعلق بتنمية المجتمعات الصحراوية ، والريفية ، والحضرية غير الصناعية ، والحضرية الصناعية .

(ج) ـ من حيث الفئات العمرية : ويشتمل على خدمات تتعلق بالطفولة ، والشباب والكهول ، والشيوخ . (١)

٣ ـ مبادىء ومرتكزات التنمية الاجتماعية الصالحة :

والتنمية الاجتماعية ، كغيرها من انواع التنمية ، مبادئها ومرتكزاتها العامة التي ينبغي مراعاتها في التخطيط لتلك التنمية وفي التنفيذ والتوجيه لخططها وبرامجها .

من هذه المبادىء والمرتكزات يمكن الاشارة الى ما يلي :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المبدأ الاول :

(١) ـ ان الانسان يجب ان يعتبر العنصر الاساسي في التنمية الاجتماعية فهو : هدفها الاعلى ووسيلتها الفعالة . وجهود التنمية يجب ان تحقق للفرد مزيدا من الكرامة والامن النفسي والاقتصادي والسياسي، وتجعله يحس في حياته بالامن والطمأنينة والعدل والمساواة والحرية ، وتبني لديه المعارف الصالحة والمهارات النافعة والعادات والاتجاهات الصالحة التي تجعل منه اداة فعالة في خدمة وتنمية مجتمعه العربي وامته العربية . « فتنمية المجتمع تكون ناجحة عندما تتحول في حياة الفرد الى عادات سلوكية فعالة . وهنا لابد ان تدخل التربية ، ولابد ان تدخل

---

(١) عبد الباسط محمد حسن ، التنمية الاجتماعية . ص ٢٤٧ ، ٢٤٨ .

الثورة الثقافية لتحدث هذا التغيير المتأصل ، ولتجعل من التنميــة حقيقة واقعة » . (١)

ان التنمية الاجتماعية لاتتصور الا في مجتمع يؤمن بالفرد ، وفي الوقت نفســه يؤمن بالافراد جميعا ويؤمن بالفرص المتكافئة للجميع ، ويحاول بكل ما أوتي من قوة وجهد ان يزيل المعوقات الاجتماعية والذاتية عــن طريق مساهمة افراده في تنمية انفسهم وتنمية مجتمعهم ، ويساعدهم بالذات على مساعدة انفسهم ، لانه لاتوجد وسيلة مساعدة اجدر من ان يساعد الانسان نفسه . فالفرد هو المسؤول في المقام الاول عن تحسين احواله وظروفه ، وهو مسؤول ايضا عن المساهمة في تطوير مجتمعه ، وعلى التربية والاتجاهات الضرورية لذلك . وعلينا ان ندرك ان تغيير اتجاهات الناس وقيمهم بما يدعم التنمية لايقل اهمية عن تغيير ظروفهم المادية .

« واذا كانت تنمية الانسان لاتنفصل عن الاطار العام لتنمية المجتمع ، واذا كانت هذه التنمية للانسان تتضمن في اساسها تغيير عاداته السلوكية والفكرية التي تتعارض مع التنمية وتطويرها او حذف بعضها ، فان التربية على هذا الاساس هي التي تعمل على هذا التطوير والتغيير والحذف ، ترتبط ارتباطا اساسيا بعملية التنمية . فتنمية الانسان عملية تربوية بكل معنى هذه الكلمة » .(٢)

المبدا الثاني :

ان الفرد في المجتمع العربي كغيره في المجتمعات الاخرى يرتبط بمجتمعه وثقافته ارتباطا عاطفيا شديدا . ولذا كانت المشكلات الاجتماعية اصعب حلا من غيرها من المشكلات المادية التي تتعلق بالآلات والمخترعات . والفرد

---

(١) محمد لبيب النجيحي ، التربية وبناء المجتمع العربي . القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧١ ، ص ٢٣٤ .

(٢) نفس المرجع السابق ، ص ٢٥٨ .

ينشأ ليلائم مجتمعه ، وتتنوع شخصيات الافراد تبعا لتنوع المجتمعات التي تربوا فيها . فهو يتشكل وفقا لمجتمعه ، كما ان المجتمع يتشكل ايضا بالفرد تبعا لاهدافه وطموحاته . فالفرد « لا يفنى في المجتمع ولا يفنى المجتمع في الفرد ، ولكنها الخوة بين الافراد وتماسك لبناء المجتمع بأفراده» .

والفرد يقاوم عادة كل اختراع ، ويعارض كل جديد يمس حياته الاجتماعية وقيمه واتجاهاته . وكثيرا ما تكون معارضته نتيجة لجهله . ومن شأن الجهل ان يؤدي الى الخوف ، والخوف يؤدي الى المعارضة . وكلما تقدم العمر بالانسان كلما زادت محافظته على التراث الماضي ، وزاد تأثره به ، وزاد اعتباره لتوقعات الناس منه .

ونتيجة لارتباط الفرد بثقافته ومجتمعه ارتباطا وثيقا ، فان المشكلات الفنية والتقنية يمكن ان يكون حلها عن طريق اهداف مشتركة مقبولة لدى الجماعة ، ويمكن أن تجد اتفاقا كبيرا على طريقة الوصول الى حلها . أما المشكلات الاجتماعية « فأفراد المجتمع الواحد يختلفون كثيرا في انواع الحلول وفي وسائل تحقيقها ، مما يجعل الامر صعبا معقدا .

ومما يساعد ايضا على أن يكون التجديد الاجتماعي صعبا ، أن المخترعين في النواحي المادية يلقون كثيرا من التشجيع المادي والادبي . . . اما اولئك الذين يجددون في النواحي الاجتماعية فانه ينظر اليهم من أفراد كثيرين ومن جماعات مختلفة بعين الكراهية والشك ، ذلك لانهم بتجديدهم الاجتماعي انما يضعون الافراد في موقف صراع نفسي ، الذي تكون نتيجته أن تهتز القواعد الاساسية التي اقاموا عليها شخصياتهم ومؤسساتها الاجتماعية والتي تصل نظرتهم اليها الى حد التقديس هذا التجديد الاجتماعي يدفع الافراد الى التساؤل فيما يتعلق بمؤسساتهم ومعتقداتهم ، ويدعو الى بحث هذه العقائد والمؤسسات الى بيان أن بعضها لم يعد ملائما للعصر . . . فالنفس الانسانية اول ما تثور ،

وبدرجة عنيفة ، على من يطلعها على نقائصها . والشعوب مثلها في ذلك مثل النفس الانسانية ....

والتجديد الاجتماعي على الرغم من صعوبته ومن ثورة الافراد ضد القائمين به،الا انه امر ضروري يتحتم وجوده اكثر من التغير التكنولوجي. فالمعروف ان الانسان يستطيع ان يستمر في معيشته على مستوى معين من الناحية التكنولوجية ، دون ان يحتاج الى تغير كبير ، او مخترعات جديدة في هذا الميدان . ولكنه من المؤكد انه لا يستطيع ان يستمر في حياته في مجتمع منظم دون ان تكون هناك تجديدات وتطورات من الناحية الاجتماعية . وهذه التجديدات الاجتماعية لابد منها ايضا اذا نظرنا الى المجتمع من زاوية اخرى . فالمخترعات التكنولوجية لا قيمة لها ان لم يترتب عليها ويصاحبها تجديد في الناحية الاجتماعية ... »(١)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المبدا الثالث :

انه بالرغم من ان الفرد يعتمد اعتمادا كبيرا في تعلم قيمه واتجاهاته واساليب سلوكه من الجماعة او المجتمع الذي يعيش فيه ، فانه يعتمد ايضا في ذلك على الوراثة البيولوجية والعوامل الفطرية . « ومن الواضح انه يوجد دائما تفاعل بين العوامل الفطرية والثقافية ... ويميل علماء الاجناس الى ابراز المدى الذي تعود فيه اختلافات الشخصية الى تعديل الحاجات والقدرات البيولوجية والنفسية العامة ، والتي يعد معظمها فطريا : نتيجة للتدريب والحياة ، وليس نتيجة للفروق الموروثة الخاصة. والحاجات البيولوجية (تشمل الحاجة الى الهواء) والماء ، والطعام ،

(١) محمد لبيب النجيحي ، التربية : أصولها ونظرياتها العلمية . (الطبعة الخامسة) ، القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٤ ، ص ١٩٤ — ١٩٧ .

والنوم ، وحماية الصغير ، والتخلص من الالم والنشاط الجنسي . وجميع الكائنات البشرية لديها هذه الحاجات ، مثلها في ذلك مثل الحيوانات . اما كيفية اشباعها لهذه الحاجات فيعتمد على ثقافتهم . ويذكر «لينتون» ثلاث حاجات نفسية عامة بين جميع الكائنات البشرية ، وهي :

١ ـ الحاجة الى الاستجابة الانفعالية .

٢ ـ الحاجة الى الامن ، سواء بالنسبة للمستقبل او الحاضر .

٣ ـ الحاجة الى جدة الخبرة او المغامرة ... وليس من الضروري ان تكون هذه الحاجة فطرية .

ويضاف الى هذه الحاجات حاجة رابعة ترتبط بالحاجة الاولى ، وهي الحاجة الى الاحساس بالانتماء الى المجموعة . وهذه الحاجة عامة ، حيث انه لا يمكن الفرد ان يعيش بمفرده . ولا يعد مجرد وجود الفرد بين الناس الآخرين كافيا لاحساسه بالانتماء الى المجموعة ، لانه يحتاج الى تأييد المجموعة له . ومن المهم ان نلاحظ ان هذه الحاجات البيولوجية والنفسية حتى لو كانت فطرية ، فانها عامة جدا ويسهل تأثرها بالبيئة ... »(١) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولعل الذي يهم المخطط الاجتماعي في المقام الاول هو عامل البيئة ، فيحاول تحسينها والنهوض بها لتستطيع ان تنتج الفرد الصالح اجتماعيا ، وذلك على أساس أن الانسان ابن بيئته . والانسان المتخلف اجتماعيا هو وليد بيئة اجتماعية متخلفة . ولكن علينا ان ندرك أن هذا التخلف ليس مجرد أمر مادي قابل للتغيير تلقائيا ، ولكنه يرتبط بعوامل نفسية وعقلية تتصل بالفرد نفسه . « فالتخلف يعاش على المستوى الانساني

(١) أ . ك . أوتاواي ، التربية والمجتمع . (مترجم ، سبق ذكره) ، ص ٣٤ ـ ٣٧ .

كنمط وجود مميز له دينامياته النفسية والعقلية والعلائقية النوعية . والانسان المتخلف ، منذ ان ينشأ تبعا لبنية اجتماعية معينة ، يصبح قوة فاعلة ومؤثرة فيها. فهو من ناحية يعزز هذه البنية ويدعم استقرارها. وهو من ناحية ثانية يقاوم تغييرها ،نظرا لارتباطها ببنيته النفسية . العلاقة اذن جدلية بين السبب والمسبب (البنية والنمط الانساني الذي ينتج عنها) مما يحتم علينا الاهتمام بهما كليهما عند بحث حالة احد المجتمعات المتخلفة ، بغية وضع الخطط التنموية(١) .

المبدأ الرابع :

ان التنمية الاجتماعية يجب أن ينظر اليها نظرة كلية ، وان تكون شاملة لجميع جوانب الحياة الاجتماعية ، بما في ذلك الجوانب الثقافية والاقتصادية والسياسية والروحية . ومن الخطأ التركيز في عملية التنمية على العوامل الاقتصادية ، لدرجة اهمال العوامل الاخرى ، كما يتصور البعض ، بحجة ان التنمية الاقتصادية هي المتغير المستقل وهي السبيل الى احداث التقدم الاجتماعي ، وان التنمية الاجتماعية لا تعدو أن تكون متغيرا تابعا ولاحقا . ويرى هذاالبعض أن الفقر وما يترتب عليه من ضعف في الدخل القومي والفردي هو السبب الاساسي في تخلف المجتمع . فاذا ما نجحنا في التغلب على مشكلة الفقر وفي توفير الدخل الطيب للمواطنين امكنهم حل مشكلاتهم كأفراد وكمجتمع ، وتحسنت بشكل مباشر أوضاعهم الصحية والتعليمية والثقافية والروحية . ولكن هذا الرأي أو الاتجاه الفكري فيه تبسيط لظاهرة التخلف والنمو ، نظرا لتشابك ظواهر الحياة الاجتماعية وتداخلها وتساندها وظيفيا . وقد ادرك معظم الاقتصاديين المعاصرين هذه الحقيقة « فاتجهوا الى دراسة قضايا التخلف والتنمية

(١) مصطفى حجازي ، التخلف الاجتماعي . ص ٥ .

معتمدين على نهج تكاملي ، يأخذ في الاعتبار جميع العوامل الاقتصادية والاجتماعية . ان مبدا العلية الدائرية التراكمية يقوم على أن النظام الاجتماعي تؤثر فيه مجموعة من القوى الاقتصادية والاجتماعية . واذا حدث تغير في أي جانب من الجوانب فان هذا التغير لا يحدث رد فعل في النظام في شكل تغيرات تذهب في جملتها الى الاتجاه العكسي نحو التغير الاول ، وانما يؤدي الى احداث تغيرات مساعدة تدعم التغيرات الاولى وتدفع النظام في نفس الاتجاه الذي اتخذه التغير الاول وتدفعه الى ابعد منه » .(١)

ان جميع العوامل والجوانب في حياة المجتمع مترابطة ، يؤثر بعضها في بعض ويتأثر بعضها البعض في عملية دائرية تراكمية . والتنمية الاقتصادية التي لا تواكبها تنمية اجتماعية منذ البداية يترتب عليها كثير من المشكلات الاجتماعية ، مثل ضعف السلطة الابوية ، وتفكك الروابط القرابية ، وظهور العلاقات الاجتماعية الثانوية التي تتصف بالسطحية والعمومية والنفعية والجزئية ، واحلال الضوابط الاجتماعية الرسمية محل الضوابط الاجتماعية غير الرسمية . ولذا فان التنمية الاجتماعية ضرورية ولازمة للتنمية الاقتصادية . « فهي ضرورية لدفع عجلة التنمية الاقتصادية وضمان نجاحها واستمرارها . فعمليات النمو الاقتصادي في الدول المتقدمة في الوقت الحاضر تعتمد على المهارات الانسانية اكثر من على رأس المال . والانسان ذو الكفاية الانتاجية المرتفعة الذي ينال قسطا كافيا من التعليم ، والذي يستمتع بصحة جيدة ، ويعيش في مسكن مريح ، وتتوفر له الضمانات الكافية الذي تكفل له الحياة الآمنة في حاضره ومستقبله ، هو الذي يستطيع ان يساهم بايجابية في بناء المجتمع وتنميته » .(٢)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١) عبد الباسط محمد حسن ، التنمية الاجتماعية . ص ١٩ .

(٢) نفس المرجع السابق ، ص ٢٣ .

وهكذا يتبين لنا ان التنمية وما يرتبط بها من تغير يجب أن تكون شاملة للنواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية . ولا يمكن الاعتماد على جانب واحد من جوانب التنمية ، لما بين جوانب التنمية من ترابط وتشابك وتأثير متبادل . فما يحقق من تقدم في جانب من جوانب الحياة الاجتماعية من شأنه ان يساعد على التقدم في النواحي الاخرى . فالمفروض ان التحرر السياسي يؤدي الى التحرر الاجتماعي وان النمو الاقتصادي يؤدي الى الرفاهية الاجتماعية . فالتنمية الاقتصادية تعني بالضرورة التنمية الاجتماعية ، وتهدف الى رفاهية الانسان ، بل وتعتمد عليها في بنائها . وهكذا يمكن أن يقال بالنسبة للجوانب الاخرى ، مما يؤكد ان عملية التنمية يجب ان تكون شاملة ومتكاملة ، تشمل جميع ميادين المجتمع وجميع امكانيات وواقع هذه الميادين ، وذلك بدلا من التطور الجزئي الذي لا قيمة له مهما كانت سرعته .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والدعوة الى الاخذ بمبدأ الشمول في التنمية الاجتماعية لا ينافي أن عناصر المجتمع عندما يصيبها التغير فانها تتغير بنسب متفاوتة . والعناصر التي يصيبها التغير بنسبة أقل من العناصر الاخرى توصف بأن لديها تخلفا . وهذا التخلف هو احدى مشاكل التغير الاجتماعي البارزة . « والمشكلات الاجتماعية هي نتيجة التغير الاجتماعي والتخلف الثقافي . وهي تعكس الاختلاف في سرعة بين عناصر المجتمع ، وخاصة بين السلوك وبين القيم التي تحدده وتظهر المشكلات الاجتماعية في المجتمعات الديمقراطية الديناميكية المتغيرة ، بحيث نجد ان التغير سريع وان القيم الاجتماعية التي تحبذ العمل نحو تحسين الظروف تنمو بشدة وبسرعة ، وبذلك يمكن ان نحدد المشكلة الاجتماعية بأنها ظرف يعتقد أنه يهدد قيمه اجتماعية، ويدرك على أنه ممكن تغييره بالعمل الاجتماعي البناء . اذن العناصر الثلاثة المكونة للمشكلة الاجتماعية ، هي : الموقف الاجتماعي ، والحكم الخاص

بالقيمة ، والعمل الاجتماعي المناسب . وعندما تتوفر هذه العناصر الثلاثة نقول : ان لدينا مشكلة اجتماعية » .(١)

وفي مقابل التقدم ، يجب ان ننظر الى التخلف ايضا على انه « ظاهرة كلية ، وعلاجها يجب أن يكون شموليا . يتنبه الى كل مواطن مقاومة التغيير التي يتضمنها ويتصدى لها بنفس طويل . واشد المقاومة استعصاء على التغيير هي البنية النفسية التي يفرزها التخلف ، بما تتميز به من قيم ونظرة الى الكون : فكما ان الآلة نتاج التقنية المتقدمة ، قد يعاد تفسيرها كي تستخدم بشكل خرافي او سحري في البلد النامي . كذلك عملية التغير الجذري قد يعاد تفسيرها كي تمارس من خلال الاطر النامية، وتفقد بالتالي قدرتها التغييرية » .(٢)

والتخلف كما هو ظاهرة كلية ، فانه ثمرة الاستغلال والاستعباد وانعدام الامن ، وسيطرة مشاعر القهر والخوف والذلة والمهانة والذنب والتبخيس الذاتي على انسان المجتمع المتخلف . كما أن لهذا الانسان المتخلف عقلية متخلفة تمتاز بالتخبط الذهني والعشوائية والفوضى وسوء التخطيط والارتجال واضطراب منهجية التفكير وعدم الموضوعية وتغلب الانفعال والنظرة الى الواقع بشكل تجزئي زمانيا ومكانيا .

المبدأ الخامس :

ان التنمية الاجتماعية أو التغير الاجتماعي المرغوب لابد له من التخطيط المسبق الصالح والتوعية الواعية والتوجيه السليم . ليمر ذلك التغير بسلام وبأقل مشاكل . ولاكساب الافراد ادراكا لفوائده وفهما لابعاده ومراميه . فقد اصبح التخطيط للتنمية بجميع انواعها من الاسس التي

---

(١) محمد لبيب النجيحي ، التربية : أصولها ونظرياتها العلمية . ص ١٨٢ .

(٢) مصطفى حجازي،التخلف الاجتماعي مدخل الى سيكولوجية الانسان المقهور،ص ٨٠ .

تقوم عليه المجتمعات الحديثة ، واصبح التحكم في التغير الاجتماعي ضرورة من ضرورات المجتمعات الحديثة للاستفادة من هذا التغير وتوجيهه الوجهة الصالحة . وقد اتجه التخطيط في هذه المجتمعات اتجاهاً تكاملياً ، ترتبط فيه جميع نواحي المجتمع بعضها ببعض، ويؤخذ فيه بالتفكير العلمي السليم سبيلا الى تحليل الاوضاع والوصول الى الحلول والبدائل في وجه التحديات المختلفة التي تواجه عمليات التغير الاجتماعي . فالمخطط او المهندس الاجتماعي يحاول السيطرة على التغيرات الاجتماعية المقبلة وتحديد البناء الاجتماعي المرغوب .

والتخطيط الاجتماعي هو محاولة لاستخدام الذكاء والخبرة العلمية في حل المشكلات الاجتماعية العامة . فهو وسيلة للسيطرة المنظمة على التغير الاجتماعي وتوجيهه الوجهة الصالحة للمجتمع ، حتى يصل المجتمع الى التجديدات التي يرغب فيها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويعتبر التخطيط للتنمية اسلوبا تنظيميا « يهدف إلى تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية خلال فترات زمنية معلومة ، وذلك عن طريق حصر امكانيات المجتمع المادية والبشرية ، وتعبئة هذه الامكانيات ، وتحريكها نحو تحقيق اهداف المجتمع وغاياته ، في هدى الفلسفة الاجتماعية التي يريد المجتمع ان ينمو في اطارها .

ومن المفكرين من يعرف التخطيط بانه محاولة واعية لتنسيق السياسات العامة على نحو يكون من شأنه ان يتحقق ـ بدرجة اكبر من السرعة ـ ما يراد ان تبلغه التطورات المستقبلية من اهداف »(١) .

ويذهب بعض المفكرين الى ان « المقصود بالتخطيط هو وضع البرامج التي توصل الى تحقيق هدف معين بتوقيت معين وبسياسة تنفيذية معينة

(١) عبد الباسط محمد حسن ، التنمية الاجتماعية ، ص ١٥٥ .

وباتفاق متفق عليه وبعناصر للخطة يقرها المخطط مع مراعاة العوامل السكانية والثقافية والاقتصادية السائدة في المجتمع .

كذلك فان التخطيط عبارة عن اسلوب في التنظيم والتنسيق والتوقيت والتصرف والعمل ، يعتمد على الربط الواضح بين مكونات المشكلة ومظاهرها واسبابها وبين الامكانيات المتاحة لحلها والاثار المباشرة وغير المباشرة لكل حل منها .

ويتميز اسلوب التخطيط بالربط الوثيق بين الاهداف وتناسقها وبين الموارد المطلوبة للوصول اليها وبمقتضاه يتم تخصيص مختلف الموارد واستخدامها للوصول الى الاهداف على مراحل مختلفة خلال فترات زمنية متتابعة .

والتخطيط قبل كل شيء اسلوب في التفكير قبل اتخاذ قرارات بالتصرف ، واسلوب في التنظيم عند اداء الاعمال ، واسلوب في التنسيق بين الموارد واقصى ما يمكن تحقيقه من اهداف ، وبمقتضاه يتم الربط بين الاعمال ونتائجها وبين الموارد وما يراد استجلابه باستخدامها من منافع . ويجري الربط بين التصرفات وما تؤدي اليه من نتائج ضمانا للتنسيق والتكامل وعدم التعارض بين مختلف الاعمال وما يراد تحقيقه من الاهداف وبينها وبين ما هنالك من موارد في الزمن القصير وعلى مرور الزمن »(١).

ويعتبر التخطيط الشامل اقصر الطرق المؤدية الى التنمية ، « من حيث انه يدفع كل القوى للانطلاق نحو الاهداف المبتغاة طبقا للزمن المحدد والتوقيت الموضوع » .

والتخطيط الصالح لا بد أن يتسم بالواقعية ، والشمول ، والتكامل والاستمرار والتجدد ، والتنسيق بين الاهداف والوسائل والسياسات اللازمة لتنفيذ الخطط والمرونة في الخطط المرسومة .

---

(١) محمد كامل البطريق ومحمد جمال شديد ، تنمية المجتمع المحلي ، ص ٨٤ .

« ويقصد بواقعية التخطيط وضع الخطط على أسس علمية تقـوم على تقدير الامكانيات الفعلية للمجتمع ، وحصر الاحتياجات الحقيقية للافراد ثم العمل على تحقيق افضل مطابقة ممكنة بين الموارد والحاجات وفقا لمعايير علميـة دقيقة » .

ويقصد بالشمول « وضع الخطط الشاملة التي تتنـاول مختلف القطاعات الوظيفية القائمة في المجتمع دون الاخلال بمبدا التوازن الجغرافي

ويقصد بالتكامل « تحقيق التكامل الراسي والافقي على مستويات مختلفة لمشروعات الخطة » .

ويقصد بالاستمرار والتجدد عدم انفصال « اية مرحلة من مراحل التخطيط عن المراحل التالية لها . فمرحلة الاعداد والتصميم لا تنفصل عن مرحلة التنفيذ ، وهذه بدورها لا تنفصل عن مرحلة المتابعة والتقويم »

« ويكون التنسيق على مستويين : اولهما : التنسيق بين الاهداف التي ترمي الخطة الى تحقيقها . وثانيهما : التنسيق بـين الوسائـل والاجراءات والسياسات اللازمة لتنفيذ الخطة وامكان تحقيق اهدافها »

ويقصد بمرونة الخطة ان يراعى عند وضعها أن « تكون عناصرهـا قابلة للتغيير والتبديل ، بناء على ما تسفر عنه الحقائق الواقعية ، ومـا تأتي به المفاجات التي قد يكون من العسير التنبؤ بها(١) » .

بقي لنا ان ننبه في هذا المبدا الى ان « الاتجاه الى التخطيط الاجتماعي ليس معناه زوال حرية الفرد ، ولكنه بمعنى اصح وادق يؤدي الى زيـادة ممارسة الفرد لحريته منظمة . . . فالحرية الفردية ليست حرية مطلقـة بأي حال من الاحوال ، ولكنها حرية محدودة بالاطار الثقافي الذي يعيش

(١) عبد الباسط محمد حسن ، التنمية الاجتماعية ، ص ١٦٧ ــ ١٨٣ .

فيه الفرد ، ومحدودة ايضا بالحريات الاخرى للافراد الآخرين . فالحرية غير المحدودة فوضى ، تماما كما يتحدد حسن سير السيارات بالاشارات الضوئية . فليست هذه الاشارات الضوئية محددة لحرية سير السيارات، بل هي منظمة لها تنظيما ينتج عنه حسن تمتع أصحاب السيارات بحرية السير بها . وهكذا يكون التخطيط الاجتماعي هادفا الى حسن استمتاع كل فرد في المجتمع بحريته على خير وجه ، دون الاضرار بحريات الاخرين (فقد اصبح) على الدولة الحديثة ان تنسق جهود افرادها وان تحدد لهم السلوك العام الذي يطلب منهم القيام به ، حتى تتحقق الحرية في أعلى مراحلها ، وهي حرية الجميع في صالح الجميع »(١) .

٤ ــ اهداف التنمية الاجتماعية وغاياتها :

وبجانب تلك المبادىء والمرتكزات التي تقوم عليها التنمية الاجتماعية، لهذه التنمية اهدافها وغاياتها التي ينبغي ان تسعى الى تحقيقها . وهذه الاهداف والغايات لا تخرج في مجموعها عن بناء مجتمع عربي مؤمن بربه ، وقوي ومتماسك في بنيانه ، وقادر على مغالبة معوقات نموه وعلى مواجهة تحدياته وعلى الاخذ بأسباب التقدم والرقي والتفتح على تيار التقدم العلمي والتقني والتفاعل مع التغيرات المتلاحقة في العالم المعاصر المنسجمة مع خصائصه الاصلية ومع مقوماته الاساسية المتمثلة في الدين والحضارة العربية الاسلامية .

وبصورة خاصة وبشيء من التفصيل ، فان التنمية الاجتماعية في الوطن العربي ينبغي ان تسعى الى تحقيق الاهداف والغايات التالية :

(أ) ــ تنمية الروح الدينية في المجتمع العربي ، والمحافظة على القيم الخلقية الاصيلة فيه ، بحيث يمكن بناء الفرد العربي الصالح لنفسه

---

(١) محمد لبيب النجيحي ، التربية : أصولها ونظرياتها العلمية ، ص ٢١٧ ــ ٢٢٤ .

ولمجتمعه ووقايته من احتمالات الانحراف والفساد ، واشباع حاجاته الاساسية التي من بينها الحاجة الى الايمان بوجود قوة عليا تنظم هذا الكون وتديره ، وهو الايمان الذي يمنح الانسان الطمانينة ويساعده على ان يعيش في امان مع نفسه ومع الاخرين .

(ب) ــ بناء الفرد الصالح المؤمن بربه ، والمعتز بدينه ووطنه وامته وبنفسه ، والمنسجم مع نفسه ومع المجتمع الذي يعيش فيه ، والحاس بامنه واستقراره وكرامته وحريته وتقديره وقيمته في الحياة ، والقادر على التفكير السليم والتصدي للواقع من خلال الحس والتفكير العقلي وعلى التخطيط والتنظيم وعلى النظرة الى الامور نظرة كلية وعلى بحث الامور من جوانب متعددة ومنظورات ومستويات شمولية ، والمتحلي بروح الشجاعة والاقدام والامل في المستقبل وفي الحياة وبحب الخير للغير وبالرغبة والحماس في خدمة المجتمع ، والساعي الى تحقيق ذاته من خلال عمل يؤديه في اطار المشروعات الوطنية والقومية للخدمة العامة .

(جـ) ــ تدعيم الحياة الاسرية بكل ما من شانه ان يزيد من قوتها وتماسكها واستقرارها ، ومن فرص التعاون والترابط بين اعضائها ، ومن توفير الضمانات الاجتماعية لافرادها ضد المرض والعجز والبطالة والشيخوخة ، ومن قدرتها على تربية اطفالها وحسن رعايتهم . وتدعيم الحياة الاسرية ايضا بكل ما من شانه ان يرفع المستوى الادبي للمراة ، ويتيح الفرصة امامها للتثقيف العام والتعليم المناسب لطبيعتها على اختلاف انواعه ومراحله ولنيل حقوقها المشروعة كاملة غير منقوصة ، وبذلك يتكافأ الزوجان في حقوقهما وواجباتهما وتقل الفجوة في المستويات الثقافية والحضارية بينهما وتزيد فرص فهم الحياة الزوجية فهما صحيحا .

(د) ــ اصلاح احوال المجتمع العربي اجتماعيا وثقافيا واقتصاديا وسياسيا بتعميم فرص التعليم وتحسين نوعه ، ودفع الناس الى تحسين

اوضاعهم الاجتماعية . واذكاء رغبتهم في تخطي جميع الحواجز التـي يمكن ان تقف في سبيل تقدمهم الاجتماعي وفي تغيير عاداتهم وتقاليدهـم الفاسدة واوضاعهم السيئة ، وتشجيعهم على التعاون والتضامن فيمـا بينهم وعلى اقامة علاقات اجتماعية ناجحة فيما بينهم وعلى المساهمـة في حل مشكلاتهم المشتركة وتحسين اوضاعهم الاجتماعية وعلى الاندماج في حياة مجتمعهم والانسجام معه واحترام تقاليده الصالحة ، وبلورة الوعي الجماعي بين الناس وتبصيرهم بضرورة التقدم الاجتماعي ، وتعديل البناء الاجتماعي بما يحقق الفرض المتكافئة ، وتذويب الفوارق الحادة بـين فئات المجتمع ، وتيسير عملية الحراك الاجتماعي الذي بمقتضاه تتـم الحركة من ادنى الى اعلى في الوضع الاجتماعي والاقتصادي ، وتحقيـق العدالة الاجتماعية ، وزيادة الانتاج وبناء مجتمع الرخاء والوفر والقضاء على البطالة الظاهرة والمقنعة ، والنهوض بالمناطق الريفية ، والقضاء على التعصب العرقي والقبلي ، وبث روح التسامح والديمقراطية والشورى ، وتدعيم حرية المواطن وامنه الجسمي والنفسي والاقتصادي والسياسي .

(هـ) ــ احداث تغير جذري في العلاقات التي تقوم بين الجماعـات وفئات المجتمع المختلفة ، وخلق ادوار اجتماعية في المجتمع ، وتحويل المجتمع من مجتمع تقليدي متاخر يعتمد على انتاج متاخر ويعيش في ظل عادات وتقاليد وقيم متخلفة الى مجتمع صناعي متقدم على وسائل وسبل انتاج متقدمة ، واقامة بناء اجتماعي جديد يتفق في كثير من خصائصه مع خصائص المجتمعات المتقدمة .

(و) ــ معالجة المشكلات المترتبة على التنمية الاقتصادية ، كمشكلة الهجرة من الريف الى الحضر التي من شانها أن ترفع من نسبة البطالة ووجود احياء متخلفة خاصة بالمهاجرين ، تعيش في المدينة بعقلية لا تتلاءم مع الحياة في المدينة ، وكمشكلة سوء التوافق المهني لدى افراد المجتمع ، ومشكلة انتشار الامية وتخلف مستوى التعليم والتدريب المهني ونقـص

ARCHIVE

التسهيلات التعليمية والثقافية ، وانتشار الظروف المؤدية الى الجريمة وانحراف الاحداث .

(ز) ـ تدعيم القيم والاتجاهات الاجتماعية الايجابيةمثل روح المثابرة والاجتهاد ، والصبر ، والجد في كسب الرزق ، والتعاون البعيد عن الانانية ، والتضحية في سبيل المجموع ، واداء الواجب، وتحمل المسؤولية والتوكل مع الاخذ في الاسباب ، واحترام القوانين والنظام ، والتسامح والوفاء ، والاعتراف بالجميل ، والاهتمام بالوقت والحرص عليه ، والطاعة والولاء .

هذه هي اهم اهداف التنمية الاجتماعية وغاياتها التي ينبغي أن تتجه الى تحقيقها جميع جهود التنمية في المجال الاجتماعي ، بما في ذلك الجهد التربوي والتعليمي في كافة مؤسساته واوساطه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٥ ـ التربية كأهم عامل من عوامل التنمية الاجتماعية :

والتنمية الاجتماعية وما يرتبط بها من تغيرات تقدمية تحدث نتيجة لعوامل كثيرة متعددة ، لا يهمنا منها في هذا المقال الا عامل واحد ، هو عامل التربية التي من وظائفها الاساسية بكل تأكيد ـ المساهمة في عمليات التنمية بكافة جوانبها بما في ذلك التنمية الاجتماعية .

وبصورة موجزة مجمله ، تمكن الاشارة الى ما يلي من عوامل التغير الاجتماعي في المجتمع العربي : اتساع رقعة المدن ، وتحول كثير من سكان الصحراء او الريف الى حياة اهل المدن ، وحركة الهجرة من الريف الى المدن ، وعودة كثير ممن كانوا مهاجرين في بلدان اخرى ، ومشاريع الاستيطان والاصلاح الزراعي الكثيرة ، والبدء في استعمال نتائج العلم ووسائله التقنية الحديثة في مجالات الاتصال والمواصلات والزراعة

والصناعة والتخطيط والادارة ومختلف مجالات الحياة الاخرى ، والاخذ بأسباب الصناعة الحديثة ، واكتشاف النفط والبدء في تصديره بكميات تجارية وافية ، والزيادة الكبيرة التي حدثت في الدخل القومي والدخل الفردي على السواء في كثير من البلدان العربية والتحسن الملموس في مستوى معيشة الناس ، وزيادة التفاعل مع العالم الخارجي ، والتغيرات التي حدثت في اوقات الفراغ وفي مؤسساته وفي سبل العناية به ، والتغيرات التي حدثت في بنية الاسرة وعلاقاتها ووظائفها وفي مركز المرأة وفي وضعها الاجتماعي ، والتغيرات السيكولوجية التي حدثت في شخصية الانسان العربي نفسها وما ترتب عليها من تغير في حاجاته وميوله واتجاهاته وقيمه وعاداته وتقاليده . وقد كان لهذه التغيرات انعكاساتها على حياة الفرد العربي وعلى سلوكه وعلاقاته الاجتماعية وعلى الحياة الاجتماعية بأكملها في المجتمع . الى غير ذلك من عوامل التغير الاجتماعي في المجتمع العربي التي لا يسمح المقام في هذا المقال بمناقشتها ، لان ما يهمنا منها هو عامل التربية ، كما سبق لنا أن بينا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومن النصوص الحديثة التي تحدثت عن عوامل التغير الاجتماعي العامة ، قول بعض المربين العرب المحدثين :

« وقد ترجع عوامل التغير الاجتماعي الى عوامل سيكولوجية في الشخصية الانسانية فنحن نعرف ان السلوك الانساني يقوم على اساس دافع معين . فاذا ما تغير هذا الدافع نتج عن ذلك تغير في العادات والتقاليد ....

على أن التغير الاجتماعي قد يكون ايضا نتيجة عوامل بيئية تؤثر في الحياة الاجتماعية لافراد الجماعة . هذه التغيرات قد تكون تغيرات طبيعية جغرافية ، وقد تكون تغيرات من صنع الانسان ، وقد تكون تغيرات ناتجة عن الهجرة او نتيجة تغيير الوطن . والتغيرات الطبيعية الجغرافية هي اقل التغيرات اهمية ....

اما التغيرات الاكثر اهمية فهي التغيرات التي تحدث نتيجة الانسان نفسه . ومن هذه التغيرات ان يزيل الانسان الغابات ، وان يردم البرك والمستنقعات ، وان يقيم الطرق . وبذلك يغير من الشكل الجغرافي للبيئة ، ويحدث كثيرا من التغيرات الاجتماعية ....

وقد يحدث التغير الاجتماعي نتيجة دخول عناصر جديدة في الثقافة . هذه العناصر التي تكون نتيجة الانتشار او الاختراع ، وهما من العمليات الاجتماعية التي تساعد على التغير الاجتماعي ....

ومن اسباب التغير الاجتماعي الواضحة التغيرات التكنولوجية مثل القوة الميكانيكية والقوة الكهربية والمخترعات المادية الكثيرة . هذه التغيرات تحدث تغييرات اخرى مترتبة عليها في تنظيم العائلة وفي علاقاتها المختلفة وفي مستوى المعيشة وطرق تعليم الصغار وفي توزيع السكان وفي المؤسسات الاجتماعية ....

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ان المخترعات والمكتشفات هي نقط البداية لدراسة النمو الثقافي والتغير الاجتماعي . فلا شك ان المخترعات الجديدة مما يضيف عناصر ثقافية جديدة الى الثقافة وبذلك تعمل على التغير الاجتماعي نتيجة احتكاك القديم بالجديد والوصول الى حلول المشكلات الاجتماعية التي تنشأ عن ذلك ....

وهناك المخترعات الاجتماعية ، او التجديد الاجتماعي ، وهي المخترعات اللامادية والتي لا تتضمن المكتشفات التي تحدث في ميدان العلوم الطبيعية . والتجديد الاجتماعي تعترضه عقبات كثيرة ويكون اصعب منالا وتحقيقا في المجتمع من غيره من المخترعات المادية . فالفرد — (كما قدمنا) — يرتبط بثقافته ارتباطا عاطفيا شديدا . ومن الصعوبة بمكان ان تتطلب الموضوعية في هذا الميدان . ونتيجة لهذا نجد ان المشكلات

الاجتماعية اصعب حلا من غيرها من المشكلات المادية التي تتعلق بالآلات والمخترعات العلمية ... » (١) .

ولعل اهم عوامل التغير الاجتماعي وابعدها تأثيرا في قيادة هذا التغير وتوجيهه الجهة الصالحة ، هي التربية التي تعتبر سلطة اجتماعية ضابطة ، واداة للمراقبة الاجتماعية . وهي اداة ضرورية للمراقبة الاجتماعية ولازمة لاستقرار المجتمع . وهي من اهم المؤسسات الاجتماعية . والمدرسة منظمة لها ، اي منظمة من منظمات الخدمات ، انشأها المجتمع لتحقق اهداف مؤسسة التربية وتدريب القوى البشرية اللازمة لتشغيل منظمات المجتمع الاخرى . والتربية دور رئيسي في الضبط والتكامل الاجتماعي . كما انها اداة للتغير والتجديد في المجتمع وتحقيق النمو المتوازن في الجوانب الاقتصادية والاجتماعية في حياة المجتمع .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فالتربية هي التي تزود اطفال الوطن بالمعارف الاساسية عن وطنهم الصغير وامتهم العربية ، وتزودهم بالمهارات الاساسية اللازمة لهم في حياتهم الاجتماعية ، وتعرفهم بحقوقهم وواجباتهم الاجتماعية والسياسية، وتساهم في تنشئتهم الاجتماعية ، متعاونة في ذلك مع الاسرة وبقية مؤسسات المجتمع الاخرى . فالتربية عامل مهم من عوامل التغير الاجتماعي ، لا تعكس فقط التغيرات التي تحدث في المجتمع ، بل تقوم بدور فعال في صنع التغير والتجديد وتيسيرهما والتمهيد لهما والقيام بالتوعية الضرورية لهما وتوجيههما الوجهة الصالحة والتخفيف من حدة الصراع الناتج عنهما والمساهمة في حل المشكلات المترتبة عليهما . كذلك تقوم بدور فعال في نشر المخترعات الحديثة وجعلها تؤدي وظيفتها كاملة في

(١) محمد لبيب النجيحي ، التربية وبناء المجتمع العربي ، ص ١٣٠ ـ ١٣٥ .

حياة المجتمع ، وفي اعداد الاسرة للتغيرات الاجتماعية المصاحبة والناتجة عنها ، وفي التبشير بالتغير الاجتماعي واعداد العقول له واكساب الافراد المعارف والمهارات والاتجاهات اللازمة له وتجديد تعليمهم وتربيتهم باستمرار ليستطيعوا التكيف مع الحياة المتغيرة ، وفي اعادة الفحص المستمر للآراء والافكار والمعتقدات والمؤسسات الاجتماعية ، وفي مساعدة الافراد على أن يواجهوا مشكلاتهم الاجتماعية بحزم وجرأة(١) .

ولا يمكن لاحد ان ينكر الدور الهام الذي يمكن ان تقوم به التربية في التنمية الاجتماعية للافراد من حيث كونهم افرادا في علاقة اجتماعية تفرضها عليهم ادوارهم المتعددة في المجتمع ، كالقيام بدور المواطنة الصالحة القادرة على تحمل المسئوليات والقيام بالواجبات التي تفرضها هذه المواطنة وممارسة الحقوق والواجبات القومية والاجتماعية ، والقيام بدور الاب او الام ودور الزوج او الزوجة وغيرها من الادوار الاجتماعية .

ولا شك ان نجاح القيام بهذه الادوار يتوقف على درجة النضج التربوي والوعي الثقافي والفكري لدى الفرد — وبمعنى آخر يتوقف على مدى نجاح التربية في تكوين الاتجاهات السليمة لدى الفرد نحو المؤسسات المختلفة في المجتمع ونحو نفسه ونحو اهله ومواطنيه ونحو مجتمعه ككل ونحو الانسانية جمعاء .

وهي من ناحية اخرى ضرورة لارساء الديمقراطية الصحيحة . فهناك مثل يقول : كلما تعلم الانسان زادت حريته . وهذا يعني ارتباط الحرية بالتعليم . فالتعليم اذن يحرر الانسان من قيود العبودية والجهل . والحرية او الديمقراطية لا يمكن ان تعمل في ظل الامية او الفقر الثقافي . ولا يمكن ان نتصور شخصا جاهلا يمارس بنجاح حقوقه السياسية في ابداء الراي والمشورة ، وما الى ذلك . وهذا بالطبع يبرز اهمية التربية في تكوين المواطن الحر المستنير القادر على المشاركة الواعية في تقدم بلاده .

(١) محمد لبيب النجيحي ، التربية : اصولها ونظرياتها العلمية ، ص ٢١٠ — ٢١٦ .

وهي أيضا ضرورة للتماسك الاجتماعي والوحدة الوطنية والقومية . فالتربية عامل هام في توحيد الاتجاهات الدينية والفكرية والثقافية لدى أفراد المجتمع . وهي بهذا تساعدهم في خلق وحدة فكرية تساعدهم على التفاهم والتفاعل وتؤدي الى ترابطهم وتماسكهم ....

ثم انها عامل هام في احداث الحراك الاجتماعي . ويقصد بالحراك الاجتماعي في جانبه الايجابي ترقي الافراد وتقدمهم في السلم الاجتماعي .

والتربية دور هام في هذا التقدم والترقى لانها ترتفع بنوعية الفرد وتزيد من قيمته وذلك بمقدار ما يحصل منها ... ولذلك تعتبر التربية عاملا هاما في تحسين معيشة الافراد وتذويب الفوارق .... كما انها في النهاية تضيف الى تحسين المستوى الاجتماعي للمجتمع ككل . وترفع من قدرته الذاتية على احداث التقدم الاجتماعي المنشود .... » (١) .

والمدرسة كمنظمة اجتماعية وتربوية تعتبر « من الاجهزة الهامة التي تسهم في القيام بعمليات التنشئة الاجتماعية لاعضاء المجتمع ، أي ان هذه المنظمة اليوم لا يمكن أن تكون مجرد بناء يحتجز العديد من جماهير المجتمع من التلاميذ والطلبة داخل اطاره بغرض تلقينهم بعض الدروس فحسب ، بل ان المنظمة يجب أن تكون بالضرورة ــ الى جانب ذلك ــ مسايرة لتطورات الحياة الاجتماعية وما فيها من تيارات تستدعي تنمية الجوانب الاجتماعية والنفسية لاعضاء جماهيرها ؛ لكي يكونوا اقدر على مواجهة الحياة ....

ولعل الهدف الاول من عمليات التربية بين جدران المنظمة هو الاسهام في عمليات التنشئة الاجتماعية التي تبدأ في محيط الاسرة التوجيهية ،

---

(١) محمد منير مرسي ، أصول التربية الثقافية والفلسفية . القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٧٧ ، ص ١٦ ــ ٢٠ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وذلك بقصد صياغة كل عضو من اعضاء جمهورها او جماهيرها في قالب جديد يدرك عن طريقه قيمة الحياة الاجتماعية وقداستها ، حتى يكون قادرا على تفهمها وتقبلها بروح مرنة . وهو في ذلك يسعى وراء الانسجام الاجتماعي بصورة طليقة سوية . اي ان دور المنظمة يكون بالضرورة الاسهام في تكوين المواطن الصالح وفي استمراره ليكون مواطنا صالحا » (٢) .

فالمؤسسات التعليمية اصبحت في العصر الحديث « تلعب دورا في حياة الانسان ، وفي اعداده للقيام بدوره الاجتماعي ، يساوي في طول مدته وفي اهميته الدور الذي تلعبه الاسرة . ان هذه المؤسسات تقوم بالعديد من الادوار التربوية والتعليمية في حياة الانسان في العصر الحديث . فهي الوسيط بين الاسرة والمجتمع . وهي بمثابة مرحلة الانتقال من الحياة الاسرية المحدودة والتي يعتمد فيها الطفل على ذويه اعتمادا كاملا ، الى الحياة الاجتماعية الراشدة التي يمارس فيها الفرد درجات متباينة ، باختلاف وتباين وتطور المجتمعات من المسئولية والاستقلال والحرية الفردية .

ان واجب المؤسسات التربوية والتعليمية هو اعداد الفرد للقيام بدوره الاجتماعي الانتاجي في المجتمع الذي ينتمي اليه على الوجه الاكمل ، وتنمية وتطور الملكات والقدرات التي يتطلبها هذا الدور . . . .

ان المؤسسة التربوية والتعليمية مدخل الى الواقع ومعبر الى المجتمع الكبير بمعناه الواسع الشامل . والدور الذي يتوقع منها ان

(٢) سيد عويس ، « دور الجمهور في الوقاية من الجريمة والجناح » ، بحث قدم الى حلقة : « دور الجمهور في منع الجريمة والوقاية منها » ، التي عقدت في طرابلس — ليبيا ، فيما بين (١١ — ١٥ اكتوبر ١٩٧١) ، ص ٢٥ — ٢٦ .

تقوم به هو تنمية واعداد الفرد لمواجهة هذا الواقع والتعامل الكفء مـع المجتمـــع ....

ولما كانت المؤسســات التربوية والتعليمية هي المدخل الى المجتمـع الكبير ، فان دورها الاساسي يجب ان يكون تطوير وتنميــة الامكانيــات والطاقات الخلاقة للافراد لاداء ادوارهم الاجتماعية والانتاجية بجميـع ابعادها بكفاءة متزايده ومتطورة دائما ، بما يتفق وطبيعة العصر الدائـم التغير والتطـور ... » (١) .

ومما هو جدير بالملاحظة في هذا الصدد انه بالرغم من انتشار التعليم في الوطن العربي ، فانه لم يأتبالنتائج المرجوه منه في تغيير ذهنية المواطن العربي بما يتطلبه التقدم الحقيقي . فهناك شعور ــ كما يقول الدكتور مصطفى حجازي : « بأن الخرافة والتقليد لا زالا يعششان في نفسية الانسـان العربي الحائز على درجات جامعية ، تؤثر على ممارسته ونظرته الى الامور المصيرية على وجه الخصوص ، يجمع على هذا الامر العديـد مـن الباحثين .

ARCHIVE

وتكمن العلة في الوطن العربي ، كما في العديد من اقطار العالم الثالث ، في نوعية التعليم ،ومدى تأثيره على تغيير الذهنية . يبدو ان التعليم لـم يتكامل في الشخصية ، بل ظل في الكثير مـن الاحوال قشرة خارجية تنهار عند الازمات لتعود الشخصية الى نظرتها الخرافية . « ان العلم لا يشكل بالنسبة للعقل المتخلف اكثر من قشرة خارجية رقيقة يمكن ان تتساقط اذا تعرض هذا العقل للاهتزاز . ان العلم ما زال في ممارسة الكثيرين لا

---

(١) فرج أحمد فرج ، « دور المؤسسات التعليمية في الوقاية من مشكلة المخدرات . بحث قدم الى الندوة العلمية ، حول الوقاية من مشكلة المخدرات . التي عقدت في بيروت في الفترة (١١ ــ ١٤ ديسمبر ١٩٧٢) ، ص ٢٧ ــ ٤١ .

يعدو ان يكون قميصا او معطفا يلبسه حين يقرأ كتابا او يدخل مختبرا او يلقي محاضرة ، ويخلعه في سائر الاوقات » .

هناك اذن نوع من الازدواجية في شخصية الانسان المتخلف ، بين دور التعليم ودور الانسان الممارس حياتيا . لازال الانفصام والانشطار هو السائد . ففي الحياة اليومية نرى التقليد وانتشار الخرافات والنظرة المتخلفه الى الوجود ... اما في العلمية فنرى الواحد من هؤلاء ، او بعضهم ، يحلق في الاجواء العليا ولكن للحظات .

أسباب هذه الظاهرة متعددة من اهمها ... ان التعليم لازال في مختلف مراحله وبشكل اجمالي ، سطحيا في معظم البلدان النامية في طرقه ومحتوياته . طرق التعليم مازالت تلقينية اجمالا ، تذهب في اتجاه واحد من المعلم الذي يعرف كل شيء ويقوم بالدور النشط ، الى التلميذ الذي يجهل كل شيء ؛ ويفرض عليه دور التلقي القاصر ، دون ان يشارك او يناقش او يمارس ، دون ان يعمل فكره فيما يلقن . بالطبع لا تساعد هذه الطرق على اكتسابه التفكير النقدي الجدلي ، وبالتالي لا تكسبه الصيغ العلمية في النظر الى الامور . انه في احسن الاحوال يحفظ العلم دون ان يستوعبه ، يحفظ الامتحان دون أن تعد شخصيته بشكل علمي . .

ومن مشكلات التعليم الشائعة في البلدان النامية الانفصام بين لغة العلم ولغة الحياة اليومية . ونعني بذلك دراسة العلوم المضبوطة بلغة اجنبية ، يظل غالبية الطلاب عاجزين عن التعامل بها ولا يمتلكونها الا بشكل ناقص جدا . . . » (١)

ARCHIVE http://archivebeta.Sakhrit.com

(١) مصطفى حجازي ، التخلف الاجتماعي مدخل الى سيكولوجية الانسان المقهور . ص ١١٢ – ١١٩ .

ولينخلص التعليم من هذه العيوب ويكون اداة فعالة في تغيير المجتمع العربي نحو التقدم والرقي . فانه يجب ربط فلسفته واهدافه ومناهجه وطرقه وتنظيماته واساليبه ومطالبه ومشكلاته ، وتحسين نوعيتـه ، وتحديث مناهجه ووسائله واحداث مزيد من التدعيم فيه للتعليم العلمي والفني والتقني ، وانشاء المزيد من المعاهد الفنية العالية الصالحه ، ونشر الثقافة العلمية والتقنية بين الناس ، وتعريب التعليم بجميـع انواعـه ومراحله ، الى غير ذلك من سبل الاصلاح .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

جماهيرية الحركة التعليمية
في جامعات العالم الثالث

د. محمد رؤوف حامد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مقدمــة :

بعد ان انتهيت من اعداد هــذا الموضوع واثنــاء الاستعداد لالقائه في محاضرة عامة بجامعة الفاتح وقعت في يدي احدى المجـلات التي يصدرها طلبة اللجـان الثورية في الجامعة وفيها مقال بعنوان « الجامعة الـى اين ؟ » . . . ، في هذه المقالة استوقفتني عبارة تقـول : « اهل صحيح ان الجامعات في كل بقاع الدنيا دون دور عدا رحلـة زمنية لمـدة اربع او خمس ســنوات دون جـديـد . . . ؟؟؟ .

هذا التساؤل لدى الطلبة يعكس الى حد كبير مدى ما وصلت اليه الجامعة في البلاد العربية وفي العالم الثالث « بشكل عام فقد وصلت الى حالة استاتيكيه تفقدها ملاحقة متطلبات التطور كما تفقدها دورها تجاه طلبتها وتجاه مجتمعها ومن ناحية اخرى فان التساؤل الذي يطرحه الطلبة يعكس ايضا الحاجة الملحة الى الدور الريادي للجامعة في بلاد العالم الثالث . هذا القلق الكامن في تساؤلات الطلبة هو نفسه المنطلق الذي حثني على محاولة ابداء الرأي بشكل واضح ومدروس في هذا الموضوع . . وقد حاولت واحاول بقدر ما تسمح لي امكانياتي ان امارس رأيي بشكل علمي من خلال قيامي بالتدريس في كلية الصيدلة بجامعة الفاتح كما انني احاول ايضا ـ لشدة ايماني بضرورة احداث ثورة في العملية التعليمية في بلاد العالم الثالث بوجه عام والعربي بشكل خاص ـ ان انقل افكاري وتجاربي الى زملائي اساتذة وطلابا وان استفيد ايضا بافكارهم وتجاربهم ومن هنا جاءت فكرة المحاضرة . . ثم فكرة النشر . . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقبل ان ابدأ بطرح نقاط الموضوع يجدر بي أن أوضح انني اعني بتعبير « جماهيرية » الحركة التعليمية ارتباط الحركة التعليمية بحاضر الجماهير اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا وايضا بآمالها بحيث تتأثر بالجماهير وتؤثر فيها . وذلك من خلال فهم الابعاد التاريخية والحضارية والآمال المستقبلية لهذه الجماهير .

اولا : نظرة على أوضاع العالم من حولنا :

يعيش العالم في صراع دائم . . غني وفقير . . عالم وجاهل . . قوي وضعيف حرب وسلام (على الورق) . . انسان يصل الى القمر وملايين تتضور جوعا وعذابا . . ، ومن معالم هذا الصراع فيما سبق ان الانسان الابيض استعبد اخاه الاسود . . . وان البلدان القوية استعبدت البلدان الضعيفة . . . ومازال هذا التباين على أشده حاليا . .

وبينما يضم العالم الثالث ٧٠٪ من البشر وينتج نسبة كبيرة من موارد الطاقة والمواد الاولية (انظر جدول١) التي تعتمد عليها صناعات الدول المتقدمة فاننا نجد ان :

ا ـ ٧٥٠ مليون نسمة من العالم الثالث يعيشون تحت مستوى الفقر الذي حدده البنك الدولي (وهو ٧٥ دولار في السنة) .

ب ـ نصف سكان العالم الثالث لم يتلقوا اي تعليم .

جـ ـ يبلغ دخل العالم الثالث ٣٠٪ من الدخل العالمي .

د ـ يموت عشرات الآلاف جوعا كل عام في بلدان العالم الثالث ويعيش اكثر من الف مليون منهم في حالة سوء تغذية دائمة (هذا وفي الوقت الذي تستخدم فيه دولة كبرى ٣ ملايين طن من الاسمدة لتربية الحشائش في ملاعب الجولف وفي المقابر واراضي السباق فيها وهي كمية تكفي للمساعدة في انتاج ٣٠ مليون طن من الحبوب الغذائية) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هـ ـ لايكاد صوت العالم يسمع اثناء اصدار القرارات في الامم المتحدة حيث تملك خمسة دول فقط حق الفيتو ومقاعد دائمة في مجلس الامن ، وبالتالي فان العالم الثالث لايستطيع ان يحسم شيئا في الامم المتحدة .

بالاضافة الى ذلك فان اكثر من نصف البشرية يعيش بعيدا عن المسكن الملائم واكثر من ثلاثة ارباع البشر لايقوون على مجرد الحلم برفاهيات تتمتع بها الاقلية من بني الانسان . معنى ذلك انه رغم ان العالم الثالث يزود العالم بنسبة ، اكبر من الطاقة والمواد الاولية ورغم زيادة عدد سكانه ، فانه يحصل على الفرص الاقل في التعليم والغذاء والصحة والمسكن .... وايضا في القرار السياسي .

جدول ــ ١

نسبة موارد الطاقة والمواد الاولية في العالم الثالث الى مجموعها في العالم

المــادة	النسبة المئوية
بترول(*)	٧٠
قطن خام	٦٨
بوكسيت	٦٤ر٥
مطاطا طبيعي	١٠٠
نحاس	٤٨
منجنيــز	٨٩
كــروم	٩٣
فوسفــات	٣٦
قصديـر	٩٣

http://Archivebeta.Sakhrit.com

(*) توجد في العالم الثالث انهار يمكنها اعطاء طاقة كهربائية مثيلة لتلك التي يمكن الحصول عليها من البترول .

والسؤال الان : اهذه هي طبيعة البشر اليس من سبيل الى تغيرها أيمكن التحكم فيها ؟ .... هل هذه الاوضاع القائمة في العالم تمثل التوازن الطبيعي لحركة التاريخ ؟ .. واذا كنا نتحدث عن التوازن فمن يصنعه .. اليس هو الانسان ؟؟؟ ...

ان عوامل كثيرة سلبية وايجابية يصنعها الانسان نفسه وتؤثر في حركة التاريخ .... ان اشرف هذه العوامل والمؤثرات هو دائما التغيير من اجل ان نتقدم ونكون اقوياء وحتى لايصبح الانسان فريسة للتسلط والرجعية والاستغلال من جانب انسان آخر .. .اوبمعنى اوضح الثورة .. الثورة لمصلحة الجماهير ...، فدائما وابدا يعرف الانسان الثورة على انها اداته من اجل الاحتفاظ بحركة التاريخ في توازن لصالح قــوى الجماهير ...

الثورة اذن هي الاداة ، وجماهيريتها هي فرصتها في النجاح والشمولية والحفاظ عليها ، كل انسان عاقل يرى ذلك . ولكن الرؤية انواع :

ـ انسان لديه هذه الرؤية للثورة ويعمل بعكسها بقصد او بدون قصد ...

ـ وانسان آخر يرى نفس الشيء ولكن تضعف ثقته في امكانيـــة الجماهير فتظل رؤيته حبيسة داخله .

ـ وهناك ايضا نوع آخر ترتفع قدرته الثورية وايمانه بالجماهير الى درجة ان يملأ عليه حياته في عمله ومعاملاته اليومية .. داخل نطاق الاسرة وخارجها في نطاق المجتمع .. بل ويمتد اثره زمانا ومكانا الى الانسانية جمعاء ....

والآن ... اذا كانت هذه هي اوضاع العالم من حولنا ... واذا آمنا نحن ابناء العالم الثالث بالثورة كاداة للتغيير والتقدم . وباعتبار ان الجامعات ومعاهـد البحث العلمي تعد مواقع تتصل اتصالا مباشـرا بقضية التغيير والتقدم فكرا وعملا ، ... اذا آمنا بكل ذلك فانه بتواجدنا داخل احدى جامعات العالم الثالث نستطيع ان نصوغ قضية الجامعة والتقدم في السؤال التالي :

« كيف يمكن للحركة التعليمية في الجامعات ان تتفاعل مع النبض الثوري للجماهير ... بحيث تترجم هذا النبض الى قدرات علميـــة توفر للجماهير امكانية تحقيق امانيها .. والحفاظ عليها .. وتطويرها » ؟

وفي البداية قد يردد البعض : ماهذا ؟ انه لسؤال فلسفي لايحمل في جوانبه اكثر من مجرد شعارات العمل السياسي الذي تردده عــــادة التنظيمات السياسية في اي مكان من العالم ... ، وقد يزيد البعض قائلا : اية علاقة هذه التي تربط الجامعات بالتفاعل الثوري للجماهير ؟... الجامعة مكان للتعليم يتخرج منها الشباب بتخصصات مختلفة . عـن

طريق ممارستها يخدم مجتمعه .... والتعليم في اي مكان هوهو ... طرق التدريس واحدة لاتختلف كثيرا .. المقررات واحدة .. العلوم التي يتلقاها طلبة الهندسة هي نفسها في كل الجامعات .. وكذلك الحال بشأن الطب والزراعة والعلوم والصيدلة .. الخ وهكذا قد يستخلص البعض ان على الجامعات ان تستمر فقط في اداء وظيفتها التقليدية المعهودة اليها في كافة انحاء العالم وبنفس الاساليب المتبعة ...

والان وقبل ان نسترسل في معالم التغيير المطلوب فلنتفحص بايجاز الاساليب المتبعة ... معالمها واثارها .

ثانيا معالم الوضع الحالي في جامعات العالم الثالث :

١ ـ تقليد لهيكل العملية التعليمية في الدول المتقدمة :

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.co

نشأت الجامعات بتلقي حاجة البشرية اليها ثم اخذت تتشكل وتتطور كيفما يتفق مع المطلوب منها قبل ان تأخذ الشكل الذي نعهده حاليا كانت نواتها المساجد والاديرة ودور العبادة ثم استطرد رجال الدين الى تدريس الاداب والفقه والقانون والحكمة ... وابتداء من اواخر القرن الثامن زال عن الجامعة طابعها الديني واكتسبت شيئا فشيئا طابعا علمانيا .. وكانت في كل هذا التطور تحمل تطلعات وقيم المجتمعات التي نشأت فيها ... ثم مالبثت دول العالم الثالث ان أقامت هياكل ونظم جامعاتها على هذا المنوال نقلا وتقليدا للدول المتقدمة في مضمار الحضارة برغم اختلاف المكونات الاجتماعية . والتراث التاريخي والتطلعات هنا وهناك ...

٢ ـ الدراسة تتم بلغة غريبة عن وجداننا

من الغريب ان التعليم في المنطقة العربية ـ كجزء من العالم الثالث يتم بلغة غريبة عن وجداننا .. وبالاضافة الى الاهمية القومية للتعليم باللغة العربية فاننا نرى ...

أ ــ ان التعليم بلغة غير اللغة القومية فيه صعوبة على الاستاذ والطالب وهو يزيد من الوقت المطلوب في العملية التعليمية وبدون داع .

ب ــ ان ممارسة التعليم والتطبيقات العلمية بلغة بعيدة عن وجداننا تجعل العملية التعليمية عملية تقليد بعيدة عن اي تأصيل للفكر العربي فدائما سيظل الفكر الجامعي أسيراً لعمليات المحاكاة لاصحاب اللغة التي يتم بهـا التعليم .

ونحن لانجد اية دولة تعلم ابناءها بغير لغتها الا الدول المستعمرة او الخاضعة للنفوذ الاجنبي . ان التواني عن استعمال اللغة العربية في اي مجال من مجالات التعليم معناه ببساطة اننا مازلنا نفكر بطريقة دخيلة على كياننا أو اننا رجعيو الفكر والهدف . فنحن نجد التعليم في البلدان المستقلة مهما صغر تعداد سكانها يتم بلغة اهل البلاد ... فمثلا نجد التعليم في سويسرا ــ وهي دولة صغيرة من حيث العدد ــ يتم في اقاليمها الثلاث بثلاث لغات (لغة لسكان هذه الاقاليم) وهي الالمانية والفرنسية والايطالية ... بل وان العلوم في الاتحاد السوفيتي تدرس في كل جمهورية من جمهورياته بلغة أهل البلاد لا اللغة الروسية والتي هي لغة الدولة .

٣ ــ استاذ الجامعة يعمل صانعا فنيا او مساعدا فنيا :

في احيان كثيرة نجد استاذ الجامعة مجرد صانع فني .. وللاسف في بعض الاحيان نجد دوره بالنسبة للعلم لايزيد عن دور المساعد الفني ويرجع ذلك الى عدة أسباب :

أ ــ **التضييق في التخصصات** وما يتبع ذلك من ضيق في الافق وفقد للشمولية في التفكير وتضييق مجال المعرفة الى حد لايزيد عن حدود التخصص ... وهـذه مشكلة عالمية ينتج عنهـا أن يتحول العالم الى مجرد اداة يمكن تسييرها بعيدا عن سعادة الانسانية بل وفي اتجاه

مضاد .. وهو هنا مجرد صانع في العلم وليس عالما فالعالم الذي يعمل بالعلم ينبغي ان يكون ملما بجوانب المعرفة الانسانية عارفا بها متعمقا في جزء منها هو تخصصه ... والمعرفة الانسانية هنا تحوله من مجرد صانع لتجربة معمل الى انسان مشارك في صنع الهدف من التجربة وفي اجرائها وفي التحكم في استخدام نتائجها .. وجدير بالذكر ان صانعي القنبلة الذرية يطلق عليهم علماء ...

ب ـ عدم التوفيق في اختيار الابحاث :

ان الابحاث التي يقوم بها استاذ الجامعة في معظم الاحيان لا تكون في بحث مشكلة علمية مرتبطة ببيئته بل هي امتداد لمشكلة علمية درسها للحصول على الدكتوراه في الخارج .. وفي احيان اخرى يكون البحث العلمي مجرد تطبيق للتكنيكات التي تعلمها الباحث في الخارج وفي كلتا الحالتين لاتهم نتيجة هذه الابحاث المجتمع الذي يدفع تكاليفها .. بل انه على احسن الفروض ستعود نتائجها على الدول المتقدمة ... وفي كلتا الحالتين لافائدة تذكر لبلاد العالم الثالث وهنا فان مجرد تطبيق تكتيكات او تكملة أبحاث لاتهم المجتمع ليس من العلم في شيء ولايمكن اعتبار من يقوم بذلك اكثر من مجرد مساعد فني .

جـ ـ ان الدافع الى البحث العلمي ـ بالنسبة للاستاذ في كثير من بلدان العالم الثالث لا يعدو ان يكون مجرد الترقية في الدرجة .. ان استاذ الجامعة هو الانسان الذي نال شهادة تثبت دراسته بالمنهج العلمي للبحث والتفكير وعليه توجيه دراسته هذه وخبراته من اجل مشاكل مجتمعه .

د ـ ابتعاد الباحث وجدانا وفكرا عن مشاكل واحتياجات مجتمعه وهنا لا يؤثر نيل الدكتوراه من الداخل او الخارج وهذا النوع من

الباحثين لا يرى في درجة الدكتوراه الا رخصة تؤهله لان يرتقي الى درجة اعلى في سلك الوظائف في مجتمعه .

٤ ـ ابتعاد الجامعة عن دورها الثقافي تجاه المجتمع :

يتضح ذلك في نقاط اهمها :

أ ـ استعمال لغة اجنبية بعيدة عن الاستعمال اليومي في المجتمع كوسيط للعملية التعليمية .

ب ـ نوعية الخريج الذي تقدمه الدولة للمجتمع وهو غالبا على غير ثقافة مناسبة فضلا على انه غير مدرب على تطوير معلوماته مع الزمن او على استخدام هذه المعلومات لبحث مشاكل غريبة عن المقررات التي درسها .

جـ ـ مدى التزام الجامعة بحل مشاكل المجتمع فقلما يوجد اتصال منظم بين الجامعة وبقية مؤسسات الدولة كالشركات والمصانع والمؤسسات الاجتماعية المختلفة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

د ـ مدى ارتباط اعضاء هيئة التدريس بنبض الحياة في مجتمعهم اذ نجد في معظم الاحيان ان عضو هيئة التدريس في الجامعة منفصل عن المشاركة اليومية في القضايا العامة .

هـ ـ مدى تفاعل الآراء والافكار بين الاساتذة والطلاب داخل الجامعة ، اذ ان الجامعة ليست مجرد مناهج واسئلة وامتحانات .

و ـ مدى مسايرة الجامعة علميا وفنيا لمتطلبات التطور الاجتماعي ، وعموما فانه اذا تخلفت الجامعة عن التطور الاجتماعي في اي مجتمع وخاصة اثناء المراحل الثورية لنموه فان قوى التطور في هذا المجتمع تضيق ذراعا بوضع الجامعة وتخلفها ويترتب على ذلك افتقاد الجامعة الى قدرتها على ممارسة اي دور ثقافي تجاه المجتمع .

٥ ـ نزيف الادمغة وافتقاد العالم الثالث الى الطاقة البحثية المناسبة لحـل قضايـاه :

وفقا لبعض التقديرات يعمل ٩٨ في المائة من المشتغلين في البحث العلمي والتكنولوجي على مستوى العالم كله في الدول المتقدمة كما أن ٩٦ في المائة من نشاطهم يتجه نحو مشكلات تهم تلك الدول في الاساس . ومن الغريب رغم ذلك ان تتفاقم ظاهرة هجرة الكفاءات والخبرات العلمية من الدول المتخلفة الى الدول المتقدمة ، هذه الظاهرة ترجع في الاساس الى أن التعليم في بلاد العالم الثالث لا يركز على اكساب القدرة على مواجهة التحديات الوطنية هذا بالاضافة الى عوامل اخرى اقتصادية وفكرية واجتماعية اهمها ان نشاطات العلم والتكنولوجيا لا تعتبر نشاطات مهمة في بلدان العالم الثالث ومنها البلدان العربية ، والمحصلة هنا انه رغم ان بلدان العالم الثالث تضربها مشاكل التنمية على اختلافها فانها لا تستفيد استفادة كاملة من الطاقة الذهنية المتاحة لها من ابنائها (راجـع جدول رقـم ٢) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جـدول رقم ٢ :

هجرة العلماء والخبراء من سوريا خلال أعوام ١٩٥٦ م ــ ١٩٦٩ م

التخصص	عدد المهاجرين	النسبة الى مجموع الخبراء في البلاد
الطـب	٢٧٦٩	٪ ٦٥
الهندسة	٣٠٤٩	٪ ٦١
علوم انسانية	١٣٩٢	٪ ٥٩
طب بيطري	٤١٩	٪ ٣٩
طب أسنان	١٩٥	٪ ٢٤
صيدلة	٣١٤	٪ ٢٢
المجموع العام	٨١٨٢	٪ ٥٧

نقلا عن المستقبل العربي ص ٥١ ــ عدد ٣ ــ مجلة ٩ ــ ١٩٧٨ م .
مجلة مركز دراسات الوحدة العربية بيروت .

٦ ـ تخلف الجامعة في العالم الثالث عن خلق ما يميزها .

الجامعة وحدة .. وفكرة الجامعة تأتي اولا ومنها تتفرع كل كلياتها واقسامها بحيث تخدم هذه الوحدة وتؤدي الى استمرارها والاحتفاظ بها ... والجامعة باعتبارها وحدة متكاملة مفروض ان موضوعها هو المعرفة الانسانية .. تتفاعل بها ومن اجلها آخذة في الاعتبار الظروف التاريخية وتحديات مجتمعها وآماله المستقبلية ... اذا صح كل ذلك فانه لا بد ان يكون لكل جامعة ما يميزها وان يكون لخريجيها ما يميزهم عن خريجي اية جامعة اخرى ... وذلك بالطبع غير موجود في معظم جامعات العالم الثالث وبالذات في الجامعات العربية .

٧ ـ استلاب (اغتراب) فكري وثقافي :

في غياب فلسفة (فكر ومنهج) خاصة لجامعات العالم الثالث وفي غياب عملية تعليمية تنبع من احتياجات الواقع وتحدياته في هذه البلاد ، وكذلك في غياب الوعي بأسباب التخلف وطبيعة وكيفية التغلب عليه ... في غياب كل ذلك فان مجتمعات العالم الثالث تظل دائما سوق للعالم المتقدم وعرضه للغزو ؛ ليس فقط من قبل افكاره بل ايضا من قبل امراضه ومن هنا اخذت البنى الاجتماعية والخلقية تتحطم عندنا دون ان نقوى في معظم الاحيان على خلق بنى جديدة وقيم جديدة .

يتبع مما سبق فقدان القدرة على الاعتماد على النفس واستمرار التبعية للدول المتقدمة في نقل التكنولوجيا ونتيجة لذلك :

أ ـ المشاكل القومية والمحلية في العالم الثالث لن تجد من يحلها .

ب ـ يستمر ما يطلق عليه الاقتصاديون التقسيم الدولي للعمل .. دول تنتج (التكنولوجيا) ودول تطوع نفسها لتكنولوجيا غريبة عنها فضلا عن ذلك فانه من الممكن ان يصبح العالم الثالث حقلا لتجريب منتجات العالم المتقدم كما حدث بالنسبة لبعض الادوية .

٩ ـ قتل روح الابداع والابتكار في ابناء العالم الثالث :

هذه هي معالم الوضع الحالي لبعض جامعات العالم الثالث ان لم يكن جميعـها ، انـه قطعا لا يبشر بأي امـل في القضاء على الهـوة العلميـة والتكنولوجية الفاصلة بين البلدان المتقدمة والبلدان المتأخرة . . . ان علينا ليس فقط ان نشحذ الهمم والجهود للقضاء على هذه الهوه ، بل اكثـر من ذلك علينا ان نخلق لانفسنا طريقا ذات طبيعة خاصـة ، طبيعة تلائـم ظروفنا التاريخية . . وتلائم طموحاتنا وتلائم اخلاقياتنا ، ولا يفوتنـا هنا جانبان مهمان :

الاول : ان هناك ظروفا توافرت للدول الصناعية الكبرى قد ساهمت بشكل مباشر في تطورها العلمي والتكنولوجي ولن يحدث ان تتوفر على الاطلاق مثل تلك الظروف لبلاد العالم الثالث وذلك بفعل عوامل تاريخية واخلاقية ، وهذه الظروف هي :

http://Archivebeta.Sakhrit.com

١ ـ السبق التكنولوجي :

وقد فتح الباب امام الدول الصناعية لاستغلال العالم كله . . ولا يزال هذا العامل يشكل وسيلة اساسية في الاستغلال . . . والصعوبة هنا تكمن في ان دول العالم الثالث تبدأ التنمية من وضع تخلف تكنولوجي ، وذلك لمواجهة من هم في اعلى مراتب التكنولوجيا .

٢ ـ السيطرة على مصادر المواد الاولية والطاقة .

٣ ـ السيطرة على الاسواق العالمية .

٤ ـ الاستعمار الاستيطاني وابادة اصحاب الارض وايضا ارتباط بدايات تقدم هذه الدول باستغلال الانســان .

الثاني : ان الحضارة التي يعيشها العالم المتقدم الان لها آثارها الجانبية (مثل الانتحار وانتشار المخدرات . . .) ولا يصح ان تنقل الينا أمراض الغير .

مما تقدم نخلص الى انه يستحيل ان يكون هناك اي تقدم حقيقي لجامعات العالم الثالث تجاه مسؤلياتها اذا ما لم تغير تغييرا جذريا من سمات الحركة التعليمية فيها . . . ان اي تشبث بالوضع الحالي للجامعات معناه الاعتقاد بالنظرية الاستعمارية والتي يطلق عليها « مراحل النمو » والتي تفسر تخلف شعوب العالم الثالث بانه تخلف تاريخي وان هذه الشعوب سوف تصل الى مستوى الدول المتقدمة اذا ما حافظت على خطاها الحالية . . . معنى ذلك ببساطة رجعية في الفكر والعمل . . ومعناه ايضا استمرار خضوعنا لتأثير وسيطرة الدول الصناعية الكبرى . وهنا لا يبقى امامنا غير ضرورة التغيير والثورة في حركة التعليم في الجامعات ومعاهد البحث العلمي . . وبالتالي نعود ونتذكر السؤال المطروح في بداية المقال (كيف يمكن للحركة التعليمية في الجامعات ان تتفاعل مع النبض الثوري للجماهير . . بحيث تترجم هذا النبض الى امكانيات وقدرات علمية توفر للجماهير امكانية تحقيق امانيها . . والحفاظ عليها وتطويرها . . . .) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقبل ان نتطرق الى معالم التغيير الممكن فانه يجدر بنا اولا التأكيد على انه ليس الهدف تغيير مفهوم الجامعة او الهدف الاساسي منها او مفهوم البحث العلمي . . . فالجامعة تظل « محراب الفكر الحر الرامي الى تقدم المعرفة الانسانية تقوم على طلب العلم والبحث العلمي وتسعى الى تنمية عقل الانسان وشخصيته ومساعدته على اسعاد نفسه وتحقيق ذاته وتسخير الطبيعة في خدمته ومعرفة علاقته مع غيره أفرادا وجماعات وكذلك معالم علاقته بخالقه .

ثالثـا : معالـم التغيير المطلوب :

يمكن تقسيم معالم التغيير الى ستة جوانب :

١ ـ عناصر العملية التعليمية (استاذ ـ طالب ـ مادة علمية) .

٢ ـ تدريس العلوم الانسانية وتاريخ وفلسفة العلوم .

٣ ـ وسيط العملية التعليمية (اللغــة) .

٤ ـ الالتزام الثقافي تجاه المجتمع .

٥ ـ المشاركة الفنية والمباشرة في التنمية .

٦ ـ العلاقات الدوليــة .

اولا : عناصر العملية التعليمية (استاذ ـ طالب ـ مادة علمية) :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من المسلم به ان المحاضر يتعامل مع الامكانيات العقلية للطالب ومــع خبراته السابقة مع الاخذ في الاعتبار الظروف البيئية ، وبنـاء عليه فانه اذا اقتنعنا بوجود اختلافات جوهرية بين ظروف الطالب في الدول المتقدمة ومثيله في دول العالم الثالث وذلك مثــل :

ا ـ الخبــره .

ب ـ العوامـل البيئية (الاعـلام ـ الاسـره ـ عوامـل صحية وغذائيــة . . . الخ) .

ج ـ نوع العمل الذي يتطلبه المجتمع من الطالب بعد تخرجه .

د ـ طبيعة المجتمع الذي سيمارس فيه الطالب عمله . . . الخ .

اذا اقتنعنا بوجود مثل هذه الاختلافات فانه لزاما علينا ان نقبل بما ينبغي ان يترتب على ذلك مثــل :

١ — تغيير في العلاقة التعليمية بين الاستاذ والطالب .
٢ — تغيير في طريقة التدريس والامتحانات .
٣ — تغيير في المقررات .

العلاقة بين الاستاذ والطالب :

تتحكم في نظرة الطالب الى الاستاذ اعتبارات خاصة اهمها الفارق في العمر والمعرفة وكذلك اعتبارات الامتحانات وقد يتبع ذلك قدر من التسلط من جانب الاستاذ او قدر من التباعد في الاحتكاك العقلي والحوار المنطقي المطلق بين الطرفين . ان التسلط اعتمادا على توفر قدر اكبر من المعرفة امر لا يجوز خصوصا وان المعرفة امر نسبي وان المعلومات التي في حوزة الاستاذ اليوم سوف تتطور وتتبدل بعد فترة وقد يثبت خطأ معظمها . . . لذلك فان استاذية المعلم ومقدرته التربوية تكمن في كونه طرفا في حوار علمي مع طلبته . . ومرشدا لهؤلاء الطلبة اثناء بحثهم عن الحقيقة العلمية واحتكاكهم بالمعلومات ومصادرها . . . لذا فان الاستاذ مسئول عن خلق علاقة تسمح بذلك . . علاقة يسودها احترام متبادل وقدر من الصداقة بينه وبين طلبته ، وعلى الجامعة مساعدة الاستاذ على القيام بمسؤوليته . . . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

طرق التدريس والامتحانات :

ان النظام المتبع من اعطاء الطالب قدرا من المعلومات ثم محاسبته (امتحانه) على قدرته على تكرار ذكر هذه المعلومات ليس من التربية او التعليم في شيء ان الاستاذ مطالب باكتشاف وتنمية الجوانب الابداعية في عقل وشخصية طلبته . . ان مجتمعات العالم الثالث ليست في حاجة الى خريج يكرر استخدام ما تعلمه بل هي في حاجة الى مواطنين قادرين على التعامل

بالحماس والمنطق مع قضايا بلادهم متخذين من الشك المنهجي والقدرات الاستنتاجية والابداعية اسلوبا لاكتشاف وتطبيق حلول علمية خاصة تفيد مجتمعاتهم اولا .. وبذلك تكون حلول انسانية عالمية جديدة ... ان الاستاذ مطالب باكساب الطالب قدرة ليس على تكرار ما يعرف .. وانما على استخدام ما يعرف وعلى اضافة معلومات جديدة ... لذلك ينبغي ان لا يكون المعيار في الامتحانات تكرار المعلومات او تطبيق التعليمات بحذافيرها وبسرعة مباشرة وبالطريقة التي ترضى عنها ادارة الجامعة وانما من المفروض تقييم الطالب بقياس قدراته على التحصيل وبالكشف عن امكانياته المستقبليه .. وبالتالي فان من واجبات عضو هيئة التدريس ان يشعر طلبته ان العلم ليس عنده وانما في الكتب والتجارب وانه (اي الاستاذ) مجرد حلقة وصل بين عقولهم والحقائق والفروض العلمية.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ ان يدرك ان نجاحه في دوره مرهون بتسليم مفتاح خاص الى طلبته ، مفتاح يستطيعون به الاعتماد على ذاتهم في التعليم واكتساب المعرفة والقدرة على التحقيق والاستنتاج العلمي .. ونقصد هنا بالمفتاح اتقان فن القراءة واستقبال المعلومات وترتيبها وتحليلها وكذلك قدرة على الشك المنهجي مع امكانية التعبير عن الذات .. واخيرا الرغبة في فهم اسرار الكون بطريقة تتصف بالاصرار وتتسم بالروح العلمية والخيال .

ـ ان يدرك أنه حتى في داخل كل مجتمع على حده فان الطلبة لا يتساوون في الخبره والمعلومات والقدرات المختلفه ، وبالتالي فان عليه أن يوائم بين مجهوده واسلوبه مع كل مجموعة متشابهه من الطلبة على حده بحيث في النهاية يرفع الجميع الى ما يمكنه من قدرات عالية .

ـ على الاستاذ أن يأخذ في الاعتبار ان عوامل تاريخية واجتماعية واقتصادية معقده قد ساهمت في طمس بعض القدرات الذهنية لطلبته ، لذا فان عليه ان يبادر باعطائهم الثقة وفي نفس الوقت ان يحاول ازاحة الغبار عن القدرات الذهنية الكامنة .

تغيير في المقررات :

من الممكن اعتبار ان المقرر الذي يدرس للطالب في اي مجتمع لعلم ما هو انعكاس لعاملين :

أ ـ التطور العالمي في موضوع العلم .

ب ـ المتطلبات المرحلية والمستقبلية في المجتمع .

وبالتالي فانه ليس من الحكمة تكرار مقررات بعينها لانها تدرس في بلد ما من البلاد المتقدمة ، وانما ينبغي ان يهدف المقرر الى اكساب الطالب القدرة على تفهم التطورات العلمية المتقدمة مع التفصيل فيما يمت بصلة اكبر الى مجتمعه ... ان مشاركة الطالب في اختيار المقرر الذي يدرسه قد يبدو امرا خياليا .. لكنني اعتقد انه صحي ، وهذا اذا اعتمدت المناقشة على عناصر علمية منطقية في الحوار والاستنتاج وليس على عوامل اخرى كمجرد الاقتراع . وعلى الاقل فان على الاستاذ في بداية تدريسه لمنهج ما ان يقدم المنهج كله لطلبته محاولا اقناعهم بالهدف منه وباهميته ، واكثر من ذلك فليجر الاستاذ حوارا مع طلبته حول المنهج .. يستمع الى وجهات نظرهم ويحاول الاستفادة بها . هذا ، وينبغي ان يقل حجم المقرر المعطى من قبل الاستاذ وذلك في مقابل زيادة فرصة الحوار العلمي وايضا زيادة في حجم المعلومات التي يدرب الطالب على الحصول عليها بنفسه . ان قدرا متواصلا من المعلومات مع قدرة عالية على التوصل الى المعلومات وتحليلها وتطبيقها ذات شأن اعظم من مجرد ازدحام ذاكرة الطالب بقدر كبير من المعلومات مع خمول في قدرته الذاتية على تعميق معرفته .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثانيا : تدريس العلوم الانسانية وتاريخ وفلسفة العلوم :

ان هدف الحركة التعليمية في جامعات العالم الثالث ليس مجرد تخريج متخصص في احدى المهن بل تخريج انسان قادر على العطاء الانساني بدون حدود لمشاكل التطور في مجتمعه . وهذا لا يتأتى الا اذا

ادرك الخريج معالم تطور العلم والفكر الانساني وليس مجرد تعامله مع زجاجات الدواء في الصيدلية او مع السماعة في العيادة او مع الماكينة في المصنع او مع دفاتر الحسابات في الشركات والبنوك . ان ادراك الخريج ادراكا واعيا لمعالم تطور الفكر الانساني يمكنه من التعامل العلمي مع مشاكل مجتمعه وذلك :

أ ــ بأن يكون داخل المشاكل بالقدر الذي يوفر له القدرة على فهمها .

ب ــ ان يستطيع ان ينظر اليها من الخارج بشمول يمكنه من التعامل معها من منطق ادراك موقعها على خريطة التراث الانساني العام .

ان السبيل الى ان يكتسب الخريج هذه القدرات يعتمد اساسا على :

١ ــ اعطاء جرعه من العلوم الانسانية لطالب الجامعة تعرفه بالفكر الانساني المشترك وتبصره بعلوم الجمال والتاريخ والتراث والمنطق .

٢ ــ تدريس تاريخ وفلسفة العلوم وذلك حتى يدرك الطالب موقعه من الجهد الانساني المتصل والمتكامل .

واعتقد ان العقبة الاساسية في اتجاه تدريس العلوم الانسانية لطلبة الكليات العملية هي قدرة الاساتذه على تبسيط هذا النوع من الدراسات للطلبة وتحبيبه ليم ولا يفوتني ايضا التنويه باهمية اعطاء قدر من الثقافة بالعلوم العملية لطلبة الدراسات الانسانية .

ان الرؤية الشمولية لمشاكل مجتمعات العالم الثالث على خريطة الفكر الانساني هي المنفذ الاساسي لرفع قدرة خريجي الجامعات على فتح آفاق جديدة للتعامل مع مشاكل مجتمعاتهم .

ثالثا : وسيط العملية التعليمية :

ان تعريب التعليم الجامعي (استخدام اللغة القومية في التعليم) له فوائد في مجالات اساسية ثلاثة :

١ ــ تاصل المعلومات والفكر العلمي الذي يناله الطالب في الجامعة في وجدانه مما يساعده على صياغة ما حصل عليه من معلومات وما تعلمه من منهاج علمي في التفكير صياغة تتجانس وتندمج مع تعامله اليومي في مجتمعه .

٢ ــ اتاحة الثقافة العلمية الجامعية لكافة أفراد المجتمع اذ لاينبغي أن تكون اللغة هي الفاصل بين جماهير الشعوب العربية وبين تفهم مايدرس ويثار داخل الجامعة .. وهذا بدوره سيدفع مستوى العملية التعليمية داخل الجامعة ذاتها وذلك حين يدرك الاستاذ والطالب ان الفكرة العلمية وليست اللغة هي مايميز مستوى فهمه وتخصصه في فرع من العلوم .

٣ ــ عندما تكون لغة التعليم داخل الجامعة هي لغة المجتمع خارجها فان تأثير كل منهما على الاخر (الجامعة والمجتمع) سيصبح أمرا واقعيا وليس مجرد شعار .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

رابعا : الالتزام الثقافي تجاه المجتمع :

ان اي مجتمع مهما بلغ تخلفه يستطيع اذا توافرت له المادة انيشتري آثار العلم مثل السيارات والطائرات .. ولكن ذلك لايعني ان هذا المجتمع تقدم علميا . ان يتقدم المجتمع علميا وثقافيا معناه ان يتغير اسلوب الحياة فيه الى طريقة علمية في النظر لكافة مسائل الحياة ومعناه ان يدرك هذا المجتمع القيم المعنوية والاجتماعية للعلم .. هذا هو الجانب الاول من الرسالة الثقافية للجامعة تجاه المجتمع ..... تثقيفه بالعلم .. فلتعقد الجامعة الندوات العلمية العامة لكافة ابناء الشعب .... ولتطبع له كتبا او دوريات تتناول النواحي المختلفة لتقدم المعرفة الانسانية مميزاتها وعيوبها اما الجانب الاخر فهو ان تعمل الجامعة على ان تقدم للمجتمع خريجا مثقفا وليس جاهلا متعلما ...

ان الخريج الجامعي المثقف هو الذي يفهم التحديات الحضارية في مجتمعه ويلتزم بالعمل على مواجهتها .

والعناصر الثقافية الخاصة بهذا الخريج ينبغي ان تشمل :

١ ـ وعي اجتماعي والتزام بقضايا المجتمع .

٢ ـ تطابق ممارسته اليومية في حياته الخاصة بافكاره .

٣ ـ الالتزام بالمنهج العلمي في التفكير طريقا للمعرفة السليمة .

٤ ـ الشجاعة في الغوص الى جذور المشاكل .

٥ ـ العمل في المجتمع واحداث قوة دافعة للتغيير .

خامسا : المشاركة الفنية والمباشرة في التنمية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهذا الموضوع له جانبان :

١ ـ جانب متعلق بالقيادات السياسية في العالم الثالث .

٢ ـ جانب متعلق بالجامعات ذاتها .

ان توجيه قيادات العالم الثالث لخطط التنمية فيها بعيدا عن مشاركة البحث العلمي يعتبر عبثا ومضيعة للوقت .. فقد آن الاوان ان تأخذ السياسة العلمية مكانها الصحيح من سياسة دول العالم الثالث .

كما انه بالنسبة للجامعة ينبغي ان تدرك ان البحث العلمي ليس مجرد استخدام الميكروسكوب او قضاء الوقت في المعمل .. وانما هو تحديد المشكلات ورسم الطرق الى حلها والتوصل الى حلول تضيف بها جديدا للعلم والتكنولوجيا .

اسلوب التعاون بين البحث العلمي ومشاكل كافة المؤسسات يستحق دراسات مستفيضة منفصلة فقد يكون من المناسب ان تخصص جزءا من

ميزانيات كافة مؤسسات الدولة لعمل بحث علمي متصل بمشاكلها تحت اشراف الجامعة على انه من الضروري ان لاتخرج من جامعات العالم الثالث رسالة علمية واحدة للماجستير او الدكتوراه ولا تتناول جانبا من مشكلاته بالدراسة وفي هذا الخصوص فان العلوم البحتة قد تستحق مناقشة خاصة من جانب اساتذتها والمتخصصين فيها وعموما ان تناول مشكلات العالم الثالث بالبحث والدراسة العلمية اصعب من المشاركة في تطوير بحث عن القمر الصناعي او طب الفضاء فمعيار القدرة العلمية لطالب العلم سواء كان استاذا او تلميذا ان يعمل على حل مشكلة علمية وليس ان يذهب لحل مشاكل الاخرين ، في المرة الاولى هو عالم مهما صغر عمره او قلت خبرته .. وفي الثانية هو مجرد اداة .

سادسا : العلاقات الدولية

على دول العالم الثالث ان تعنى على المستوى الدولي بالتعاون بين بعضها في مجالات العلم والتكنولوجيا فمشاكلها متقاربة ومواقعها واحد من السبق التكنولوجي الخاص بالدول الصناعية الكبرى . وعلى الجامعات ان تبدأ هذا التعاون وترسخ التفاعل بينها على اسس علميه ، ولايفوتنا ان علماء العالم الثالث هم اكثر معرفة من الاجنبي بواقع تخلفه ، هذا اذا كانوا ملتزمين بقضاياه وقضايا شعوبه وليسوا مسخا لخبراء وعلماء الدول المتقدمة لا يعنيهم من العالم الثالث سوى المال . وفي نفس الوقت فان جامعات العالم الثالث مطالبة بان تعطي لنفسها الفرصة لاكبر مايمكن من احتكاك بالتقدم العلمي في الدول المتقدمة وذلك عن طريق تبادل الزيارات والاشتراك في المؤتمرات . كما ان عليها ان تطرح مسألة ارسال طلابها للدراسات العليا الى الدول المتقدمة بحيث تتم الدراسة في هذه الدول وبامكانياتها ولكن على مشاكل الدول المتخلفة .. ويعد هذا احد ميادين المحك الحقيقي لاي تعاون بين الدول المتقدمة والمتخلفة في مجالات العلم

والتكنولوجيا وبالنسبة للدول العربية فان تعاون جامعاتها مع بعضها البعض في تبادل الخبرات والزيارات وعقد المؤتمرات العلمية لبحث مشاكلها المشتركة هو سبيل اساسي لادراك مسالة الوحدة العربية بشكل عملي وذات تاثير مباشر على مستقبل المسالة الوحدوية .

وفي النهاية ان ماقدمت في هذا المقال هو وجهة نظر محدودة بخبرة متواضعة (تملؤها الثقة في قدرة شعوب العالم الثالث) وهي في حاجة الى المناقشة العلمية من جانب الاساتذة التربويين وكذلك من جانب القيادات العلمية والسياسية في العالم الثالث .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المعاناة اليومية للعقل العربي

د. محمد رؤوف حامد — د. فتح الله الشيخ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مقدمة :

حتى يتقدم العقل اي عقل فانه يعاني ... يعاني البحث والتفاعل ... التجريب والاستنباط والاستنتاج على طريق التقدم وذلك من خلال عمليات على علاقة بالنمو الراسي في امكانيات الحياة . غير ان المعاناة اليومية للعقل العربي هي من نوع مختلف تماما عن معاناة عقل يسير في طريق التقدم من خلال عمليات على علاقة بالتقدم والتطور . فمعاناة العقل العربي يعيشها الانسان العربي(طفل وفتى وفتاة ورجل وامراة وشباب وكهول ...) في ثبات وقد لا يشعر بها ... وهذه طبيعة غريبة لما يمكن ان يطلق عليه مصطلح

معاناة العقل ... فالعقل العربي لا يشعر بانه يعاني ، وذلك لان كل محركاته (اعلام ــ تعليم ــ فنون ــ رياضة ...) ثابتة او متهرأة ... او في احسن الاحوال هي لا تحترم شيئا اسمه العقل . فالعقل قد يكون غير موجود او قل هو موجود تشريحيا (اذا صح هذا التعبير) وليس وظيفيا ... هذه هي أبلغ انواع المعاناة .. ان لا يعقل العقل . والصحيح ان الحياة في بلادنا لاتسير بالعقل بقدر ما هي استمرار لاستنساخ قوالب من بعضها البعض ... القوالب موجودة في العلاقات الاسرية ... (بين الاب واولاده وزوجته ...) وهي موجودة في المدرسة ... في جرس بداية وانتهاء الدرس ... في وجود المدرس وحديثه لتلاميذه ... في كراسة الواجب ... في امتحان الفترة ... وتمتد القوالب حتى الى وسائل الايضاح (والتي من المفروض ان تكون هي نفسها خروجا على القوالب من اجل محاولة الوصول الى ايسر الطرق لتفتيح العقل والاقتراب منه) ... وذلك من خلال استنساخ الطالب او المدرس لرسم الخريطة من كتاب.. الخ.

نحن لا نعاني من طريقة بعينها يسلكها العقل العربي ... ولكننا نعاني من لا عقلانية هذا العقل ... هذه اللا عقلانية تمتد من المدرسة الى الجامعة ... حيث طرق التدريس محلك سر .. وحيث الامتحان هو السلطان ... والحفظ والاستظهار والتكرار هو الاسلوب .. ذلك كله في غيبة المنهج ... وفي غيبة الشك العلمي ... وهكذا دواليك تسير الامور في الجامعة حتى ان الجامعات العربية استنسخت من كثير من ابنائها أساتذة بعيدين عن الاسلوب العلمي في التفكير وعن الالتزام بالمنطق. ومشاكل الوطن وكذلك بعيدين عن شجاعة الممارسة لحياتهم كأساتذة .

واذا كانت العلاقات في الاسرة والمدرسة ثم الجامعة مسائل مختلفة يتشكل فيها العقل ويعيش فيها تولدات المعاناة اليومية الممكنة .. فان الاعلام بالنسبة للعقل هو الهواء الذي يتنفسه والماء الذي لا حياة بدونه...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وانساننا العربي لا يتعامل بثقة مع هوائه أو مائه هذا (الاعلام) .. فهو اما يشربه او يتنفسه على مضض ... من باب لزوم ما لا يلزم ... أو هو لا يقرب اي اعلام آخر فهو لا يتنفس ولا يرتوي .. وانما يعيش حالة اختناق تدريجي تنتهي بالوفاة البطيئة للعقل ... اما الاحتمال الثالث ـ الذي غالبا مايحدث ـ فهو ان يلجأ الى التنفس والارتواء من مصدر غريب (اعلام اجنبي) هو في كل الاحيان ملوث ... وتكون النتيجة في النهاية أن الاعلام «العربي» يدفع العقل «العربي» الى التوقف والوفاة ببطء ... او التسمم بأفكار اعلام اجنبي... وفي كل الاحوال فان العقل لا يعاني... انما هو يموت .. وتتحول الحياة فينا الى قوالب . وسواء كنا نحن العرب عشرين او خمسين ... مائة مليون او حتى مئة وخمسين مليون .. فنحن في النهاية قوالب ... والعدد في القوالب لا يعني الا التكرار ... وذلك بالقطع يختلف عن ان تكون مائة وخمسين مليون عقل ... هنا فقط يمكن ان يكون لنا وجود بالحقيقة ... وليس مجرد وجود بالتمني .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

أ ــ العملية التعليمية ومذاق العلقم :

١ ــ العلم .. التعلم .. التعليم :

يسعى الانسان في هذا الكون الى الحقيقة .. الى فهم الاشياء .. الى تعميق معرفته .. الى تطوير اساليب حياته ... والسبيل الى ذلك هو دائما العلم .. وان نعيش بالعلم وفي العلم هو أمر ضروري بدونه تهتز انسانيتنا ونفقد معاني جوهرية لحياتنا ... وان نتعرف على العلم ونفكر بالعلم ونطور في العلم لا يعني ذلك انه ينبغي ان نكون دائما تلميذا في مدرسة يتعلم من معلمه او طالبا في جامعة يطور العقل الباحث في نفسه في اطار اساليب الحياة الجامعية ... او حتى طفلا يتعلم من ابويه ... او موظفا جديدا يتعلم من موظف قديم ... انما يعني ذلك اولا وقبل كل شيء ان العقل

فينا موجود .. وانه مقدس واننا به (اي العقل) نمارس التعليم . اي نتفاعل مع الاشياء في اطار منهجي علمي فنطور خبرتنا عنها وتتعمق معرفتنا .. و .. ونطور المعرفة ذاتها ... اما كيف يحدث ذلك ؟... فالبداية دائما تكون مع الانسان في طفولته في نطاق الاسرة والبيئة ... ثم في المؤسسات التعليمية وحتى آخر مراحلها المعهد العالي والجامعة ... ثم هو بعيدا عن المؤسسات التعليمية يمارس التعلم في كل وقت ... هذا شيء عن ما ينبغي ان يكون ... اما عن ما هو كائن بالفعل في وطننا العربي فهو المعاناة ...

ففي البداية ، ومع اولى خطوات الوجود الذاتي للانسان. .الطفل.. تبدا سلسلة من التحريمات والممنوعات ... لا صراخ .. لا لعب .. لا صخب .. بينما هذه الامور تشكل بداية التعرف الحقيقي على العالم الخارجي .... لماذا يحرم الصراخ .. واين يمكن لهذا الكائن الانسان ان يصرخ بكل طاقته ليسمع العالم صوته .. لماذا يحرم اللعب .. وماذا له ان يفعل ان لم يلعب .. كيف لعقله ان يتفتح ويدرك ان لم يصخب في كل ما حوله .. واذا لم يات الفعل بنفسه فانى له خبرة الحياة .. مهما كانت صغيرة في بدايتها وأول الغيث قطر .. ثم .. قف ... لا قطر ولا غيث ينهمر .. فالام لا تعي من مسؤوليتها سوى الحب الجارف .. والغناء في ولدها .. والاب غائب عن هذا العالم .. ينام في الظهيرة فلا صخب ولا لعب .. يسهر مع ضيوفه في المساء .. فلا صراخ ولا حياة .. بل الجحيم يطبق على هذه النفس .. قيود وحدود في كل الامور ... كيف يلعب اذا لعب .. كيف يختفي اذا ظهر الكبار .. كيف يؤدي ما عليه لاخوانه اما عقله المسكين فعليه المعاناة يوميا ... وفي سن السادسة يرسل بالطفل الى المدرسة وهو يهتز في شوق لعالم جديد .. براق واعد .. فيه العلم والمعارف جنات ينهل منها العقل .. ولكن ما ان تصبح هذه الجنات « المدرسة » واقعا يعيشه الطفل حتى يدرك بعقله البكر ادراكا شفافا

بسيطا ان الامور على ما هي عليه لم تبعد كثيرا عن مجتمع البيت ... وتكون الصدمة . وعناصر الصدمة كثيرة فهذه بوابة المدرسة تغلق وتفتح في مواعيد محدودة غريبة على الافهام .. يملك زمام امرها في العادة انسان متجهم .. يتسم بالشراسة ... له شوارب كثه .. تخيف الطفل بالزجر والنهر .. وتبغض له هذا العالم الجديد .. الذي لـه بوابة وبواب .. غريبان لا يعقلان .. وتبدأ اولى نبضات الغربة .. اولى خطوات البعد عن شيء لابد ان يكون ...

وبعد البوابة فهذا هـو الناقوس بأسراره .. يدق فتغلق الابواب ، ويدق فتفتح ثم يدخل اشخاص كبار منهم الناظر ومنهم معلمون ومنهم مفتشون او موجهون (هكذا يطلق عليهم) .. لا يشغل بالهم جميعا سوى ان يسكبوا العلقم لاطفالنا في نشرات منتظمة من كل يوم ... فهم يؤنبونه مع بداية كل نهار .. يحثونه على الحضور مبكرا .. والوقوف في الصف معتدلا .. وسماع الاوامر بتحفز .. يعلمونه الا اعتراض على شيء .. يلقى اليه بما يقال فيأخذه .. ويسأل عنه فيجيب بما اخذ .. وبما اخذ فقط .. والويل اذا لم يحفظ .. اذا لم يستظهر .. وهكذا تقيم المدرسة سياجا مانعا لروافد المعرفة الحقيقية ، فالامور التي تلقى لاطفالنا في المدارس وحسمت وليس لهم ان يعترضوا .. ان يكتشفوا بانفسهم ــ اي بعقولهم ــ اي شيء ، وتبدأ رحلة الغربة البطيئة الكئيبة .. ورحلة الغياب معها .. هذا بينما العالم من حولنا يستنفر الانسان فينا ان يعرف وان يفكر وان يدرك ...

ومن الغريب في وطننا « العربي » ان الكتاتيب والمدارس والمعاهد ، والجامعات هي اسماء تعودتها الاذن وترادفت معانيها مع التعليم عادة ومع التربية احيانا .. ونادرا مع العقل .. هذا بينما العقل هو المقصود اولا واخيرا بالعملية التعليمية .. فهو اللب .. به رسم الانسان صورة للكون..

وفحصها ومحصها حتى اكتشف نفسه .. أي عقله ، فمن اجله يتغذى الانسان ويمرض ويصح .. ومن اجله يتربى الانسان ويتعلم .. يقرأ ويكتب ويعمل... حتى يزداد مع الجهد والوقت فهما واستيعابا لتفاصيل ادق ... وثنايا اخفى من هذا الكون ... ورغم ان تربية العقل هي أساس ومحور العملية التعليمية كما ينبغي ان تكون ، الا ان الصدمة التي يواجهها اطفالنا في المدارس لدى حجب عقولهم وفرض الحظر عليها في ان تفكر او تكتشف شيئا تودي بهم الى الاحباط . احباط سرعان ما ينشأ عنه رفض دفين عند الطفل ... رفض يلعثم سلوكه .. ويحد من انطلاقته العلقية حتى ينتهي به الامر فيما بعد الى الغربة والغياب .. وعلى طريق الرفض ... وحتى الغياب والغربة .. تتناوب الاحباطات والحصار العقلي ادوارهما في تحويل العقل النامي الذي كان متشوقا لمعرفة الكون وممارسة التعلم الى قالب له اسطحه واشكاله لا يخرج عنها او يحيد . كل شيء فيه وحوله له رابط وله آمر... له تفسير يعطي .. وشان ظاهر يوصف. اما الشك والاختبار والاسباب والعلل والتفكير والنقد والتطوير فمن شان من ؟... ليس لهذا العقل اي شان بذلك فهو يصب في قالب... وكقالب فهو كبقية القوالب حوله .. له حيزه من العالم .. حيز فقط ، حيز ساكن راكد ... لا شأن له بالتفكير العلمي وتطوير الحياة .. لا تفاعل .. لا دور .. لا وجود حي ... فهو ممسوخ في تماثل تام عن قوالب اخرى حوله .. لا يؤثر فيها ولا تؤثر فيه .. فلا ارتداد ولا خروج على القوالب عند الجميع .. وبعد الصدمة والاحباط والرفض يزداد القالب مع الايام تسطيحا وضحالة ... وتتعمق معاني الغربة والغياب حتى يصبحا قدرا محتوما ... فكل قالب لا يتصل بالآخر باي تفاعل .. فقط قوالب متكررة تتماثل في الضحالة والاستواء .. حتى تصبح جموعا مرتبة طيعة في رصها حسب الطلب ... وبين البيت والمدرسة تزداد الغربة وتطبق على العقول .. تجتث الجذور والفروع .. لا يبقى الا

الجذع .. قالبا لا يشذ عن بقية القوالب .. يعده الرائي شجرة لكنه قالب يتضخم دون عطاء لفيء او ثمر ، ودون جذور تبحث وتوصل .

ــ القوالب اذا هي موضوع العملية التعليمية وليس العقل .. فمثلا يدرس الحساب للطفل كالمحفوظات .. جدول للجمع وللطرح وللضرب.. على الطفل ــ هذا الانسان ــ ان يحفظ وان لا يسأل لماذا ــ ٥+٢=٧ ، ٤+٣=٧ ، ٢+٥=٧ ، ٦+١=٧ ، كذلك ٩ـ٢=٧ ، ٨ـ١=٧ ... وهكذا.. فالبطه لها قدمان وجناحان..ترسم وتحفظ تماما كالاناشيد... اشياء لا معنى لها تحفظ ولا تدرك .. الحفظ يشذب القالب ... يحد له الحدود ويسطح الاسطح .. يصبح القالب نسخا منسوخا من القوالب الاخرى التي سبقته .. والتي ستأتي بعده ... والنسخ .. اي صب القوالب يقوم به قوالب ... فالقوالب لا تستطيع ان تنتج الا قوالب مثلها .. المدرس والناظر والمفتش في المدرسة ، والاب والام والاخوة الكبار في البيت، والزملاء والناس فيما حول ذلك.. قوالب مرصوصه.. تتكاتف جميعا في صب وتشذيب القالب الجديد .. قمة المعاناة في التعليم، وبالطبع لا تعلم .. ولا تعقل ... فقوالب الاسرة الناتجة من فقدان الموضوعية في العلاقات الاسرية بين الاب والام والابناء تستتر خلف العلاقات التقليدية المتشددة ... يحاول الانسان الصغير «العاقل» الواعي بالحياة حوله ان يتخلص من صيغة القوالب .. فتنهال المطارق من كل اتجاه .. البيت .. الشارع .. المدرسة ... ليدخل القالب النطاق المضروب له.. يحفظ كل شيء .. يطيع كل شيء .. ولا يعصي امرا .. وتبلغ المعاناة قمتها في استلاب الاحلام .. آخر ما يتبقى من قلعة العقل الضعيفة امام حصار القوالب الكبيرة الصلبة ... كيف للقالب ان يحلم ، لكنه بعد ليس قالبا ... ما زال متعشقا للحياة .. للفعل .. للمشاركة .. ما زال في العقل جزء ينبض.. يحلم.. فهو يحلم بالفروسية.. بالنبل.. برسالة منوط به اداؤها .. بمعنى لحياته .. ان يكون معلما.. محاربا.. فارسا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ان يكون عطوفا على الضعفاء .. بارا بالانسان .. ان يكتشف المجهول من العالم .. أن يكون عالما يوفر الغذاء للجوعى .. يضحي بنفسه من اجل الوطن .. والمواطنين .. و..و... ويبدا الطرق على الحديد الساخن .. على الجزء النابض من العقل .. على الاحلام الحية .. يبدا الطرق بخنق الاحلام وسك قوالب بديلة عنها .. قوالب الحرام .. احلام الثراة والجاه والعظمة .. احلام للعقل المتفتح الصغير .. كيف يتاجر لا كيف يكتشف .. كيف يقتل لا كيف ينقذ الارواح .. كيف يمتص الدماء لا كيف يداوي .. احلام تصنع في سياج الغربة اعمدة قوية ... كيف اطاع الشاطر حسن السلطان فزوجه ابنته وصار سلطانا مثله .. كيف تكون طبيبا او صيدليا ياتيك الثراء فوق الجثث والمآسي ... ويظل الطرق على الحديد الساخن دائبا حتى يبرد .. عندها تكون الاحلام البديلة قد اصبحت هي القوالب وآخر نبض للعقل (الاحلام) يكون قد سقط ... والطرق مستمر على الحديد البارد .. على القالب حتى يتسطح .. يستوي بلا عمق .. بلا اي عمق .. ولا اي نبض ...

٢ ــ المناشط المصاحبة للعملية التعليمية :

تنقسم المناشط المصاحبة للعملية التعليمية ــ من وجهة النظر التقليدية ــ الى قسمين اساسيين . المناشط المباشرة التي ترتبط بالكتاب والمختبر ، ومناشط قد تبدو على درجة اقل من الاهمية مثل الرحلات والفنون والرياضة ، ولو انها في اهميتها ــ من وجهة نظرنا ــ جذرية التأثير . وعموما نجد ان التعليم التقليدي عندنا لايعطي اهمية للمناشط حيث يقع في روع اطفالنا انها مضيعة للوقت .. لاتنفع عند الامتحان .

وقصة الامتحان ــ الذي يلازم من يمارس العملية التعليمية ــ هي دائما قصة احدى الجوانب المأساوية للعقل العربي .. هذا العقل الذي يتحول بصاحبه بالتدرج من المرحلة الابتدائية .. وحتى الدرجات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الجامعية (بما فيها الماجستير والدكتوراه) الى اغتراب كامل عن المعرفة وغياب عن الواقع .

الامتحان هذا السوط المسلط .. لا يبقي للمناشط من فعل سوى انها اداة تعطيل .. فهي تعطل عن الحفظ والاستظهار ... واذا صح هذا القول قياسا بالاطلاع وممارسة الفنون والرياضة فانه يصح الى حد بعيد حتى داخل قاعات الدرس .. حيث لايكون لاي شيء اهمية الا اذا ورد بالامتحان . القوالب أوعية فارغة .. لاحركة ولا جوهر .. فـراغ يملأ بالاستذكار والتكرار .. ويقاس مدى ملئه بالامتحان .. هل ملىء للنصف .. للثلثين .. كم في المائة مليء منه .. ٦٠ في المائة او ٧٠ في المائة ... او .. ، وهكذا تأتي الدرجات والتقديرات معبرة تماما عن مستوى الملء ... لا مستوى النضج والمعرفة الحقيقيين .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ دائما يصب ويشذب القالب الصغير في المدرسة وفي البيت ... وذلك بالحصار والطرق وسلب الاحلام وحجب الانطلاقة العقلية فيصير اناء' فارغا يمكن ان يملأ بأي شيء .. حساب .. محفوظات .. علوم .. جغرافيا .. وتتوالى عمليات الاضافة الى هذا الاناء ... تأتي العطلة .. وبعدها عام دراسي جديد .. وملء جديد للاناء ... وبين عمليات الملء والتفريغ وحجب المناشط لايدرك الاناء القالب لماذا كل ذلك .. فهو يلقن كي يسترجع عند الامتحان .. وعند الامتحان فقط .

ـ لادور للمناشط اذن في العملية التعليمية بمراحلها المختلفة ... الرياضة البدنية ليس لها امتحان .. اذن لاتمارس .. بل تحارب في البيت والمدرسة .. الجميع يرى انها مضيعة وتعطيل للوقت .. وحتى القائمين عليها يقتصر جل جهدهم على تمضية الساعة الوحيدة التي يعطى لهم اسبوعيا في أي شيء .. كالحديث في الاخلاق .. في المذاكرة (مرة اخرى) .. في الاستعداد للامتحان .. او على افضل الوجوه يتم

اشغال ملعب المدرسة بفريقين من الفصل دون اي اشراف او توجيه الا عدم الصياح (اوامر) .. عدم كسر زجاج النوافذ (اوامر مرة اخرى) .. عدم ضياع الكرة او قطعها (الاوامر ... الاوامر) .. حتى اذا منح الطفل فرصة ممارسة الرياضة فعليه الا ينسى انه قالب .. والاوامر والحدود كفيلة بتذكرته . ومن المتعارف عليه بين المعلمين في المدارس ان حصة الالعاب يمكن ان يستولوا عليها لاعطاء حصصهم الناقصة . وفي السنوات النهائية بكل مرحلة تعليمية (ابتدائية واعدادية) لايرد اي ذكر في جدول الدراسة للالعاب الرياضية ... وينكمش دور الرياضة حتى الصفر ــ العدم ــ في الثانوية العامة والجامعة .. فالقوالب قد كبرت مافيه الكفاية .. تقولبت تماما او كادت .. ولاوقت او مكان للمناشط حتى انه اذا نسب عدد الساحات الرياضية والملاعب والاندية الى عدد الناس في بلادنا العربية نتج رقم هزيل .. يكاد لايرقى الى الربع او الخمس وذلك بالمقارنة بأماكن ممارسة التسكع .. اماكن الجلوس واضاعة الوقت كالمقاهي مثلا ... والمحصلة النهائية كما هو متوقع لاتربية رياضية .. لاعقل .. لاصحة .. ونظرة ــ ولو سطحية ــ للمجتمعات الاخرى (غير العربية) ودور المناشط الرياضية فيها تصيب بالاسى ، فالاجسام (بما فيها المخ ــ اداة التفكير) تعنى باهتمام شديد .. الرياضة يمارسها الجميع .. ونصيبها في العملية التعليمية اساسي جدا كنصيب العلوم والاداب .. والملاعب والاندية تملأ المدن والقرى .. صحة الاجسام والعقول عالية .. العقل الجماعي لهذه المجتمعات موجود .. موجود يتفاعل مع الحياة .. يبنيها وتبنيه .. يطورها وتطوره .. والانسان اذن عاقل له عقله الفردي الذي يشارك ايجابيا في العقل الجماعي لمجتمعه ، وبالتالي يشارك في وجود العقل الانساني .

وبتفحص نتائج اللقاءات الرياضية بمستوياتها المتباينة بدءا بالدورات العربية ومرورا بدورات القارات وانتهاء بالالعاب الاولمبية نجد ان الربط

بين هذه النتائج ومستوى العقل العربي واضح وبسيط . واذا سألنا عن الرياضيين الذين يمثلون البلدان غير العربية لوجدنا ان اكثر من تسعين بالمائة منهم طلاب .. اي ممارسون للعملية التعليمية اما من يمثلونا نحن العرب فمعظمهم من غير الطلاب . ان تحكيم العقل ـ ان وجد ـ في هذه الامور يصيبه باحباط تلو الاحباط ... الرياضة البدنية عندنا (العرب) من المناشط الثانوية التي لا تؤدى حتى في حدود هذا الدور ، اما عند الاخرين (غير العرب) فهي من اساسيات الحياة تبني الاجسام والعقول والعالم بعد ذلك .

ـ اذا انتقلنا من الرياضة الى الفنون ـ في نطاق المناشط ذات الدرجة الادنى من الاهمية التقليدية ـ فان الحال ادهى وامر .

ان مقارنة اللقاءات الرياضية يمكن ان تنسحب على العقول بشيء من التجاوز . اما الفنون فهي ـ بالضرورة والحتم ـ شيء جوهري يمارسه الانسان بفطرية ولاغنى له عنه .. ومناشط الفنون لاتقيس العقول بدرجة حضورها او الفتها ـ لكنها تقيس ماهو اعلى ... انسانية الانسان .. اي تكامله بعقله ووجدانه وكله مع المجتمع الانساني ، من هنا تنبع خطورة التربية الفنية في العملية التعليمية ـ حصة (مرة اخرى) الرسم والاشغال هذا كل مافي الامر .. فمثلا في دروس الرسم يقتصر على املاء مجموعة من الموضوعات تتشابه وتتكرر حتى اصبحت محل تندر التلاميذ انفسهم . لاارشاد لقواعد الرسم لاتذوق سوى العلقم مرة اخرى .. الفن داخل النفس حبيس يختلف .. يموت الحس وينعدم الشعور اذ لاصقل برعاهما فيعودان عليه بالرعاية .. ينميهما فينمو معهما والفنون الاخرى غير الرسم والاشغال مثل الفن الجماعي الشامل « المسرح » منوطة هي الاخرى بقوالب تشرف وتوجه .. تسحق اي اثر للتذوق الفني .. اي ميل في العقول للابداع .. المدارس ليست بها

مسارح .. قد تجد مسرحا واحدا او اثنين على الاكثر بكل منطقة تعليمية ولكن في حالة تصيب بالغثيان .. تدخله فتحسب انك في مخزن مهمل .. لارائحة لفن .. بل عفن ولاشيء يذكرك بالمسرح ، اللهم الا خشبة عالية تخشى ان تقع بك لوعليتها . وتقوم المباريات « هكذا » في المسرح .. كل مدرسة « اذا شاءت » تقدم مسرحية واحدة في نهاية العام .. يكون موضوعها وابطالها معروفين « لاابداع » لا ممارسة حرة لهذا الفن العقلاني الخلاق . ويهرب التلاميذ الى دور السينما واشرطة الفيديو حيث الافلام الاجنبية والاعلام الغريب ... وتتوالى معاناة العقل — في مراحل تشكيله — ... يتحول العقل في النهاية تبعا لكيفية وكم المعاناة الى قالب .. الى اناء فارغ .

ومن المناشط التي تأتي بالدرجة الاقل اهمية المعسكرات .. سواء منها ماكان ترفيهيا او للعمل بالقرى والاماكن النائية .. او للكشافة والجوالة والمرشدات .. هذه المعسكرات تلتهم الميزانيات وينظر اليها في النهاية كحسنة تغدقها المدرسة او الجامعة على الشاب او الطفل . ويطلق على الطلاب الممارسين للنشاط بالمعسكرات اسما غريبا «المنتفعين» ونحن هنا لاننفي ان قيام المعسكرات « ينفع » العقول .. ولكن تناول الكلمة من قبل اجهزةالرعاية يعني به المنتفعين بالنقود .. بميزانية المعسكر ... القائمون على اجهزة رعاية الشباب بالجامعات والمدارس قوالب ليس فيها من الرعايةالحقيقية الا الاسم .. لا يحفلون الا بمكافآتهم (انتفاعهم) .. وللعلم فان الجهد الذي يبذل في تحرير التقارير الخاصة بهذه المعسكرات يستهلك اضعاف مايبذل في المعسكرات نفسها والقوالب الروتينية العفنة هي التي تحفظ للمعسكرات قالبها التقليدي .. حيث تمنع التفاعل الحقيقي بين العقول الممارسة من ناحية .. وبينها وبين الحياة حولها من ناحية اخرى ....

— اذا سألت اي طالب عن المعسكرات ابدى دهشة شديدة لعدم معرفته بها .. وان عرف فهو لا يدري ماذا يحدث هناك بالضبط .. وفي

النهاية هو لا يعني ولا يتفهم لماذا هذه المعسكرات .. وما الفائدة منها .. الطالب معذور في ذلك .. فالمعسكرات من وجهة نظره لا تمت للامتحان بصلة ... وهكذا هو غريب غائب يهمه اولا واخيرا - بعد ان تقولب - أن يظل قالبا ... ثم يكبر الى قالب اكبر ... وهكذا .

- وقصص المعاناة البالغة للعقول ، والناتجة عن الممارسة الخاطئة والمحدودة للمناشط تصلح كروايات طويلة .. لكن تظل المعاناة قائمة حتى تصبح روتين الحياة اليومية ... لا تحسها القوالب بل تعتادها . واذا انتقلنا للصحافة المدرسية كصورة للمناشط الحرة كما يجب ان تكون .. لوجدناها قائمة .. يتولى هذه الصحافة غالبا مدرسو اللغة العربية .. يكملون افراغ مالم يفرغ تماما من العقول وذلك جريا وراء القواعد والبلاغة بفروعها .. والتراث والتكبيل به ... والحفاظ على رقابة قاسية اقسى من رقابة اجهزة الامن ذاتها .مجلات الحائط القصائد الصفراء القديمة... لمقالات الحض والنهي والزجر ... لتقريظ الناظر ورئيس الجامعة ... والسلطة في النهاية .. اما المجلات او الجرائد المطبوعة والتي يعول عليها في تفتح العقول ونموها .. فلا أثر لها لافي المدارس ولا في الجامعات .. الا اذا شارك طالب او تلميذ بمقال في مجلة او جريدة رسمية .. اي بكل سياجات وحدود القوالب الكبيرة .. ولا نمل من ذكر المعاناة العقلية .. ذات الآثار الخطيرة على العقل العربي ... معاناة الحد والتقييد .. تقتل كل جديد .. كل نبضة حية في العقل .. حتى يموت فيتقولب .. او يتقولب فيموت .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويندرج تحت المناشط المباشرة واللاصقة بالعملية التعليمية الاطلاع (المكتبة) والمختبرات العلمية والمحاضرات العامة والندوات والجمعيات العلمية المختلفة والمتاحف . ونحن هنا لسنا بصدد البحث في تاريخ ونشأة واهداف هذه الاشياء ولكننا نحاول الربط بينها كمناشط لاصقة بالعملية

التعليمية ، ذات تأثير مباشر وواضح في نفس الوقت فانها تشكل مصدرا من مصادر معاناة العقل العربي .

وقصة المكتبة والكتاب معروفة .. لا تحتاج الى سرد .. المكتبات في المدارس والجامعات وكذا المكتبات العامة ضئيلة العدد .

في المدارس مكتبات لا تفتح ابوابها لاحد سواء من التلاميذ او المعلمين .. الا لجنة من التلاميذ تحت اشراف معلم اللغة العربية أو امين المكتبة .. لجنة تعاون امين المكتبة في حفظ وتصنيف الكتب . لماذا الكتب والمكتبة اذا وقف الغرض منهم على الحفظ والتصنيف فقط .. انهم موجودون للمعاناة .. لا للاطلاع .. المعاناة الدائمة بالحرمان .. ثم التبغيض المعتاد لكل ما لا يحفظ من اجل الامتحان . والمحاصرة المستمرة للمقول بالامتحان تجعل من الكتاب في النهاية شيئا بغيضا مكروها .. التلميذ لا يحب الكتاب لانه لا احد حببه فيه .. واسرة التلميذ لا تعرف سوى الامتحان مقياسا لكل شيء ... البيت ـ الغالبية العظمى من بيوتنا العربية ـ ليس فيه مكتبة او حتى كتاب واحد لسببين اساسيين .. اولا لم يعتد القراءة او الاطلاع احد .. ثم ، ثانيا الثمن المطلوب للكتاب العربي يفوق امكانات معظم الناس .

ان تحديد اماكن الحفظ والواجب (اسم الاعمال المنزلية التي يكلف بها التلميذ) بعدد من الصفحات او السطور ، كذلك تكرار ان هذا الجزء مقرر والآخر غير مقرر ... يجعل من الكتاب عقبة على التلميذ ان يتخطاها .. فما بالك بالكتاب يختاره ويقرأه ... وينفعل به ويتفاعل معه .

ان علاقة معظم الاسر بالكتاب علاقة غريبة شاذة .. لفظ الكتاب مرادف للحفظ والمذاكرة .. القراءة تعني الاستذكار وكثير من «العرب» الآن يطلقون كلمة يقرأ بمعنى يتعلم او يدرس في المدرسة او الجامعة ...

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعلاقة الانسان « العربي » بالكلمة المكتوبة .. المكتوبة فقط .. اصبحت الآن مفقودة الثقة متقطعة الاوصال كنتاج نهائي للمعاناة القائمة من الكتاب .. المصدر الدائم لمتاعب الامتحان من حفظ واستظهار .. ومتاعب الثمن الباهظ .

وفي الجامعة تقوم نفس العوائق السالفة مضافا اليها عقبة كؤود اخرى هي اللغة اللسان الغريب الذي تدرس بـه العلوم في الجامعة . المجتمع « عربي » الطلاب « عرب » .. العلاقة بالكتاب اصلا مقطوعة مبتورة .. واذا بالكتاب الجامعي مكتوب بلغة اجنبية .. حاجز جديد يضيف لهذه القطيعة بعدا جديدا من البغض والتنفير .. يرفع من قدرة المعاناة العقلية .. مقربا بذلك حلول الغربة الكاملة والغياب التام للعقل .

اذا انتقلنا من الكتاب والمكتبة الى المختبر وممارسة التجارب العملية كوجه من وجوه النشاط المباشرة اللاصقة بالعملية التعليمية .. فان الامر يبدو اسوأ بكثير . المدارس لا تسمح للتلاميذ بممارسة اي تجارب عملية .. والمعلم فقط من حقه ارتداء معطف المختبر الابيض والاتيان بالسحر المعجز في صورة تجارب تساهم مساهمة خطيرة في وقع المعاناة الشديد على العقل .. حيث هي غير مفهومة ... غير محسوسة . والحديث هنا عن الاختبارات العملية المدرجة ضمن مقرر الدراسة ، اما عن ممارسة تجارب واختبارات كوجه من وجوه النشاط فليس هناك شيء مثل هذا ... ذلك على حد علمنا على مستوى العالم العربي اجمع .

ان العقول لا يصنعها حفظ واستظهار ما في بطون الكتب ... ولو كانت امهات الكتب وعيونها . فليس كل من حفظ الشعر شاعرا ، ولا كل فني يجري تحاليل عملية عالم ، انما ممارسة العلم البسيط مباشرة تؤتي ثمارها في انضاج وتطوير العقل .. تنبه في العقل نبضات الحياة مفسرة معللة ، ويدرك كل عقل طريقه الاوفق في الحياة لا يختار لنفسه

او يختار له قالب بل يصنع بعقله ــ بنفسه ــ طريقه الخاص ، الذي يصب في الطريق الاعظم **العقل الجماعي للامة** .

وتمارس المجتمعات « غير العربية » كسر حواجز المعرفة وحدود الاسرار في العلم من أجل عقول ابنائها ، ونمارس نحن « العرب » عكس ذلك تماما ... ندعم الحواجز ونحد الحدود .

ان ممارسة واجراء تجارب عملية بسيطة تدغدغ حواس الطفل فلا يهدأ لـه عقل الا اذا خبر بنفسه وعرف .. وهكذا يبدا التفاعل المتسلسل .. كل شيء يعرفه يقيم تساؤلات جديدة ... والجديد يبعث الجديد .. والعقل يعود على نفسه بنفسه نضجا ونموا بصورة اسيه(*) .

والاطفال في المجتمعات غير العربية يبداون في اجراء بعض التجارب البسيطة في سن مبكرة ــ في السابعة او الثامنة من عمرهم ــ مما يجعلهم يالفون الامور العلمية فلا تكون لها رهبة او صفات الاعجاز ، حيث نجد هذه الصفات ــ الرهبة والخوف من العلم ــ موجودة عند اطفالنا وحتى شبابنا الممارسين العملية التعليمية ... بل لسنا نتجاوز كثيرا اذا قررنا ان بعض من يسمون علماء هم ايضا يرهبون العلم ... ولا يعيشونه في حياتهم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والمحاضرات العامة والندوات ليس لها وجود تماما في اماكن كثيرة من عالمنا « العربي » .. واذا وجدت فعلى نطاق ضيق مختنق وفي مواسم محددة ، فضلا على انها تتناول موضوعات غريبة على العقل العربي .. لا تهم انسان العصر ولا تعالج قضاياه ...

(*) العلاقة الاسيه هي علاقة تضاعفية عشرية .. مثلا علاقة أ مع ب تكون اسيه اذا زاد أ وحدةواحدة فان ب يزيد عشرة اضعاف ذلك ، واذا زاد أ عشر وحدات يزيد ب مائة وحدة ... وهكذا .

بل تتناول موضوعات تهم الخاصة .. والقليل النادر منها يتناول موضوعات تتصل بالعلوم . وحتى هذا القليل يحاط فيه العلم بأسياج واسرار وحدود وكأن « العربي » ليس من حقه المعرفة أو ممارسة مناهجها . والعلوم التي تشكل أساسا عمد الحياة لا تحظى من محاضراتنا وندواتنا العامة الا بنسبة ضئيلة .. تقال وتدار بلغة اجنبية تبعدها عن واقع الحياة تماما ... وهي اذا قيلت فعلى شكل قوالب .. من قوالب والى قوالب .. والمحصلة تكريس للقوالب . والقوالب في المحاضرات العامة والندوات ـ ونخص منها ما يتناول الموضوعات العلمية في محاولات دائبة لغرض روح العجز والغموض .. تحيط اي معرفة بالاستار والحجب . عندما يتناول الحديث اي بسيط من الامور العلمية فلا تأصيل بل اعجاز .. واذا تطرق موضوع المحاضرة الى الذرة او النواة او الفضاء كانت الطامة الكبرى .. فلا معرفة او علوم بل خوارق يعقبها خوارق .. والعقل العربي مدان بعدم القدرة على سبر هذه الخوارق والمعجزات ... عليه ان يتلقفها من افواه القوالب واقلامهم .. عليه المعاناة الكبرى بالتجهيل والتقولب .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والحديث عن الجمعيات العلمية ، كالحديث عن الندوات والمحاضرات فهذه الجمعيات ان وجدت فبالاسم فقط ... ولا عمل لها سوى جمع الاشتراكات واصدار مجلات ـ احيانا ـ تتناول فيها موضوعات جافة عن العلم .. واعظم ما في هذه المجلات ان التراث يحظى بنصيب وافر من تمجيد وتعظيم .. حتى يخيل للانسان ان التراث العربي هو وحده صانع الحضارة ومحرك النهضة .. والان عليه ـ التراث ان يجتر هذه المحاسن .. يترحم على هذا الزمن .. ويقنع من العصر بالتخلف حتى يصبح تجسيما له .. قالبا عظيما وسط خضم التفاعلات العقليةالانسانية فلا يشارك بشيء سوى بتذكير الجميع من آن لاخر بأنه يوما ما كان كل شيء ، وكان الاخرون جميعا لا شيء .. وكانه يؤكد ان الاماكن قد استبدلتالان ...

ـ أي قدر من المعاناة محكوم به على هذا العقل .. اذا نبض واتته الضربات .. واذا حلم صدمه واقعه .. الاسطح والحدود التي تقولب فيها .

ـ ومن مفارقات العقل العربي وتناقضاته ما يسمى بالمتاحف سواء منها التاريخي او العلمي ، فبينما يحظى عالمنا العربي بتاريخ وآثار تستطيع رفع المستوى الفني والفكري لمتاحف العالم أجمع ـ دون مبالغة ـ فاننا نراها مكدسة عندنا .. ملقاة في مخازن المتاحف عرضة للتلف والنسيان ، لا يراها المتخصصون الا بشق الانفس . أما المواطن .. الانسان العربي .. فليس له من التعامل معها حسيا وفكريا من سبيل .. ، الاثار لعلماء الاثار وجلهم كان من دول غير عربية لعبت دورا خطيرا في تاريخ العرب الحديث .. هذه الاثار كانت وما تزال مستساغة النهب والسلب بجميع الطرق لتزين بها متاحف الدول الغربية .. بل وبيوت الهواة وعلماء الاثار هناك . ونادرا ما يهتم الانسان العربي بآثاره فهي ملقاة عفا عليها الزمن .. بينما عقله غائب غريب .. محاصر .. ورغم أن زيارة المتاحف التاريخية تثري العقل .. الا ان هذا النشاط ليس له تقريبا وجود بيننا . اما المتاحف العلمية فعلى كثرتها بالمدارس والجامعات فهي عقيمة العطاء .. فالنماذج المعروضة ليس لها شرح كاف ولا منهجه علمية في طريقه العرض لا دليل يشرح ويشوق ويثير العقول .. بل التراب يغطي كل شيء .. حتى الاسماء صفراء مهملة ، وهي عادة ما تختلط نتيجة الامية العلمية للقائمين عليها .

ومن المثير حقا ان ترى المتاحف العلمية مهجورة بدرجة اكبر بكثير من المتاحف التاريخية .. وذلك رغم وجود المتاحف العلمية داخل المدارس والجامعات وهي اماكن تجمع للشباب المهتمين بالعلم او المفترض فيهم ذلك ... والسبب لا يخفى على احد ... فهو حصار الامتحان ... والمتاحف لا تجدي في ساعة الامتحان « حيث يكرم المرء أو يهان » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعموما فان ممارسة المناشط المصاحبة للعملية التعليمية هي ممارسة للحياة ذاتها .. ان اتساق المناشط في اطار التعلم والتعليم يمكن العقل من ان يعي الاشياء ويدرك المفاهيم ويربط في سهولة ويسر بين قاعة الدرس والحياة خارجها .. ربطا فعالا يطلق العقول من القوالب ويحولها الى مفاعلات تعرف وتستنتج .. وتختبر وتبني .. وتندمج في كل واحد هو العقل الجماعي للامة .

ب ـ الاعلام ... يلزم اولا يلزم

اذا كانت العملية التعليمية موضوعها العقل ونتاجه من المعرفة : ومكانها البيت والمدرسة والجامعة .. فان الاعلام هو الوسيط الخاص بنقل تفاعلات الحياة وتعاملاتها من فكر واحداث ومواقف وتوقعات مستقبلية .. وذلك على مستوى الفرد والجماعة والامة والعالم ... واهمية الاعلام بالنسبة للعقل تكمن في انه أي الاعلام ليس مجرد وسيط بل هو وسيط ايجابي بين العقول ... ينقل تفاعلاتها ويحاول بطرق مباشرة او غير مباشرة ان يشكل أو يصنع استجابة العقول المستقبلة لهذه التفاعلات ... من هنا جاء اهتمام الانظمة في كافة بقاع العالم بالاعلام ، حتى أن الاعلام في أي مجتمع صار واجهة للنظام واداة له في توجيه العقول والاهتمامات ... كل الانظمة تدرك ذلك .. في بلاد الشرق والغرب .. وفي بلادنا في العالم الثالث . ومع تقدم وسائل الاتصال .. صارت الحكومات لا تكتفي باستعمال الاعلام لتوجيه شعوبها ... بل ايضا للترويج لقضاياها ومواقفها المختلفة . وبين الاعلام الموجه من داخل البلاد (الوطني او المحلي) والاعلام الموجه من الخارج (الاجنبي) صار العقل يعاني أيهما يستقبل ... وأيهما يصدق ومع التقدم التكنولوجي لوسائل الاعلام وتكثيف وتطوير تعاملاتها بهدف احتواء العقل : اشتدت معاناة العقل الانساني .. وبمرور الوقت ومع احتدام الصراع في كافة نواحي الحياة يشتد الاعلام ذكاء وقسوة وضراوة في معاملة العقل ... وهكذا حتى يخيل للمرء في بعض الاحيان ... وجود حرب ضروس بينهما

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاعلام والعقل . تكاد تكون هذه هي طبيعة العلاقة بين الاعلام والعقــل المدرك بوجه عام ... فيا ترى كيف الحال على وجه الخصوص بشأن العقل والاعلام « العربيين » .

في البداية قد يمكن القول انه ليس هناك اعلام نستطيع ان نطلــق عليه اعلام عربي ... فالشعوب العربية تحكمهما حكومات مختلفة في طبيعة واشكال واهداف نظمها ... وايضا في ارتباطات هذه النظم مع ــ اوفي ذيل ــ القوى العالمية المختلفة ... والاعلام يختلف في خططه وبرامجــه ومنطلقاته السياسية من بلد لاخر في المنطقة العربية ... فهو ليس الا انعكاسا وبوقا لاتجاهات الانظمة العربية .. وهو بتحديد اكثر ليس اعلاما وانما دعاية .. وفارق بين اعلام يحاول ان يتفاعل مــع العقــل ويوجه انفعالاته واحكامه ... وبين دعاية ــ بروباجاندا تحجب عن العقــل اشياء وتسكب له اشياء اخرى لا ليتفاعل معها ... بل لتصنع منه قالبا مثل بقية القوالب ... وهكذا يكون أهم ما يميز الاعلام (الدعاية) في البلاد العربية هو انه غير موجه للعقل ... فهو لا يتعامل معه بطريقة منهجية ... فمثلا عندما تطرا مشكلة خارجية او داخلية ... فان المواطن العربي لا يجد في وسائل الاعلام الصادرة في اي قطر عربي تحليلا او تعليقا او حتى صورة عقلانية لما يجري ... وانما يواجه مباشرة بكلام حماسي عاطفي لا يمثل في أحسن الاحوال اكثر من مجرد ذكر وترديد واطناب لراي الحكومة ... اما كيف توصلت تلك الحكومة لهذا الراي بالذات ... فليست مهمة العاملين في مجال الاعلام ... فغير وارد عندهم أن يتوصلوا الى صياغة او نقل الاحداث او الاراء حوله ، ثم تحليل هذه الاراء ومساعدة المواطن العربي على اتخاذ موقف يعبر فيه عن رؤية عقلانية للاحداث المعنية ... وانما مهمتهم ان يتنافسوا في العــرض الحماسي لراي الحكومة أو الدفاع عن موقفها .. وهكذا لا يتفاعل عقل المواطن مع اراء وتحليلات ومواقف ... وانما يواجه هذا العقل باطناب وتكرار لراي معين ... ولكن بصيغ واساليب مختلفة ... هذا هــو

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حال الاعلام في البلاد العربية بوجه عام ... انه اعلام لا يتعامل مع العقل ... اعلام لا يعقل .. اعلام يفترض غباء المواطن ... او هو يعمل على استغبائه ... والان تثور اسئلة هامة ... ما هو اثر وجود هذا الاعلام على المواطن العربي ... ما هو موقف المواطن العربي من مثل هذا الاعلام ؟ ... ثم سؤال اخير .. اذا كنا نقول ان الاعلام العربي في معظمه لا يعقل ... فهل هناك اعلام يعقل ؟ وما معنى ان يعقل الاعلام او لا يعقل ؟ . ان يعقل الاعلام معناه ان يعقل دوره والمطلوب منه ... وان لا يعقل معناه ان ليس له دور او انه لا يدرك اهمية ان يكون له دور ... ودور الاعلام يتعلق دائما بمن يوجه اليهم هذا الاعلام ... وما هو هدفه من التعامل معهم .. مثلا لا يمكن ان نقول ان دور الاذاعة البريطانية الموجهة للمواطن العربي هو نفسه دور اي اذاعة عربيةبالنسبة لهذا المواطن ... ورغم ذلك فهي ظاهرة معروفة أن نجد المواطن العربي وقد انجذب الى سماع الاذاعة البريطانية وانبهر بها بينما هو قد مل اذاعاته العربية . السبب ببساطة شديدة أن الاذاعة الاجنبية تتعامل مع المواطن العربي وهي مدركة لدورها في التعامل معه ... وهي أيضا تضع في حسبانها كجهاز اعلامي .. انها تتعامل مع عقل ... وهي تحتاج ان تكسب هذا العقل فهي تشعره باحترامها له وتقديسها لافكاره وذلك من خلال تقديمها لمعلومات وبرامج يحتاجها المواطن العربي وبطريقة تلائم مزاجه وتكوينه ... وكذلك مساعدة هذا العقل على فهم ما يدور حوله في العالم من خلال عرض الاراء المختلفة وحتى المتضادة ... ينبهر المواطن وينجذب الى هذه الاذاعة .. التي تحترم عقله او هكذا يبدو وتقدم له ببساطة ووضوح تحليلات مناسبة وعرضا لما يدور في العالم .. وحتى في بلده العربي ، وهو الشيء الذي لا يجده المواطن في اذاعاته الوطنية ... ويواظب المواطن على سماع الاذاعة الاجنبية .. والتي تبدو له امينة .. ملتزمة دائما بموقف حيادي عقلاني تجاه الاحداث ... هذا بينما هي تحرص أن تقدم له دائما في مادتها الاعلامية « غمازات » توجه تفكيره ومواقفه تجاه وجهة النظر الاجنبية من الاحداث ... وذلك بطريقة غير مباشرة لا تتكشف لهذا المواطن المنبهر بهذه الاذاعة الاجنبية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهكذا ... وسيلة الاعلام الاجنبية لها دور ... وهي تعقل هذا الدور وتعمل من اجله بينما وسيلة الاعلام العربية لا تعقل لها دور . ولا تتعامل مع عقل المواطن .. وتكون النتيجة ان يهرب المواطن منها الى غيرها .. او يتقولب في اطار خاص نتيجة لاستمرار تعامله معها . معنى ذلك ان الاعلام العربي يتعامل مع لا شيء ... او مع الفراغ ... فالفراغ هنا ناتج عن هروب المواطن بعقله من وسيلة الاعلام وذلك من خلال رفضه لها او تقولبه نتيجة متابعتها . وان يهرب المواطن العربي من وسيلة الاعلام العربية فهذا موقف ... وموقف خطير ... اذ الى اين يهرب ؟ .. انه يهرب اما الى سلبية ولا مبالاة فتتوه معالمه كمواطن عربي ... لا يتابع ولا يكترث لاحداث بلاده او حتى احداث العالم ... انه لا يدرك اهمية وسائل الاعلام ولا يتابعها او يتفاعل معها بانتظام ... انه يدور في فلك واطار عمل يومي آلي ايا كان نوعه .ان انسانيته تذوب في ساعات عمل او فراغ ... انه يفقد التعرف على النظرة الشمولية للحياة ... وعلى الاهتمام بالوطن وقضاياه ... او الاحداث ومستقبل العالم فيها .. ان الانسانية فيه تتلاشى .. وهذا احد مسارات الهروب ... اما المسار الاخر ، فهو ان يهرب المواطن الى التعلق بوسائل الاعلام الاجنبية فهو يميل الى صوت امريكا او الاذاعة البريطانية ... او يقرا ما يصدر عن دور النشر الغربية أو الشرقية ... الخ ، وسيلة الاعلام الاجنبية في معظم الاحيان ذكية .. تعي دورها وتعقله ... تبهر مواطننا العربي فينجذب اليها .. تحتوي عقله .. فتحتويه .. تؤثر فيه .. فتمتلكه .. انها بمرور الوقت وبازدياد التعامل مع المواطن العربي وترسيخ الانبهار لا تحتاج الى صعوبة في أن تصنع له مواقفه ... ونتيجة لفراغ الساحة من اعلام عربي « يعقل » ، فان علاقة الاحتواء هذه تصير اسيه بمرور الوقت ذلك بالنسبة لحجم التبعية في الراي والموقف .

غير أن مواقف الهروب عن الاعلام العربي والتبعية للاعلام الاجنبي لا تنفي وجود مواقف رفض للاعلام العربي « غير العاقل » أو الاعلام الاجنبي ، او عليهما ... مواقف من منطلقات ترفض استغباء عقل

المواطن العربي . وهنا نذكر موقف الطلاب ـ فرغم المحاولات المستميتة من بعض الانظمة العربية عن طريق التعليم والاعلام في فرض قوالب معينة لا تعقل فان قطاعات الطلاب عموما اينما وجدت تتفاعل مع الاحداث العامة تفاعلا ايجابيا بمعنى انها تصيغ او تتبنى مواقف .. وفي اطار هذه المواقف يعبر الطلاب عن رفضهم المناهج المتبعة في الاعلام ... فمثلا نجدهم ينشرون آراءهم وتحليلاتهم في مجلاتهم الخاصة .. وتكون هذه الاراء والتحليلات رافضة ومناقضة تماما للمسار الاعلامي الرسمي ... كما نجدهم يقيمون الندوات يناقشون فيها الاحداث العامة محلية وعالمية. وبطريقتهم الخاصة . ومن المظاهر المباشرة للتعبير عن رفض الاستغباء الاعلامي للمواطن العربي نذكر توجه مظاهرات الطلاب في مصر عدة مرات الى دور الصحف السلطوية ومحاولة تحطيم واجهاتها تعبيرا عن رفضهم وسخطهم . وتبقى اهم الاعمال الايجابية للطلاب في المجال الاعلامي محاولات جادة لهم في التعبير عن ارائهم والعمل على نشرها من خلال بعض وسائل التعبير كالمسرحية والشعر والاغنية والمجلات الجامعية .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهناك اخرون غير الطلاب لا تنطلي عليهم اساليب الاعلام واكاذيبه ، سواء الذي يعقل او لا يعقل .. ونعني بهؤلاء . البسطاء الذين يحملون عقولا بسيطة لم تشوه بمنهج خاطىء في التعليم او اتفاق مصالح مع اتجاهات محافظة او رجعية .. هؤلاء يفكرون ببساطة .. تقودهم الفطرة في الحكم على الامور واتخاذ المواقف .. ورغم ان مجرد الفطرة ـ بدون خبرة او دراية ـ لا تكفي وحدها للوصول الى مواقف صائبة الا ان الفطرة غير المشوهة عند هؤلاء الناس البسطاء تساعدهم في عدم الوقوع اسرى لاكاذيب اي اعلام وطني لا يعقل او اجنبي « يعقل » مثال ذلك ما اتبعته وسائل الاعلام الامريكية بالتعاون مع اجهزة اخرى في النظام الامريكي ومع الاعلام المصري ـ بتلميع عناصر من المصريين العاملين في الولايات المتحدة بحيث يتهاون عقل المواطن العربي في مصر .. من خلال الانبهار بشخصية المصري الذي يعيش ويعمل بنجاح في المجتمع الامريكي . فبينما نجد بعض المثقفين في مصر مبهورين بشخصيات قدمتها

امريكا للمواطن العربي عن طريق الاعلام الوطني مثل د. فاروق الباز و د. محمد عبد الوهاب ... كعلماء مصريين في الولايات المتحدة يعملون في مجالات بحوث الفضاء والاستشعار عن بعد .. نجد بالمقابل المواطن المصري العادي يسأل نفسه ، اي فارق بين هؤلاء المصريين الذين يعملون في الولايات المتحدة واخرين مازالوا يعيشون بيننا في العالم العربي . ولماذا هؤلاء بالذات تركز عليهم الاضواء دون غيرهم واي خدمات علمية قدموها لمصر ؟ ... وهل مشكلة مصر في غزو الفضاء والاستشعار عن بعد ؟ ... والسؤال الهام الذي لم ينتبه اليه كثيرون من المثقفين ... يظل هو : ما الدور الذي لعبه د. فاروق الباز في تقدم البحث العلمي المصري ... لماذا اختاره رئيس الجمهورية مستشارا له رغم ان مصر المعطاءة جادت وتجود بمئات بل آلاف الخبرات التي تفوق خبرة الباز .. وايضا رغم أن الرجل يعمل في امريكا وليس في مصر .. ان الدراسات التحليلية الجادة تشير الى ان اجهزة البحث العلمي في مصر تعاني التداخل والتعويق لمسارها وفعاليتها بوجود هذا المستشار الذي صنعه الاعلام الامريكي الموجه للمواطن المصري العربي ، فتلقفته السلطة في مصر ليشارك في توجيه البحث العلمي فيها . هذا بينما ارتباطه الحقيقي العلمي والاخلاقي الان ليس بمصر ولا قضاياها . ولقد كان وسيظل الاجدر برجال الفكر والاعلام العرب في مصر وخارجها ان يستكشفوا بالمنهج العلمي امكانيات القوة واسباب الضعف في البحث العلمي العربي ، وكان عليهم ايضا ان يتعرفوا على آراء العلماء العرب في هذا الموضوع من خلال دراسات جادة .

واذ كنا نعتبر الاعلام وسيط خاص بنقل تفاعلات الحياة وتعاملاتها من فكر واحداث وتوقعات مستقبلية فان هناك وسائل اخرى لصيقة به (بالاعلام) تختلف في بعض خصائصها عنه ، الا انها تشترك معه في ان موضوعها هي ايضا تفاعلات الحياة والفكر والاحداث واستكشاف المستقبل ، انها الفنون بصورها المختلفة .. وخاصة ما يتعامل منها بطريقة مباشرة مع الجمهور مثل السينما والمسرح والاغنية ... واهمية

ذكر الفنون هنا في معرض الحديث عن الاعلام ـ ضمن موضوع المعاناة اليومية للعقل العربي ـ تأتي في ان الفنون تتعامل مع العقل من خلال العقل ذاته او من خلال طاقات اخرى كامنة داخل الانسان وذات تأثير هام على العقل والفكر ، مثل الوجدان والخيال . لقد عرف الانسان الفن منذ ان مارس التعبير عن نفسه وعن عالمه . من المهد ومع بداية الوجود طور الانسان الفن وتطور به .. ولان الفن ضروري بالنسبة لكل انسان فهو يبدعه ويمارسه في كل لحظة من حياته او يكاد .. فأنت تغني عندما تفرح .، وتترنم بلحن حزين اذا تألمت .. وانت تمثل في كل يوم مرات ومرات ... انت تواق لممارسة الفن .. وايضا انت تواق للتفاعل مع الحياة والمستقبل من خلال التعبير الفني بصوره ووسائله المختلفة : الكلمة والحركة .. والنغمة والصورة ... الحاجة الشديدة للفن في حياتناجعلت الفنون كما هي ميدان لتطور الانسان والتعبير عن احساساته .. فهي ايضا مجال خصب لبث السموم له ولعقله .. وتأتي السموم هذه في تبدل جوهر الفن من تعبير عن الوجدان والعقل وشحذ للخيال الى اشياء لا معنى لها مثل السح الدح امبو .. وارقص هز البطن ... وحسن حسين حسونة .. وهكذا . وقد يكون التبديل الى اشياء اخرى لها معاني لكنها معان تخدر العقل (مثل مسرحيات فايز حلاوة) او تصنع خيالا لا يأخذ بصاحبه للامام وانما يشده للخلف (مثل مسرحيات مدبولي والافلام والقصص الحديثة عن العصامية والثروات الفجائية نتيجة الاخلاق والطاعة ...) ولسنا هنا بصدد الخوض في النقاش حول قضايا مثارة مثل الفن للفن وغيرها .. وانما ببساطة ووضوح نقول ان الفن وسيلة تعبير وتهذيب وتوجيه وتطوير لامكانيات الانسان ، ولا ينبغي ان يكون اداة لتخدير العقل او القضاء عليه .

واذا كان لكل انسان حي قلب ينبض فان له عقل ينبغي الا يموت... عقل يلزم له اعلام .. ويلزم له فن .. واما عن ممارسات حالية كثيرة مثل البروباجاندا (الدعاية) والسح الدح امبو ... فهذه كلها لا تلزم على الاطلاق .. فهي ليست من الاعلام او الفنون في شيء .. انما هي

ممارسات سامة رجعية ومتخلفة موجودة في حياة انساننا العربي تساهم كما وكيفا في جرعة المعاناة اليومية لعقله .. ممارسات يلزم ان نضع لها نهاية ... ويبقى انه يلزم للمواطن العربي اعلام ... اعلام حقيقي .. ويلزم له فن .. فن اصيل .. يرفعان ولو قسطا من المعاناة عنه ... وعن عقله بالخصوص .

(ج/ غياب المنهج عند اصحابه)

كل انسان يعيش حياته بطريقته الخاصة ... ما في ذلك شك فلكل سلوكه واخلاقياته ومبادؤه وامانيه وطموحه .. ومعنى خاص بحياته ، ورغم ما يبدو من تباين شديد بين الطبائع والغايات .. الا ان الجميع تقريبا ـ بادراك او بدون ادراك ـ يحاول ان يستخدم منهجا ما في سلوكه .. فيخضع له مشاهداته وملاحظاته واحساساته واسلوب الوصول الى طموحاته ... هذا عن المنهج .. اي منهج ، فالمقصود بالمنهج فكر منظم .. طريقة او قواعد للتفكير (واما بالنسبة للمنهج العلمي فهو لا يختلف من مكان لاخر . ولا من مجال للفكر والحياة الى مجال اخر .. فقط نحن نتفاوت في ادراكنا وفهمنا وطريقة تعرفنا على هذا المنهج .. فالبعض لم يسمع عنه ، والبعض رغم عدم سماعه به مقتنع انه يعيش حياته بطريقة مفهومة (لكل شيء سبب واصل .. الخ) .. والبعض الآخر قد سمع عن المنهج العلمي الا انه يمارس حياته بشكل منطقي ـ من وجهة نظره الشخصية ـ مما لا يدعوه الى دراسة هذا المنهج ، والبعض ربما حاول ان يتفهم المنهج العلمي لكنه لم يقتنع بجدواه .. اوانه لم ينجح في تفهمه ... واحيانا نجد من يتفهم المنهج العلمي ويهمل الالتزام به وقليلون جدا من يتفهمون المنهج العلمي ويعيشونه ولا ينفي ذلك ان هناك فئة من البشر يسيئون استخدام هذا المنهج .. فهم يعملون ضد الانسانية مسلحين بهذا المنهج .. علماء كانوا او مهندسين ، يصنعون ويطورون في ادوات الدمار .. وقد يكونون متخصصين في العلوم الانسانية .. يحاولون عن طريق دراستهم لاسرار النفس البشرية وسلوك المجتمعات وتفاصيل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفلسفات المختلفة ان يستنبتوا التمييز العنصري اعتمادا على لون أو جنس او لغة .. الخ او يعطلوا اجراءات التنمية والاتجاهات الثورية في مجتمع ما ، وذلك بالعمل على بث الاشاعات واحتواء العقل وصنع العملاء ... او حتى على اصابة الثوريين انفسهم باليأس والاحباط ... هذه بشكل عام صور الاحتمالات علاقات الجميع بالمنهج العلمي ، منها يبدو واضحا انه **لا يمكن أن نقسم البشر حسب وظائفهم او غاياتهم في هذه الحياة ، او حسب لونهم وجنسهم الى فريق ليس من الضروري له ان يتفهم المنهج العلمي ، وفريق عكس ذلك** .. اذا ان المنهج العلمي حاجة للجميع ولا ينبغي ان يكون وقفا على فئة دون اخرى ... ولا ترفا او اعجازا ... بل سلوكا عاما للجميع ... بحكم الفرد والامه .

اصحـاب المنهـج :

اذا كنا نحن العرب لا ندرك بوضوح اهمية المنهج العلمي في شتى جوانب حياتنا .. لدرجة ان معظمنا لم يفرق بعد بين امتلاك واستخدام منتجات التطور الصناعي من ناحية ، وبين احداث التطور نفسه من ناحية اخرى ... كما ان معظمنا ممن سمع عن المنهج العلمي يعتقد انه مقصور على طريقة عمل الابحاث العلمية او التعامل مع الدرس في قاعات الدرس .. اذا كان الامر كذلك بالنسبة لنا نحن العرب ... فمن المسئول ؟ ودائما عند ذكر « من المسئول » ؟ نصاب بالحرج والخوف والحساسية .. وهذا طبيعي فالسؤال له جديته وخطورته ... وتبلغ خطورته درجة تجعلنا نتخلى عن المنهج العلمي ونحن نضع اجابة عليه فنهرب من السؤال والاجابة ونقول اي شيء . ودليل خطورته انه عند ذكر « من المسئول » هذا يتبادر الى اذهاننا فورا صورا عديدة لشخصيات مختلفة ... كلها من المستويات القيادية العالية مثل الوزير .. العميد .. الاستاذ .. الرئيس ... المدير ... وهكذا فمصطلح المستويات « القيادية » يرتبط مباشرة بمفهوم الاستراتيجية (فن القيادة) .. وبذا فان ذكر « من المسئول » يبعث على الخوف والتلعثم من يريدون التفكير بصوت عال ... وبديموقراطية ... ومصدر هذا الخوف والحرج

ـ باختصار شديد ـ هو غيبه المنهج العلمي ... فعلاقات العمل في أغلب الاحيان ... لا تخضع لشيء بهذا الاسم ، وانما تسير بدوافع شخصية او شللية ... وحيث ينعدم المنهج العلمي ، ينعدم المنطق ويساء فهم القواعد .. (يخاف المرؤوس بطش رئيسه على كل مستوى من مستويات العمل وفي كافة انواعه من سياسة .. وتعليم .. واعلام .. وصناعة .. وزراعة .. الخ) وتتاخر كافة نواحي الحياة .. فنستمر في السير في نفس المكان (مكانك راوح .. أو محلك سر) ... أو تبطء سرعتنا اذا قارنا انجازاتنا الفعلية في التنمية والتقدم بما يحدث في الدول المتقدمة لوجدنا أن الهوة الفاصلة تتسع .. وتتسع .

والمنهج العلمي ليس هو ذاته التقدم الذي ننشده .. **لكنه المايسترو الذي لا يحدث التوافق والتكامل بين قوانا الفكرية والانتاجية ، ولا نحقق أقصى ما يمكن لنا من قوة وتقدم الا باتباع ارشاداته وتعليماته في توظيفنا** للدفين الكامن فينا من امكانيات .

اذا كانت هذه هي اهمية المنهج العلمي في حياتنا ... واذا كنا الى حد كبير نفتقد الى الطريقة العلمية في تسيير كافة امور حياتنا على اختلاف في انواع الاعمال ومستوياتها وفي وجهات النظر .. وحتى في كافة الامور .. فان طرح السؤال : « من المسؤول » يكتسب اهمية قصوى .. ليصبح سؤالا حيويا استراتيجيا .. ولابد له من اجابة ... وحتى نهرب من لعبة البيضة والفرخة .. فاننا سنحدد المستويات التي يتلقى فيها الانسان معارفة والتي في اطارها يكتسب جزءا كبيرا من جزآته الاساسية ... وسنحاول أن نوضح المسؤولية الاساسية للمسؤولين في هذه المستويات بحيث نفترض أن على كافة المستويات التي سنأتي الى ذكرها هناك مسؤولون يحملونها بصورة تلقائية .. بمعنى ان نرفض التبرير باعذار خارج مستوى فعلها ؟. والا فان موجة الاعذار والتبريرات لن تنتهي .. وتستمر وتسود حالة « محلك سر او مكانك راوح » مع اتساع الهوة الفاصلة بيننا وبين التقدم ... هذه المستويات هي البيت (من خلال الوالدين) ومكان التعليم سواء أكان مدرسة أو معهد أو جامعة . (من خلال المدرس) والمجتمع (من خلال رجل الاعلام

والفكر) .. وكلها مستويات أساسية منوط بها مسئولية التعرف على المنهج العلمي وممارسته .. وهي بالقطع ليست بديلا لدور القيادات السياسية .. لكنها في نفس الوقت الاطارات الحقيقيـة لتعميق مفاهيم وممارسات أي تغيير جذري ثوري تدعو له أي قيادة سياسية ثوريـة في أي مجتمع من المجتمعات ... هؤلاء هم أصحاب المنهج .. أو من يفترض فيهم أنهم كذلك ... يعرفون المنهج العلمي ويعيشون به .. وذلك لاهمية دور كل منهم في تقدير غيره على المنهج العلمي وعلى ممارسة الحياة في ضوء هذا المنهج لتحقيق التقدم في قدراتنا على مواجهة أمور الحيـاة بطريقة أفضل . هذا يعني تربية تفتح أذهان الطفل وتنمي استعداداته لممارسة دوره في هذه الحياة .. ويعني تعميق قدرات الطالب على تنمية معارفة بنفسه من خلال رفع قدراته على الحصول على المعرفة وعلى التمكن من الشك المنهجي في تقييم المعلومات وتطوير امكانياته الابتكارية والابداعية، وتعميق ثقته بنفسه وبقدراته ... كما يعني ذلك مساعدة الانسان على تحقيق ذاته في عمله وعلى تطوير قدراته .. ورفع امكانيات تفكيره في كافة مجالات الحياة .. شخصية .. وطنية .. عالمية .. بالعرض الجيد والامين لوقائع الحاضر والتاريخ ... والاحتمالات المستقبل ..

هذه كلها أهداف وغايات توضح أهمية أن يكون الآباء والمدرسون ورجالات الفكر والاعلام أصحاب منهج .. والان .. هل ياترى نستطيع أن نقرر أنهم ـ ولو بشكل عام ـ أصحاب منهج ؟ أي هـل أنهم ياترى يعيشون مع أبنائهم أو طلابهم أو مجتمعهم ككل من خلال تفاعل حياتـي .. بطريقة علمية قد يكون في فحص بعض حالات العقل العربي اجابة على هـذا السؤال :

بعض ممارسات أصحاب المنهج :

تضمن الجزءان السابقان (أ ، ب) اشارات الى الكثير من الممارسات غير الطيبة تجاه العقل العربي .. مثل الاهمال والاستغفال في مجالـي التعليم والاعلام ... ومما يعز على العقل العربي ؛ أن يدرك أن أصحاب

المنهج يعملون ضده في كثير من الاحيان ـ ان لم يكن كلها ... هذا وتبلغ جراة البعض ان يغلفوا السموم لهذا العقل فيما يبدو انه المنهج العلمي نفسه ، ... وفيما يلي بعض الامثلة :

تبدل موقف رجالات الفكر والاعلام مع تبدل الانظمة :

ان يرى شخصان مشكلة واحدة بوجهتي نظر مختلفتين شيء عادي وقد يكون صحيا فمن المفترض انهما يتحاوران ويتفاهمان حول حججهما . وفي النهاية قد تتغير وجهتا نظرهما او وجهة نظر احدهما .. او قد يثبت كل منهما على رأيه .. فهما أحرار .. كل شخص له الحق ان يعتنق اي وجهة نظر تحلو له بشأن اي مشكلة .. ومن واجبه على نفسه ان يحاول التقصي والتأكد من صحة وصواب رأيه ... اما اذا كذب ونافق فان الضرر الى حد ما يقع في اضيق الحدود وقد يمكن تلافيه . هذا بالنسبة للمواطن العادي .. اما ما يتعلق برجال الفكر والاعلام فان الامر يختلف كثيرا فصفحات الجرائد والمجلات ومواد الكتب التي تدخل كل بيت ، ويتعرض لها كل عقل قد افردت لهم ، واي كذب او نفاق .. او حتى خطأ بدون قصد هو جريمة في حق السامع او القارئ . وهذه الجريمة قد تتسبب في تبني المواطن لمواقف خاطئة او قد تدفعه للهرب الى سموم فكرية تعطى له بطريقة اكثر استساغة ... او في حالات اخرى قد تجلب له الخمول والسلبية والاحباط .. هذه كلها اضرار عامة تلحق بالعقل .. عقل المواطن .. وفي النهاية عقل الامة ومن الامثلة الشائعة في هذا المجال ان الصحافة والاذاعة تتبنى اتجاها ما يدعو له رئيس الدولة ... وهي في ذلك تحاول ان تلهب الحماس والعاطفة من اجل الاقتناع والتضامن مع هذا الاتجاه ... ويحدث احيانا ان تتبنى وسائل الاعلام اسلوبا اكثر منطقية بان تحاول عرض المعلومات المتوافقة مع وجهة النظر الفوقية ، . وتستخدمها في التدليل على صحة وجهة النظر هذه ... وقد يقتنع المواطن اولا يقتنع .. المهم انه اذا حدث وتغير الحاكم او النظام وجاء آخر جديد بوجهات نظر على النقيض من سلفه ، في نفس الموضوع .. فان وسائل الاعلام تمارس نفس المنهج « اللامنهج » ..

فتأتي بمعلومات لم تذكر في المرة السابقة ، تؤيد بها وجهة النظر الجديدة وتحاول ان تقنع عقل المواطن العربي بعكس ما حاولت تماما اقناعه في الماضي ... والامثلة من هذا النوع كثيرة في عالمنا العربي .. وليس غريبا على عقل المواطن العربي انبرى رجال الاعلام والفكر في الحالتين هم هم نفس الاشخاص .. لكن آراءهم تغيرت بتغير النظام ... وهنا يقف العقل مغلولا بالاحباط واليأس ... محتقرا لهذه التصرفات التي تشيع عند أصحاب المنهج وهي تصرفات سيئة ضد اعز ما يملك الانسان وهو العقل ... بل هي أكثر اساءة .. وقسوة من الاختلاس او .. القتل .

القضاء على العقل الباحث عند الطلاب :

وهذا الموضوع قد تناولناه في الجزء الخاص بالعملية التعليمية ... وهنا يهمنا التعرض لجانب آخر وهو المعرفة ـ كجوهر تدور حوله العملية التعليمية في المدرسة والجامعة ـ فرغم ان كل درس او فكرة يصلح كأداة مباشرة لتطبيق المنهج العلمي الا انه في حكم النادر ان يحدث ذلك ... وما يجري حاليا في دور العالم العربية من ترديد لما هو في الكتب ثم املاء او توزيع محاضرات جاهزة .. يعقب ذلك الامتحان بطريقة الاستظهار لما حفظ .. كل ذلك يقتل اي ميل فطري للمنهج العلمي عند الطلاب ومن المستحيل ان نقارن طريقة الاملاء او توزيع المذكرات .. بالمنهج العلمي ... ففي الجامعات ـ وفي الجامعة بالذات ـ يمكن القول ان طريقة التدريس التي لا تعتمد على تحويل المعطيات والمعلومات في عقل الطالب ، ولا تسمح بالتدريب على وضع الفروض واختبار صحتها او الوصول الى استنتاجات علمية .هذه الطريقة ليست من المنهج العلمي في شيء .. بل هي تقتل العقل الباحث والمتواجد فطريا لدى الانسان ونحن لا نستطيع الحديث مع الطلاب عن المنهج العلمي مالم يمارسه معهم اساتذتهم في المحاضرة والمعمل والمكتبة .

وبين ان يتخرج عشرات الالوف من الشباب دون ادنى فكرة عن المنهج العلمي ، وان يتخرجوا وهم على دراية بهذا المنهج .. فارق كبير ..

هذا الفارق لابد ان يكون ذا اثر فعال ، ويمكن تخيله اذا تصورنا حالة العقل العربي في الحالتين .

حاجة المواطن العربي للمنهج العلمي .

المقصود بالمنهج العلمي اتباع التفكير بطريقة علمية ، وبايجاز شديد، على الانسان ان يحدد المشكلة التي تواجهه من خلال المعلومات المتوفرة حولها ثم يجتهد في وضع فرض لحل المشكلة وعليه بعد ذلك ان يختبر صحة الفرض .. وفي حالة عدم النجاح فبالتفكير يمكن التوصل الى فرض بديل ، وهكذا ... حتى يصل الى حل مناسب للمشكلة . ولا يعني اتباع المنهج العلمي في حل المشاكل ان هذه المشاكل لابد وان تكون جسيمة او معقدة او خاصة بالبحث العلمي .. وانما هي كل شيء يمكن ان يصادف الانسان بدءا من اختيار طعام الافطار وحتى اتخاذ قرار بالحرب . والانسان العربي كاي انسان في حاجة الى اتباع المنهج العلمي في شتى شئون حياته فمثلا كم عدد الساعات التي ينامها ؟ .. ولماذا ؟ كيف ينظم ناظر مدرسة جدولا للحصص ، ولماذا يختار جدولا بالذات ؟ .. ، متى وكيف يستذكر الطالب دروسه .. اين يضع عامل البناء قوالب الطوب .. على يمناه ام يسراه ؟ ايهما افضل ان يثبت التوقيت ام يتغير صيفا وشتاءا ... ان يزرع كل فلاح ارضه ام تدار الزراعة عن طريق التعاونيات ... ان نرسل بعثات للدراسات العليا ام نستورد أساتذة ... ان نقوم بأبحاث علمية على مشاكلنا ام مشاكل الغير ، .. ان تبيع الدولة الدواء بسعر مخفض ام تعطيه مجانا لكل من يطلبه ... هل نواظب على شراء هذه الجريدة ام تلك ، ... هل هذا الخبر صحيح ام كاذب ... ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهكذا كل صغيرة وكبيرة في حياة المواطن العربي يلزم له ان يؤديها بوعي وادراك ... اي ان يفكر في احسن صور الاداء ، ومواطننا العربي مثله مثل اي انسان في العالم ، الكل عليه ان يفكر في شتى امور حياته .. صغيرها وكبيرها ... غير ان بالمواطن العربي حاجة اكبر للتعرف على المنهج العلمي والالتزام به .. وتأتي هذه الحاجة من الظروف غير العادية التي نواجهها نحن العرب ، تخلف تكنولوجي وعلمي .. ثروات ليست دائمة ... قواعد عسكرية اجنبية .. سوء تخطيط ... ضعف اقتصادي .. انقسام بين الحكومات ... الخ .. كل هذه الظروف وغيرها تستلزم الثورية عند اصحاب المنهج بغية ان تزيد قوة الانسان العربي .. وأن تقل معاناته .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

ملف المعرفة

الشعر المكدوني الحديث
في يوغسلافيا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اعداد وترجمة

عبداللطيف الأرناؤوط

ملامح الشعر المكدوني

للكاتب المكدوني : ميلان دجور سينوف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عرفت التقاليد المكدونية مدا عارما في السنوات التي تلت الحرب العالمية الثانية ، ثم اصابها الجمود بسبب الاحداث التاريخية . فقد كان هذا القطر الصغير ضحية لطوارىء تاريخية لانه يقع في قلب معبر جغرافي هام في بلاد البلقان الجنوبية .

وقد طبعت عاداته وتقاليده العالم السلافي برمته في القرون الوسطى ، بطابعها الى عهد قريب ، وكذلك طاقاته الفكرية الحبيسة التي ظلت خاضعة لشتى التيارات ومنذ ذلك التاريخ،علا شأن الشعب المكدوني، وتطور تطورا خلاقا في اطار الشعوب اليوغوسلافية السائرة في ركب المجموعة الاشتراكية .

وكان لشعر الشعب المكدوني الذي جمع في دواوين متميزة ونقلت قصائده الى لغات متعددة . كان لهذا الشعر صدى واهتمام لما فيه من خصائص بارزة ، وهو شعر يعتمد على ايقاع موسيقي ينبع من لغةشعرية فتية ومتينة على الرغم من حداثة عمرها . حتى ليمكن الجزم بأن الشعر المكدوني الحديث يرتقي تركيبه الشعري الى مستوى الاصالة والتفرد .

ولنا أن نتساءل لحل المشكلات العديدة التي تواجهنا حين نقدم هذا الشعر : ما الاساس الذي يقوم عليه الشعر المكدوني ؟؟ وما تاريخه ..؟؟ وهل يمكن رصد العلاقة التي تربط تطوره الحالي بتقاليده الماضية ؟؟

ان الجهود التي ترمي الى تتبع خيط الاتصال بين ماضي الشعر المكدوني وحاضره تصطدم بمصاعب جمة ، لان التاريخ الادبي لم يقدم بعد الجواب الحاسم لكل ما يعترض الباحث من المشكلات بسبب انقطاع المعلومات عن فترات أدبية تاريخية ، وغياب آثار شعرية مبدعة ، كتبت في فترات من هذا التاريخ الادبي وغابت في ظلام العصور .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولكن على الرغم من هذه الثغرات ، فان التقاليد الادبية تظل مستمرة تلحظ من حين الى حين عبر تاريخ هذا الشعر ثم تتوارى كلما سنحت الظروف . وقد ظل الشعر المكدوني في أغلب الاحوال بمعزل عن التيارات الشعرية العالمية ، ليظهر على صورة مقاطع غنائية متأخرة في القرن التاسع عشر ، أو قصائد اجتماعية ملتزمة بواقع الفترة التاريخية التي تمتد ما بين الثلاثينات من القرن الحالي .

لكن هذه التقاليد الشعرية تنبع ابدا من أعماق الشعب المكدوني ، وضميره الذاتي ، وارادته في الحياة ، وثبات صفاته الفكرية . ولهذا كانت القصيدة تفصح عن ذاتها خارج القواعد المألوفة ، خارج قوانين الكنيسة الراسخة في العالم السلافي . تكشف على الرغم من العثرات عن ظواهر الجزر المتعددة عن سمات الادب المكدوني الاساسية ومرتكزاته الجوهرية : تأكيد الذات ، وعنف المقاومة ولمحات التفاؤل ، وكانت مقطوعة (أوهريد) التي ألفها القديس كليمان على شواطىء بحيرة أوهريد

اول اثر شعري منظوم في ديوان الادب المكدوني ، ثم تابع النظم عبر قرون مغنون شعبيون مجهولون ، حتى انقطعت المسيرة في القرن التاسع عشر الحزين ، وجاء كوستاراسين فكان اول شاعر عصري مقدوني ابان الحرب العالمية الثانية . وقد ترددت قصائده فتقبلتها الاصوات الحية الشعبية عبر النضال ضد قوى الظلم ، والالهام المتعشق للحياة والابداع ثم تاكيد الذات .

ان للشعر الشعبي اثرا بارزا في الحفاظ على التقاليد الشعبية ، فهو حجر الزاوية في الثقافة المقدونية الفكرية . وهو يمثل خاصة اصيلة وعريقة من خصائص الشعب المكدوني .

ان كلمتي : غنى واغنية وردتا منذ القدم في المفردات الشعبية ما قبل السلافية ، مما يؤكد معرفة السلافيين الغناء منذ القديم ، ونظم القصائد الشعبية ارث شاركت فيه الشعوب المكدونية الشعوب السلافية الاخرى في البلقان ، ولا سيما في الازمان السحيقة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ان المؤلف الحقيقي لذلك الشعر هو الشعب برمته الذي له فضل الاسهام في اغناء الصورة الكاملة للارتجال الاولي في الشعر . ولقد نشأ الشعر الشعبي المكدوني ، وتطورت خصائصه الفنية على يد مجهولين من الشعب عبر القرون على الرغم من الظروف القاسية التي كانت تشل الابداع الفردي الحر في انتاج مؤلفيه ، وعلى الرغم من هذه الظروف ، فقد عرفت القصيدة الشعبية ، كيف تستفيد من الواقع لتظهر منه اعمالا ادبية غنائية وملحمية ، تفجرت فيها طاقة العقل وجمال الحس الشعري الشعبي .

ان ما يميز الشعر المكدوني الشعبي خلوده وتأثيره المستمر في الاشكال العصرية للقصيدة المقدونية ، حتى ليكاد المرء يجزم ان اسلوب التحرر الجمالي السريع الخلاق ، والحداثة المعاصرة للشعر المكدوني لم تتحقق بمعزل عن الشعر الشعبي حتى في مطلع الخمسينات حين تحرر الشعر من طابعه الشعبي ، أي من استلهام الشعر الشعبي ، ثم تبدلت نظرة الادب

تجاه هذا الكنز الشعبي . فكانت الدعوة الى الحداثة على اسس تعتمدعلى القديم في علاقة خصبة ملهمة ، يرتبط فيها التجديد بالاصول الفكرية للشعب .

ولقد انتهى حوار الشعر المكدوني المعاصر مع التراث الشعبي الفني الى تجاوز استلهام القديم وقواعده الشعرية ، نحو الاستفادة من هذا التراث في استخدام الفولكلور واقتباس ما فيه من اساطير ورموز .

واستمر ذلك حتى القرن التاسع عشر حين تمت المحاولات الاولى لتحويل الشعر الشعبي الى شعر فردي تقليدي بعد ان بعثت الاداب البلقانية الاخرى . وظل التراث الشعري في نظر الشعراء الاوائل امثال : قسطنطين ميلادينوف ـ وغوريغور برليسيف ـ على ضآلته وقلته في التعبير عن المثل الاعلى ، يدينون له بالولاء .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولعل من المتعذر تمييز الحدود الفاصلة ما بين الالهام الفردي في شعر هؤلاء الرواد واثر التقاليد الادبية الشعبية ، ولكننا نرى في ملحمة (السردار)بطل الشعب . خير مثال للصلة الوثيقة القائمة بين النتاج الفردي والاغنية الشعبية التي تحمل الاسم ذاته . وان تعذر حصول الشعب المقدوني على حريته الوطنية في الفترة التي حصلت فيها كافة الشعوب السلافية على حريتها قد قيضت كل امكانية لتحرير الشعر المكدوني او تطويره تدريجيا . وقد اثر هذا الظرف التاريخي تأثيرا بالغا في نتاج الشعراء الغنائيين من امثال : قسطنطين ميلادينوف ، وغريغور برليسيف . وراجكو زنزيفوف) فقد ظل نتاجهم الشعري الفردي غير مكتمل ، تحفه العثرات والاخطاء الفادحة والفقر الفني . وهذا شأن كل نتاج القرن التاسع عشر برمته . فهو لايقدم تيارات شعرية بل افرادا متعزلين ، غير مفهومين وعلى الرغم من اخلاصهم للفن ومثابرتهم على اجادته ، فان حكمتهم الشعرية ظلت عالقة في براثن

الاطناب والمبالغة والابداعية والكلاسيكية ، والانفعالات النفسية تجاهد للتعبير عن ثورة الضمير والقلق الفكري في وسط ظروف صعبة .

وقد وقف أمام التصميم الشعري لهؤلاء الرواد ما وجدوا من صعوبة في تمييز اللغة العلمية من اللغة الادبية .

ويلاحظ « ميلادينوف » ان « بلازكونسكي » في كتابه « بحث حول الادب المكدوني » العلاقة الوشيجة بين اللغة الشعبية ولغة الشعر الشعبي . ويجدر التنويه أن (زنزيفوف) هو الرائد المباشر للشعر المكدوني المعاصر .

فلقد بقي حتى النهاية نصيرا للتيار الذي يرى ان حل المشكلة اللغوية يتم بايجاد لغة أدبية «مختلطة» بلغارية ـ مكدونية كما جرب «برليسيف» في آخر المطاف وسائله الخاصة اللغوية . فكان يرى تبني قواعد اللغة السلافية القديمة ، وفي هذا المجال يبرز «قسطنطين ميلادينوف» كظاهرة تاريخية ، ويعد كل ما قام به هؤلاء الشعراء او كتبوه شاهدا مباشرا على المصاعب التي عرفها الشعب المكدوني في عصر أفول نجم الامبراطورية العثمانيـة .

وعلى الرغم من جهـود هؤلاء الشعراء لتنوير شعبهم وتوصلهم الى اللغة الخاصة فان تراثهم ظل متواضعا متدني المستوى .

ان شعر (ميلادينوف) يعبر عن غنائية مرهفة وقد حوت لغته القدرة على نقل الاسس الشعبية الى الشعر المحلي ، اما « زنزيفوف » فأسلوبه أقل رهافة . وقد يعزى ذلك الى تنافر لغته ، فكان مولعا بالعبارات الشعبية الفضفاضة ، وبالتعبير عن الانفعال المؤلم والهزائم التي حلت كالقدر ، وتتناول قصائده في الوقت نفسه مشاعره الذاتية .

أما (برسليف) فهو سيد الشعر المكدوني في القرن العشرين غـير

منازع . مع ان عبقريته الشعرية ظلت مغمورة ، لانه نظم اشهر اعماله الادبية قصيدة (السردار) باليونانية ثم ترجمها الى المكدونية ، وما لبث ان وقع في الاخطاء اللغوية حين كتب بالسلافية العامة ، وبعد صعود نجم (راسين) ضاعت معالم المسيرة الشعرية المكدونية طوال نصف قرن .

ويمكن ان نلمح العديد من المحاولات الشعرية في هذه الفترة دون أن يبرز شاعر مشهور ، فالظروف التاريخية القاسية حالت دون اي نشاط خلاق ، في حين شهدت تلك الفترة غليانا ثقافيا وادبيا عنيفين .

وفي مطلع القرن العشرين بذل الشعب المكدوني جهودا تصل الى درجة التشنج لكي يتحرر من عبوديته الطويلة (ملحمة الندن) ولكن ما ان سار في اول الطريق حتى صادفته مصاعب جديدة . حروب وسلب وتقسيم وضم مناطق ، خرج بعدها مشردا من جديد ، محروما من التحرر القومي مسلول الارادة من الناحيتين الانسانية والاجتماعية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فليس عجيبا والحالة هذه ان نرى الصمت يخيم طوال نصف قرن دون انقطاع ، على الرغم من وجود مقاطع جريئة في الثلاثينات من القرن العشرين . حيث نلمح الاصرار الاجتماعي الواضح الاكيد . وبذلك . بدا يترسخ الشعور الشعبي المكدوني ويعي ان لا مجال للوصول الى الحرية الا باحداث تغييرات اجتماعية جذرية في مطلع احداث الحرب العالمية الثانيــة .

ولم يتهيأ الجو المناسب للشعراء الجدد المكدونيين امثال :

(كوستاراسين ــ فانكو ماركوفسكي ــ كول نيدلكوفسكي ــ ميت بوغوفسكي) وآخرين غيرهم بسبب الحرب والثورة للالتزام الشعري او للكتابة بلغة عصرية كما توافر للموجــة الاولى من الشعراء الشبان المكدونيين بعد التحرير . . .

لقد واكب التحرر الوطني للشعب المكدوني التحولات الثورية . وان

مصير هذا الشعب يتضمن هذا المظهر المزدوج . وانعكس ذلك على طابع تطوره الثقافي واسلوبه خلال العقدين الماضيين في الادب . وكان للباعث الادبي أو المحرك للتحرر والثورة مكانة متميزة ولا سيما في الشعر الحديث ، لان الشعر هو الشكل الادبي الاكثر ملاءمة للتعبير عن المعاناة الملحة عبر فهم جديد للعالم . حيث يقف الاديب وجها لوجه أمام الحقيقة الجديدة . ولقد اتجه الاسلوب الشعري الى ترسيخ اللغة الادبية المكدونية . واحتل الشعر في هذا الاتجاه مكانة مرموقة .

ان الادب المكدوني يؤكد تجربة الانسان التاريخية . لان الشعر اقدر الانواع الادبية على نقل تجربة امة تبعث . فهو يكشف عن مواطن القوة والجمال في الكلمة الشعرية المولودة وينقل للاجيال شتى المشاعر .

ولم تسلم مسيرة الشعر المكدوني في العقدين الماضيين وتطوره من العقبات والعثرات . غير ان نضجه وتحرره السريعين جعلاه حافلا بالابداع والاستلهامات المبتكرة ، فسار قدما بتخطي الباطل ، فيطمح ابدا الى التجدد ، وكان تطوره نتيجة للظروف التاريخية التي كونت الثقافة المكدونية بعد التحرر .

وفي هذه الظروف انفتحت آفاق جديدة ، فجرت الطاقات الكامنة في قوى الامة الفكرية ، وتوجب على الشعب ان يجتاز مراحل متنوعة ، ويقوم بتجارب عديدة مرت فيها شعوب اخرى طوال قرون كاملة .

لقد كان خلق الادب المكدوني الجديد مشروطا بصورة مباشرة بتشكيل اللغة الادبية واغنائها ، وكان ارتقاء الشعر العفوي مرهونا بهذا الشرط ، فينهل الشعر من معين الادب الشعبي الفني . وفوق هذا فقد اغتنت اللغة الادبية بتجارب شعراء ما قبل الحرب ، حتى صارت تلك اللغة تمثل صفوة الجهود الخلاقة . فغدت اقدر على استيعاب الادب الجديد الناشيء الذي انصرف الى التعبير عن المشاعر القومية (فانكو ماركوفسكي ــ آكو سوبوف ــ سلافكو يانيفسكي) وغيرهم ، بأسلوب رومانتيكي

عفوي ، وبعث ذكريات الماضي بما فيه من حروب سالفة ، ومعالجة موضوعات العصر .

من هنا كانت الموضوعات الشعرية والاعترافات غير المقنعة والنهج المتخلف العادي . وعفوية العبارات وغنائيتها التي ما زالت تطبعها الى يومنا هذا ، ولقد توجه هؤلاء الشعراء الى سنوات ما بعد التحرير ، فاتجهوا في ادائهم الى ما تدعو اليه مصلحة الشعب وما يطمح اليه الفرد داخل الجماعة ، كل ذلك ضمن مناخ تقدمت فيه الامة نحو مرحلة جديدة . وتجدر الاشارة الى بعض الفروق القائمة بين هؤلاء الشعراء حين نأتي على ذكر تلك الفترة التاريخية البارزة . فقد ارتضى بعضهم ان يساير الزمن في وعي وانضباط لحركة التاريخ ، في حين فسر بعضهم انفسهم بين اختيارهم وشعورهم الضمني ، وفئة ثالثة من الشعراء لم تستطع مقاومة تحديات الزمن ، فخانت مزالق التجديد ؛ وكان من المعوقات ايضا ما يشعر به الاديب من رضوخ فكري ، حتى ارتضى بعضهم التزاما نفعيا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومرت سنوات لم تتميز فيها هوية الابداع الشعري المعاصر فيما كتب من اعمال ادبية شعبية ، وقد كان (راسين) مثلهم الاعلى ، اقتبسوا طريقته اقتباسا آليا ، وكذلك نهجه الفولكلوري ، غير ان هذه المفارقات لم تؤثر تأثيرا جذريا في تطور الشعر المكدوني اللاحق .

وفي مطلع الخمسينات ، وقعت تطورات هامة . اذ بدلت الحركات الشعرية الجديدة التي شملت الوطن ، المناخ الثقافي فيه بصورة عامة . وشمل التغيير المفاجيء الثوري اول ما شمل ميدان الشعر ، وذللت المصاعب التي كانت تعترض الحياة مرة واحدة ، ورافق ذلك تبدل في احاسيس الشاعر ، فالتزمت القصيدة بالتعبير عن الحياة اليومية والامور الجارية واحساسات الاديب ، وكفت عن التعبير للعيوب لتدخل الى ورشات العمل وتصف المناظر الطبيعية والممرات الظليلة ، ولم يتم هذا التحول بسهولة .

وقد عفى الزمن على الخلاف الحاد الذي قام آنذاك حول النزعة الغنائية في الشعر والمعروفة بالنزعة الذاتية . ولا سيما حول ديوان « اشعار الم وفرح » الذي صدر في عام ١٩٣٥ للشاعر (آكو سوبوف) وهو ديوان بدا فيه العداء بين شعر الأغراض العامة ، والشعر الذاتي الشخصي ، مما دفع كثير من الشعراء الى الكتابة وفق الخطة الجديدة . فثاروا على الاغراض العامة ، وتبدلت الاذواق ، واحتلت الصدارة طوال سنين اشعار (آسنين) التي تقوم على وصف الانفعالات والاحاسيس المرضية ... والاعترافات والوصف ؛ وفي هذا الوقت بالذات انبرى شعراء آخرون من الشبان ، يناضلون من اجل موقف شعري اسلم (غوغو ايفانوفسكي ـ سربو ايفانوفسكي ـ جان تودور فسكي) .

ان حلبة الصراع قد فتحت السبيل للمشاركة في المحاكمة والنقد في جو من الحرية وطلب الكمال للخروج من دائرة الاستواء ، واتاحة الفرصة لظهور شتى الافكار في الظواهر الشعرية . ولم يتم هذا الامر دون جنوح ومبالغة فترسخت المشاعر الحزينة ، ومواقف الاستكانة في الشعر ، وان لم يستمر طويلا ، واستفادت اللغة الشعرية فاتسعت ميادينها . ثم جاءت موجة جديدة من الشعراء تحمل افكارا جديدة في ميدان الادب والشعر ، وجهت الادب المكدوني الى آفاق بكر وقد شملت هذه الحركة ابان الخمسينات كل الافكار الادبية في جو من الديمقراطية من غير تزمت اداري صارم ، وتطلعت هذه النخبة الى التيارات العالمية الحية ، فقدمت اعمالا مبتكرة ذات قيمة لصالح تطور الانسانية الاشتراكية اليوغوسلافية، وطرحت جانبا كل الافكار التي توجهت نحو استقطاب مراكز القوى أو الدرائعية في الفن .

كانت هذه الحركات معارضة حادة في الادب المكدوني كما جرى في غيره من الحركات الادبية .. واتجه الادباء اليوم الى معالجة ما كانت قد اهملته القرون الى تحرير الادب من الضغوط الخارجية ، والقبول بأساليب التعبير المختلفة عن شتى الافكار التي هي اكثر حرية وعصرية والقادرة على رؤية العالم وفق اطر جديدة ، وعلى خلاف العصور الماضية،

فان الجو الفكري الجديد قد تسلل الى كل معالم الادب المكدوني ، مما ادى الى تغييرات هامة ، فشنت الحرب على وصف الاماكن العامة ، وترديد القوالب الشعرية ، حرب من اجل تحسين اشكال التعبير الادبي وتطوير جرسها الموسيقي وتحريرها من المعايير المحلية ونقلها الى آفاق انسانية واسعة .

وقد نضج هذا التطور منذ نهاية الخمسينات ، فترسخت اسماء جديدة امثال : (ماتيا ماتيفسكي ـ انتي بوبوفسكي ـ كان اندرفسكي) الا ان معظم ادباء الجيل السابق شاركوا هذا التجديد الخلاق . وخرج الشعر المكدوني من شبه عزلته ، فعرف عهد تحرر جمالي متزايد ، كما ثبتت اقدامه في مجال التركيب الشعري ولا سيما في الشعر اليوغوسلافي المعاصر . وفتح صدره للتجارب الشعرية العالمية ، فحقق مكاسب شتى بوضوح شامل ، وثار حول هذا التجديد غضب النقاد ، لكن القصيدة الشعرية الجديدة ، شملت كل مجالات الحياة . وساير الشعر في مسيرته الحركات الشعرية العالمية ، وانصب جهد الشاعر الى التجديد في قلب المتناقضات واضطراب العالم المحيط به .

وقد أدى هذا الموقف الى تغيير النظرة الادبية الى التراث القديم ، بل بدا وكأن الادباء يتعرفون الآن على الدور الحقيقي لهذا التراث .. التراث الحي الصحيح الذي غدا مثار الهام الشاعر المعاصر وميدان استلهامه ، فهو يشد الرحال الى حركة الشعر عبر التاريخ ، ليكشف الجوهر الاصيل ، والاهداف الفكرية والفلسفية للنتاج الفني المتراكم عبر الحضارات المختلفة التي تركت آثارها في بلاد البلقان .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ان احدى المكاسب الهامة للشعر المكدوني قد صيغ من الذكريات التي تبدو فيها الاهواء العائمة لعالم سلافي .. يشرق فيه بريق فكري للأثر البيزنطي ، ويبرز وجه القرون الوسطى المجهول تقريبا .

وتتمثل كل هذه العناصر في الاسطورة التي هي نقطة الانطلاق في الكشف عن الجذور التاريخية الاساسية المنسية . والتي من خلالها انطلق خط الاستمرار الفكري عبر حقب التاريخ .

واننا لنستنتج من هذا كله ، ان القصيدة المكدونية ارتقت الى درجة الكمال بعد عقدين من التطور الحر ، الخصب ، الذي خلت منه الاضطرابات . فكانت قريبة بشكل ملموس من الحركات المعاصرة للشعر العالمي ، والتيارات الجمالية المختلفة ، واعتمدت في التعبير على قوالب جديدة ، تتضافر لخلق رؤيا جديدة للحياة الانسانية ، وللتعبير عن القلق والفرح والخوف وشتى المشاعر في شروط قاسية أملاها عصرنا المنحرف .

وهكذا بدت ظروف الشعر الحالي في مكدونيا كمجموعة ذات اصوات متعددة من التيارات المختلفة .. تتجدد وتغتني متحرية الكشف عن نغم جديد .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مـاتـيـا مـاتفسكي

يحتل الشاعر / ماتيا ماتفسكي / مكانة مرموقة في الادب المكدوني المعاصر . ولد في استانبول عام ١٩٢٩ من اب مكدوني وام البانية . واتـم دراساته في / اسكوبيا / . واسهم في الحياة الادبية . فعمل محررا في مجلة / بانوراما / الادبية . . وهو يشغل الآن رئيس اتحاد الادباء والفنانين في مكدنيـا .

وبعد / ماتيا ماتفسكي / شاعرا مجددا نظرا لبنية قصائده ودقتها ، وجرسها الغنائي الهادىء والكلاسيكي . وهو من الشخصيات البارزة التي منحت الشعر المكدوني ابعادا حديثة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اجـراس :

ثمـة اجـراس . .
اجـراس في مكـان مـا
هـي امـواج الريـاح
تمـر في ثنايـا العشب
وتطاردهـــا . .

*

ثمـة أجـراس في مكــان مــا
لا تكف عــن الرنـين الناعـم
كـل شـيء ابكـم
يهــدر على الشــاطىء . .

*

ايتها الاجراس الصغيرة
اقذفي بنا عاليا
في سماء شاسعة
تجاوزي حدود القفص
صامتة .. يائسة ..

✶

ايتها الاجراس الموجودة في مكان ما
اضربيني
لتعلمي كم انا مطيع وشجاع
اعيدي برنينك الذكرى ..
ذكرى الزمن العاتي
الذي لا يرتوي ..

✶

ايتها الاجراس الموجودة في مكان ما
انت هناك منذ الازل ..
وستبقين الى الابد
كل شيء يؤذي السماء
وفوق العشب الناعم
ايتها الاصوات المألوفة
دعيني اغني ..

✶

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اكوسـوبـوف

يعد الشاعر / اكوسوبوف / من أبرز رواد الشعر المكدوني الحديث .. ولد في عام ١٩٢٣ في مدينة / ستيب / تقع في شرق جمهورية مكدونيا ، وهو من انصار قصائد النضال الغنائية .. ثم غدا مع الزمن احد عمالقة الشعر الذي كشف عن خفايا النفس ...

وديوانه / اشعار / الذي صدر عام ١٩٥٢ أثار جدالا عنيفا بين النقـاد .

ظل الشاعر امينا للفكرة القائلة : ان الشعر يجب ان يطفح بالمشاعر الذاتيـة ....

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١ ـ نشـيد

علـى أرض وعـرة
امـام تمثـال أخـرس
فـوق كرسـي
اهـزا مـن كـل عابـر لعـين

✲

لتكـن سماء لازورديـة
نجـوما او باقـات مـن الزهـر
او زمنـا حيـا بـين اربعـة جـدران
اقـب القلـب بحريـة
واسـتند الـى قاعـدة التمثـال

✲

٢ ـ ولادة الكلمة

عقدة فوق عقدة
صخرة فوق صخرة
غابة من الحجارة الصلدة

✶

عقدة فوق عقدة
صخرة فوق صخرة
وكلانا من حجارة
يشتعل الليل
ومن ظلامه تخرج الكلمة
ومن اعماقه ..
يحترق الفحم الازرق
انت .. يا الهي ..
تهدهد السماء
وتدير الارض
رباه .. !!
الارض تئن تحت ركام الصخور
طائشة الفكر بموتاها
وتأتي الكلمة التي تلطم الاصداغ

✶

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عقـدة فـوق عقـدة
صخـرة فـوق صخـرة
واحفـر قبـري ..
مزقينـي أيتهـا اللعنـة
انـت قلعـة مـن الحجـارة
فلاحترق في حجـر الكلمـة
ثـم التلاشـي ..

✡

٢ ـ شـهر آب

غفـوت تحت جناح ليـل آب
الـذي يمـوت وهـو ينفـي
للرهبـة الرماديـة المنطفئـة
وعلـى جبهتـي تنمـو وتنضـج
عناقيـد مـن النجـوم
مزروعـة في تربـة طيبـة

✡

غفـوت تحـت جنـاح ليـل آب
وجمجمتـي ملتصقـة بالارض
هـل النباتـات والبـذور
هـل الجـذور التي لا تمل القتـال
هـل تريـد أن تقبض علـي .. وتسجنني

✡

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بوغوميل دوزاك

قد يكون الشاعر / بوغوميل / ممثلا لتيار الشعر المكدوني الذي يمنح الشعر الملحمي اولوية حاسمة بدلا من الشعر الغنائي ، والفكر بدلا من العاطفة ، ضاربا عرض الحائط باللحن .. ذلك الاطار التقليدي للشعر المكدوني ! .

ولا ريب أن الشاعر قد اكتشف الطاقات الشعرية للغة المكدونية الحديثة ..

اعراس :

دربت نفسي لاستقبال الموت
فلا تدع الخيول تنطلق على سجيتها
لأن الارض
ستنشق تحت سنابكها
ما اجمل اعرافها .. !!
ستحملك بعيدا
الى ارض لم تطاها قدم
هناك .. يغرد البلبل
وتمنحني الحبيبة
فرسا جامحا
اجل .. يا / أوكلاش /
آه .. يا حبيبتي
لتكن حياتي فداء
لهذه الاعراف
والاعراس ..

★

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحيــــاة صعبــة
قــد لا تستطيع عبورهــا
لان درعــك مثقــوب
وجراحــك عميقــة .. وخطــيرة ..
ــ ليجرحــوا مــا يريــدون يــا أمــاه
فلــن يخترقــوا القلــب ..

٢ ــ النشيد الســريع

في الحقــل قبلتنــي الريــح
فتألمــت الارض
هــل كــان يوســمي اخصابهــا
ســتكون الشــمس البــذرة الاولى
حــذار مــن أن تنمــو
فالســماء فارغــة
انــا وحــدي ..
اعــرف كيــف امارس الحــب
فمــن سيجنــي المحصــول غــيري

✡

تهب الريــح في القمــم العاليــة
بعــد مــا تركت خلفــي الآثــار القلقــة
كــي يلحــق بــي أحــد
ولمــا اصطدمــت الشمس بالريــح
تحــول الفضــاء الــى خــذروف
ضــاع في مكــان مــا .

✡

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فهيمة سليم

استطاعت الشاعرة / فهيمة سليم / ان تتبوا المكانة المرموقة في الادب المكدوني . ولدت في اسكوبيا وهي من اصل الباني .. تكتب الشعر باللغة الالبانية ...

وابرز ملامح قصائدها انها استطاعت ان تبعث في الشعر المعاصر الثقة بالحياة الاجتماعية .. وان تنقل الى القارىء اللحظات السحرية في عالم غامض .. وهي تستعير الكلمة الرقيقة ذات البعد الحالم لان الشعر في نظرها موسيقا الحياة ومرآة الشعور ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ازهار القرنفل المقتطفة :

كل شيء يستيقظ باكرا
حتى المطر
وتتزحلق الغيوم على الاشجار
وفي العيون يموت جمال الخضرة
ولا اعلم كم من المسرات
طار فيها القلق ولما يعد
احرقت الاعشاب عشه
واقبل الى وليمة العشاء
متطفلا من غير دعوة
ازهار القرنفل المقتطفة ..
والالم ينمو في الالم
فواحسرتاه

كيف تقرع طبول الاعراس
ولا وجود للعروس

☆

البراعم تتفتح
والقرنفل ينمو
وعظمي وعظمك
يتحدان في اللهو
فمن ذا الذي أغلق باب البيت
وفصل بيني وبينك

☆

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

البراعم تتفتح
والقرنفل ينمو
ويكبر ..

☆

فمن بدا منكسا في هذا الوجود
انت أم المساء ؟ ؟
حتى كانت نهايتي ولم أكن ..
القرنفل يحترق دون عظام
وعلى الجدران يتسلق اللبلاب
وانا المتسلقة بلا رأس
وجوادي رمى حدواته
في الحقل ..
فكانت النهاية
دون أن أكون

☆

مـــــراد عيساكو

ولد الشاعر / مـراد عيساكو / في مدينة تتوفا بجمهورية مكدونيا .. بالاضافة انه شـاعر يحلق في اجواء النفوس المرهقـة .. فهـو كاتب روائي .. له عدة اعمال قصصية ..

له مواقف صريحة في الحياة بعـد معاناة طويلة لتجارب الحيـاة .. يصور بكلماته العطـاء الشعوري عند الانسان ..

*

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ امـا مـن زهـرة لـي ايضا .. ؟!

امـا مـن زهـرة لـي .. ؟!
امـا مـن زهـرات
اضفرهـا عـلى جبينـي .. ؟!
فالفكـرة تترامـى كالسهول
وتلهب قلبـي المظلـم
تمتـد دائـرة اللهـب فيـه
وتتسـع
حتـى يكـون فيهـا حيـاة شـعب ونمـاؤه ..
يقـف .. !!
ينتصـب متحديـا المـوت

*

رضعت حنان الحب
من حلم أثداء الامهات
هذه ازهاري الجميلة
التي أشم عبيرها

✡

اما من زهرات
اضفرها على جبيني .. ؟!
اما من زهرة لي ايضا .. ؟
سوداء او حمراء
تقدم لي
في كل غدوة للحقول
أكلمها وتكلمني
فقد علمتني امي
محبة الازهار
حين زرعت زهرة مرقشة
في جبيني
زهرة ربطت بين قلوبنا
زهرة تبحث عنها الشمس

✡

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أكيم فينسا

ولد في عام ١٩٤٧ في قريته / فليشت / القريبة من مدينة /ستردغا/ وبعد شاعرا استطاع ان يلفت نظر النقاد الى نتاجه الغزير .. وهو من اصل الباني عاش في جمهورية مكدونيا .

اختص بالادب الالباني .. ونظم قصائده باللغة الالبانية وله شهرة واسعة في الاوساط الادبية اليوغسلافية .

١ ـ الغرفة الفارغة

سقف هـذه الغرفة
يدلف
قطرة اثر قطرة
في فراغها الرهيب
ووحشتها القاتلة

✶

في سكونها القاتل
لاترى .. ولاتسمع
الا حركة العناكب

✶

في خلوها مـن الحياة
الا من نبض الصمت

✶

في سأمها المنهمر كالمطر
وسعادتها التي تغط

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تلك هي غرفتي
حيث اعيش

*

٢ — لقاء

في احدى الليالي
التقينا . .
انا والامل والفكر
التقينا معا في ليلة ما

*

قال الامل : انا القادم
قال الفكر : ومن يدري
اما انا فبقيت صامتا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

*

قال الامل : انا احقق مايتوق اليه الناس
قال الفكر لن اصدقك
اما انا فبقيت صامتا

*

ثم التقينا في ليلة تالية
انا والامل والفكر . .
انا والامل والفكر
التقينا معا في ليلة ثانية

*

قال الامل : بي تتجدد الحياة
قال الفكر : بي يهتدي الناس الى الغاية
اما انا فظللت صامتا

*

كوتشو راسين

هو نجل صانع فقير .. اضطر منذ طفولته ان يهجر المدرسة لمساعدة والده في مهنته .. واكمل تعليمه فيما بعد معتمداً على جهده الذاتي .. كان لحياة الفلاحين والعمال القاسية ، وكدهم المرهق ، وشقاء المكدونيين البائسين .. كل ذلك كان صدى انعكس على نتاجه الادبي .

ويعد / كوتشو راسين / اول شاعر مكدوني حديث ، وتمثل قصائده قمة الشعر المكدوني ماقبل تحرير وطنه ..

مات ميتة ماساوية عام ١٩٤٣ قبل ان ينهي رسالته الشعرية .. ويظهر في نتاجه القالب التعبيري للتجارب الاجتماعية والفكرية للشعب المكدوني في ظروف الاستبداد السياسي والاضطهاد القومي .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ الميراث

يوم امس
عبرت قلب الغابة الخضراء
تحت الاشجار العالية
فوق بساط من الظلال الكثيفة .

★

مشيت شارد الذهن .. مطرقا
كميت بدون شعور
وكان قلبي مثقلا بالهموم
وفوق صدري صخرة سوداء

★

ايتها الغابة المكسوة بحلل الفتوة
ايها الماء المعذب
يامن تنحدر دموعك لغناء الطيور
يامن تقطب جبينك للشمس الضاحكة
وتبكي الابطال
المدفونين في احضانك ..
في ظلال حناياك
خريرك قصائد رثاء
وحفيف اشجارك الهادىء
انغام حزينة ..
تعيد الينا ذكراهم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

☆

اطل الفجر
وشق نور الصباح كبد السماء
فاستفاقت الارض
ورفرف طائر النهار بجناحيه
بعد تلون ريشه بلون الشروق
واحطت قلبي
بهالة من الارجوان .

☆

احفروا ..
احفروا بئرا عميقة .
وانضحوا منها ماء باردا

اغسلوا بها جراح القلوب
واطفئوا لهيب الهموم ..

★

أيها الفجر الذهبي
يا اختنا الجميلة
تظلين قويه
فهل تحملين الينا يوما سعيدا
يشرق في الوديان والغابات
في الحقول والجداول
في ارض وطني

★

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من أين لي شاطىء وسفح
وجسر قديم يربط بينهما
ومن تحته .. يجري ماء ازرق
اغسل به جراح القلب

★

الموج ..
يدفع المياه منذ قرون
ويجثم كالهم على الوطن
تظل الهموم منذ القدم
وتجري المياه ..
فتجرف امامها كل شيء

وعلى الشاطىء تنبت الطفيليات
وتلوي ..

☆

ايها الماء البارد الازرق
طف على الشطآن
واجرف ماعليها
طف على قلوبنا أيضا
فما نحن الا جدول من نهرك .

☆

حياتك مرة ايها الانسان
هي مصلوبة في الظلام
في قلب عالم جميل

☆

من قلم اجنحتنا البيضاء
ومن عكر ينابيعنا الصافية
فاضطربت نفوسنا الهادئة

☆

من ابعد الانسان عن أخيه
ووضع بينهما حاجزا
ومن جعل الانسان
مستعبدا للانسان ..

☆

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أحمل الجراح الفاغرة
من أخيك
ولتكن حياتك سعيا
من المهد الى اللحد ..

*

يجب ان تعلم والانتساه .
ان تحفظه في ذاكرتك
انك عامل ..
ولابد لك من ان تتعثر
وتقع ..
ثم تقف ..
وتنتصب .. !!

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

*

لتزمجر العواصف حولك
ولتشرق شمسك
فالطريق لك ..
طريق آلامك سيفجر نضالك

*

دروب النضال
موت محقق بلا نهاية
هناك من هو أقوى من الموت
ذلك الذي يناضل في كل درب

*

الى الثورة ..
واسملوا العيون الجريئة
كي لاتبصر النور
حطموا كل يد ترتفع
واثخنوا قلوبهم بالجراح
اطفئوا القناديل في كل مكان

*

هناك طفل وليد
يحيـا في الظـلام
ويكبر ..
يتغذى من ثدي الالم
ويتحمل جراح النفوس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

*

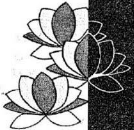
الالم وحده ..
يطلق صراخه .. ويحرق
يؤجج شعلة النفس
فيا بؤس مصير الاقوياء
حين يبرق الالم

*

صدر حديثا عن وزارة الثقافة والإرشاد القومي

فارس زرزور

أبانا الذي في الأرض



قصص

http://Archivebeta.Sakhrit.com

آراء

الثورة .. كيف ؟

«قراءة في حدود اليسار الثوري»
للدكتور نديم البيطار

د. هيثم عثمان

وثائق

أنا إنسان صاحب قرار

سأحدث الأجيال عن نفسي

فلاديمير ماياكوفسكي
ترجمة: د. رضوان القضماني

قضايا

الاستلاب الحضاري في روايتين

محمود سليمان

متابعات

المثقفون والهزيمة

الساعد هاشم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

• آراء

الثـــورة .. كيـف ؟

«قـراءة في حـدود اليسـار الثوري» للدكتور نـديـم البيطـار

د. هيثم عثمــان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قبل نحو مـا يزيد على عشـرة قرون عرفنا نحن العرب دروسا في الحرية والمساواة والعدالة الانسانية... وعرفنا ان كل ما في الكون يسير وفق سنن ونواميس ولا محـل للفوضى والعشوائية في هـذا الكون محكم النظام ... وعرفنا ايضا ان كل مـا في الكون مسخر للانسان سيد الكون لاتنافسه في ذلك اية قوة او مخلوق آخر . عرفنا ذلك ونحن في الصحراء مسافرون ابـدا لا يملكنا زمان او مكان ولا يشغلنا عن التامل في اسرار الكون ترف او نعيم .. فكنا سادة انفسنا قبل ان نكون سادة العالم ...

(*) قراءة في مؤلف الدكتور نديم البيطار .. حدود اليسار الثوري .

عرفنا ذلك قبل أن يعلمنا فلاسفة أوروبا امثال سارتر ــ هيجل ــ سبنسر ــ ماركس ــ ديكارت ــ هيدجر . . . الخ معنى الحرية والديمقراطية والانسانية . وهو ما انفقت فيه اوروبا قرونا عديدة ومذابح رهيبة حتى وصلت الى ما وصلنا اليه قبل الف عام ويزيد .

عرفنا كل هذا وبقينا نتخبط في ظلمات الجهل والتخلف ، يذهب بنا المستعمر ايما مذهب ، ويمزقنا شرّ ممزق ، ونتوه أكثر فاكثر ولا ترانا نهتدي سواء السبيل فننقذ انساننا ونحرره من معيقات التطور . . .

تأتي دراسة الدكتور نديم البيطار « حدود اليسار الثوري » لتقول لنا بلغة اليقين ــ لغة العلم ــ **ان الثورة علم له قوانينه ، فمن أمسك بها** كان النصر حليفه . وليس العرب عصاة على التاريخ والتقدم ، وليسوا الامة الوحيدة التي اتحدت بعد فرقة . . هذا ما تعلمنا اياه تجارب التاريخ الوحدوية تلك التجارب التي تتبع قوانين محددة موضوعية اي مستقلة عن إرادة البشر ، وما على الناس الا وعي هذه القوانين والعمل معها لتفعل فعلها في ارض الواقع .

وقد حدد الكاتب كما يفعل دائما غايته من هذه الدراسة ومن غيرها بناء « نظرية وحدوية علمية جامعة » يمكن ان تكون دليلا للعمل الوحدوي في نضاله الثوري نحو الانتقال من التجزئة الى الوحدة . . .

وفيما يلي من حديث سوف نتعرف على هذا العلم « علم الثورة » الذي يكون به خلاصنا وقد طال انتظاره . . .

يحسن ان نشير باديء ذي بدء الى ان الكاتب يتعامل مع المسألة تعاملا جدليا . هذا يعني اولا ان الانسان صانع التاريخ لاتنافسه في ذلك اية قوة اخرى . ويعني ثانيا بأن الواقع ــ اي واقع ــ يحوي في داخله

كل مبررات تغييره الى واقع جديد . وهذا ما يبرر الحديث عن التغيير والثورة والثوار ...

قبل الخوض في التفاصيل لاباس من وضع اليد على مفهوم الكاتب عن العمل ـ السياسي بتقنياته المختلفة ، سواء مايتعلق منها بالبناء النظري وبالوسائل والادوات المعتمدة في حيثيات النضال الثوري المبرمج .

ثمة عناصر ثابتة في اية عملية تغيير تحصل على ارض الواقع ... هذه العناصر هي :

ـ واقع موضوعي محدد قابل او يمكن جعله قابلا للتغير .

ـ نظرية او دليل عمل نظري يوضح كيفية حصول عملية التغيير .

ـ أداة التغيير .. وتتكون من مجموعة من ابناء المجتمع يتمتعون بصفات خاصة تجعلهم اقدر من غيرهم على قيادة عملية التغيير . وهم مايطلق عليهم في الادبيات الثورية : الثوار او « اليسار الثوري » كما يسميهم الكاتب .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

لنبدا بكشف النقاب عن تلك العناصر الثلاثة وذلك كما يراها الكاتب طبعا وهاكم الواقع لانه المبتدا والمنتهى في اي عمل انساني دون ان ننسى ان القانون او المنهج الذي يحكم الواقع الاجتماعي السياسي ـ من وجهة نظر الكاتب ـ هو المنهج الجدلي او « الدياليكتيك » الذي هو « الاداة التي يستطيع بواسطتها « اليسار » ادراك الواقع في تحولاته الموضوعية وبالتالي التفاعل فيها بشكل فعال والتعرف على ابعاد المرحلة ، اي مرحلة تلك التي تظل خافية على الجميع » .

يتميز الواقع الاجتماعي السياسي بموضوعية مستقلة تكشف عن اتجاهات وتحولات مترابطة مستقلة عن ارادة البشر . ويشير الكاتب الى خصائص ثابتة في الوضع الانساني سوف نتعرض لها تباعا ... فهو

يرى ان « العنصر الاساسي في مأساة الانسان التاريخية والاخلاقية هوميل الانسان الى مقاصد انسانية تدعو الى الخير ، وعجزه عن تحقيقها » . لذا فهو يرى ان المعرفةالعلمية الموضوعية لديالكتيك الواقع المستقل هي التي توفر لنا مخرجا نسبيا من هذا التناقض ، وقدرا من الحرية يسمح لنا بتطويقـــه .

ان العناصر التي تشير الى مايمكن ان يكون عليه مجتمع ما او مرحلة ما في المستقبل ، تكون موجودة في الحاضر ، في الاتجاهات والتناقضات التي ينطوي عليها ويتمخض عنها تدريجيا . وقدرة الانسان على التأثير في الواقع ومناورته ، في سبيل مقاصده ترتبط بالامكانات والتحـولات التي يكون التاريخ نفسه قد افرزها . هنا يأتي دور مايسمى « بالوعي الثوري » الذي يستطيع ويجب ان يوسع دائرة هذا التأثير . هذه الحرية عن طريق تحليلات موضوعية علمية للاتجاهات التاريخية التي تحدد هذه الحرية والاحتمالات التي تدعمها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الواقع الموضوعي هو الذي يفرز المحتمل والممكن . والقوى التـي تحرك التاريخ وتدفعه ، قوى متشابكة مترابطة . يشكل كل تحول فيها نتيجة وسببا لقوى وتحولات اخرى تتجه في نفس الاتجاه . وهذا يعني تراكمات متواصلة تؤدي فيما بعد الى تغييرات نوعية .

الواقع الاجتماعي كل مترابط الاجزاء بما ينطوي عليه من تناقضات وصراعات وتعدد . هذا يعني ان معالجة مشكلة فردية يجب ان ترتبـط بمستوى وطبيعة المعالجة العامة للمشاكل العامة الاخرى . هذا المفهـوم الاجتماعي التاريخي النسبي الذي يميز المنهج الجدلي يعطي اليســار الثوري المرونة الكبيرة التي يحتاجها في صنع الواقع ، ويبعده عن التقوقع .

تتميز المركبات الاجتماعية بأنها تستطيع ان تفرز في ذاتها العناصر التي تدعو الى تغييرها وتجاوزها . فهي لاتخضع للتغيير فقط ، بل تخلـــق الاوضاع التي تحدد هذا التغيير من الداخل ....

الاوضاع الذاتية ــ الافكار ــ الوعي ــ الاطارات النفسية والعقلية ــ القيادات ــ اصالة المشاعر وصدق المقاصد مهمة جدا تستطيع تعثير اودفع الثورة . الاوضاع الثورية لا تستطيع تحقيق ذاتها ثوريا عن طريق النقد والتبشير والمجابهة الايديولوجية . فالواقع لايتغير او يتحول عن طريق الضغوط والتحديات التي يكشف عنها . ولكن عندما تعزز المرحلة ككل « الديالكيتيك الثوري » الذي يخدمها ويساندها . الخطر الذي يهدد الاوضاع الذاتية هو عندما لاتتفاعل مع هذا الديالكتيك ، فيتحول اصحابها الى سخفاء رغم مافد ينطوون عليه من صدق في الافكار والمشاعر ، يتحولون الى مثاليين وتنقطع صلتهم بالواقع ...

هناك اعتراض بأن « المنهج الجدلي » ينكر الاخلاق ؛ والرد هو ان التاريخ يمثل صعيدا اعلى بكثير من الصعيد الذي تقوم فيه الاخلاق اي صعيد الوجدان او الضمير الفردي . فالمواقف الاخلاقية المجردة يجب الا تدخل ــ ولا يصح ان تدخل ــ الصعيد الثوري . فالمواقف والفضائل الاخلاقية : محبة ــ سماح ــ صدق ــ لايمكن ان تقف ضد او خارج هذه الاتجاهات ...

فالواقع الاجتماعي يتشكل من تناقضات تدفعه الى الحركة والتحول . فالزمان التاريخي يتميز بتركيب معين مصنوع من « النقض » . فكل فترة تاريخية تلغي سابقتها اي تجعلها غير واقعية وبالتالي غير ممكنة لانها تتجاوزها . ما يجب ان يكون يولد وينمو من داخل هذه التناقضات المترابطة المتفاعلة التي ينطوي عليها الزمان التاريخي . والزمان التاريخي في ثورة دائمة . هذا يعني ان ليس هناك من ظاهرة او تحول اجتماعي يتشكل من خير او شر مطلق بل ان الشر يتداخل بالخير ويترابط به . فالمفاهيم المطلقة مفاهيم ميتافيزيقية وليست جدلية . كلا الوجهين « الخير والشر » ضروري لتطور المجتمع والتاريخ . والتقدم الصحيح هو في هذا التناقض ، في هذه العملية التي يتم فيها تغليب جوانب الخير .

ان الواقع متحول دوما ، وان كل تصور علمي هو مبدئيا تصور يعاد النظر فيه . فبقدر ما يصبح الوضع القائم لا عقلانيا بقدر ما يصبح الوعي حرا ، لان الوعي وبشكل خاص الوعي الثوري الفاعل في التاريخ هو الوعي الذي ينتج عن الصراع ضد لاعقلانية وضع قائم .

كل نظام ، كل تركيب اجتماعي يحمل في ذاته بذور دماره . ان التصورات الجديدة لاتكون فعالة ان لم تكن التصورات السابقة قد ابتدأت بالانهيار ، وان لم يكن ديالكتيك التاريخ قد افرز الاوضاع الجديدة التي تفترض ظهورها ونجاحها .

☆ ☆ ☆

والآن بعد ان تعرفنا على الملامح العامة للواقع « موضوع التغيير » وعلمنا انه موضوعي يخضع لقوانين مستقلة عن ارادة البشر ، وانه متحول ، ويغص بالتناقضات ، ويحوي بذور دماره وانتقاله وتحوله ... بعد ذلك لنتعرف على العنصر الثاني واعني به « النظرية » لنرى على اي وجه يحددها الكاتب .

« النظرية او الايديولوجيا الثورية تشكل فقط دليلا عاما وليس مذهبا متزمتا تنغلق عليه رؤياه للواقع » .

« ان كل نظرية حول الواقع نظرية مرحلية . لذا يرى المنهج الجدلي ان قضية المعرفة ليست مسألة نظرية ، خصوصا بالنسبة ليسار ثوري يعمل على خلق الواقع من جديد ، ولكن مسألة تطبيقية ، ففي الممارسة والقدرة على تحويل الواقع من جديد ، تستطيع هذه المعرفة التدليل على صحتها . وهدف المنهج العلمي الحديث مساعدتنا على تحقيق وعي للذات ، وتوفير معرفة للعلاقات والقوى الموضوعية التي تحيط بنا . ليس هناك من افكار ، قيم او مبادىء تصاعدية ثابتة ، بل افكار وقيم ومبادىء نسبية

فقط . يجب ارجاعها الى مركبات او اشكال الزمان والمكان الذي تحدث فيه . والقول بأن الايديولوجيا او النظام السياسي الذي يبرز في وضع ما يتحدد اولا بمنطق داخلي ينطوي عليه ، يشكل وهما فكريا غير علمي . فكلاهما يشكل عنصرا في ثقافة او في تركيب اجتماعي ثقافي معين ويتأثر اساسا بهذا التركيب ككل .

ويؤكد الكاتب على ان خصوصية كل واقع تستدعي خصوصية فـي التصور النظري المنبعث عنه فهو يقول : « ان كل ثورة ، كل تحول ثوري يتميز بهوية خاصة يعمل في اطار القوانين العامة للثورات ، فهذا الخاص يعني ان ليس هناك من نموذج ثوري واحد يفرض ذاته دون اعتبار للزمان والمكان اللذين تحدث فيهما الثورة . ومن المهم جدا ادراك هذا الخاص ، وهذا يتطلب جهدا وابداعا فكريا كبيرا ، ودرجة عليا من المرونة والقدرة على التكيف دون ان يؤثر ذلك على الصلابة الايديولوجية التي تميز نظرة « اليسار » العامة الى الحياة والتاريخ » .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

كل استراتيجية ثورية فعالة وناجحة تتميز بنظام مـن الاوليـات ترتبط به ، وبقدرة تكتيكية تعرف كيف تقدم بعض الاعمال وتركز عليها .

كل عمل يحدث في اوضاع معطاة لا سلطة او دخل للفرد في وجودها . لذا فان اول شرط من شروط العمل العقلاني يكون ادراكا صحيحا لهذه الاوضاع كما هي وكما تتحول ، وفي علاقتها مع العمل الذي يمارس ذاته فيها وعبرها .

المشكلة الفكرية التي تواجهها الممارسة الثورية ليست ان تتمـرد وترفض الاوضاع القائمة ، بل ان تدركها ، والمشكلة العاطفية ليست فقط افراز المشاعر ضدها وتحرير الطاقات التي يمكن تعبئتها ، بل ان تكون المشاعر التي تفرزها والطاقات التي تحررها منسجمة متفاعلة مع اتجاه التحول الموضوعي الذي يكشف عنه التاريخ في مرحلة معينة .

هناك ظاهرة واضحة في تاريخ الفكر عامة وتاريخ الفكر الثوري خاصة ، وهي انه كلما زاد ضعفنا في سيادة الواقع وادراكه ، زاد اعتمادنا على الشطحات الاخلاقية والميتافيزيقية . علـى الالفاظ والمزايـدات والتخريجات اللفظية . حينئذ يصبح من السهل على المقاصد الطيبة ان تتحول دون وعي الى نقيضها ...

ولعل من بين اكثر مواطن الضعف الاعتيادية المألوفة في الفكر الانساني نجد ميل هذا الفكر الدائم الى المصالحة بين مفاهيم متناقضة ، والـى شراء الطمأنينة النفسية على حساب المنطق ..

* * *

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نأتي اخيرا الى التعرف على الركن الثالث والاخير في عملية التغيير الا وهو اداة التغيير أي « اليسار الثوري » كما يسميه الكاتب . وقبل بحث هذا البند يحسن ان نشير الى خصائص العمل الثوري والممارسة الثورية بذاتها لنرى بعد ذلك الصفات التي يجب أن يتمتع بها الطامحون الى التغيير من جهة ولتمييز اليسار الطفولي او التبشيري كما يصفه الكاتب عن اليسار الثوري الاصيل .

العمل الثوري لا يستطيع ان يكون فقط الحافز الذي يطور وينضج الوضعية الثورية ويعبر عنها ، ولكن كي يتمكن من ذلك يجب أن تكون هناك وضعية من هذا النوع . ان تكون العناصر التي يمكن لها افراز هذه الوضعية موجودة ومتوفرة . فالمفهوم القائل ــ مباشرة او غير مباشرة ــ بان جراة وتصميم مجموعة او حركة ثورية يكفيان في اثارةالجماهير ودفعها الى الثورة مفهوم خطر وخطر جدا ..

الممارسة الثورية هي دوما ممارسة حلول جزئية ومرحلية . فالواقع الموضوعي لا ينفتح لتحولات سحرية ، لتحولات نريدها لانها اخلاقية ؛

مثالية ، وجميلة من ناحية مجردة، بل لتحولات تنسجم مع وضع اجتماعي تاريخي معين ينفتح لهـا .

يكشف تاريخ الثورات انها لم تكن تنتقل الى مقاصدها دفعة واحدة او في قفزة واحدة . بل كانت تحتاج الى مرحلة طويلة في صنع الواقع في صورتها . فعندما تصح الوضعية الثورية ، والحركة الثورية التي تعبر عنها . فان العمل الثوري وان كان محدودا في بداية الامر . لا يلبث ان يجد نفسه ينتقل من طور الى اخر وبشكل مستقل عن الارادة الثورية التي رافقته عنـد البداية .

من ذلك نخلص الى ان نقطة الثقل في تحديدنا لليسار هي تمييزه بعقلانية موضوعية تعرف كيف توجه الواقع نحو مقاصدها ، وكيف تعمل على تحقيق أهدافها عن طريق وسائل ملائمة . ففي كثير من الاحيان يحدد اليسار الشعبي ويقترن بصورة الرفض في ذاته ، بأكثر الافكار تطرفـا ومبالغة ويتحول الى قضية عنف ودم او كفاح مسلح في المدن أو بعض الجبـال .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يرى الكاتب أن مقياس نجاح اليسار هو الممارسة التي يحاول فيها الدخول الى الواقع الاجتماعي التاريخي . ضبطه وصنعه في ضوء تصوره الثوري حوله . لذا كان من الطبيعي ان يلتزم اليسار الثوري استراتيجية عامة لممارسة ثورية صحيحة . هنا على صعيد الممارسة يجد اليسار الثوري نفسه امام الواقع وجها لوجه وعليه التقيد بجملة من الضوابط الصارمة يقيس بفضلها اعماله المفيد منها والضار ، ويتقي الانحراف او السقوط .. لذا نجـد ان هنـاك نمطين استراتيجيين اساسيين :

١ ــ اما الاعلان عن جميع المقاصد الثورية ومقارعة الخصوم بسرعة كبيرة

٢ ــ أو تقسيم المقاصد والفصل بينها تبعا لتحرك الواقع الموضوعي مـن

موقع الى اخر . ومرحلة الى اخرى . والثورات عادة تلتزم الخطين بدرجات متفاوتة .

يتميز اليسار الثوري اذن باستراتيجية تدرك اولا ما يستحيل في فترة او وضع معين فتقطع علاقتها به ، وثانيا ما هو ضروري اي ما يمكن ان يتمخض عنه الواقع فتلتزم به.ويحقق اليسار الثوري حريته وفاعليته بالوعي الذي يحقق لهذه الضرورة الموضوعية وبقدرته على الاستجابة لها والتفاعل معها .

كيف يتعامل اليسار الثوري مع « نظريته » عندما ينزل على ارض الواقع؟ اليسار الثوري لا يعني افكارا ومفاهيما تحاول اختراق الواقع ، سيادته وتحقيق ذاتها ، بل افكار ومفاهيم تستثير الواقع في كيفية اختراقه وتطويعه لارادته . ولكي تكون تلك الافكار قادرة على تحديد سير الواقع، يجب على هذا الواقع نفسه أن يكون متجها نحوها او قادرا على الاتجاه نحوها . وعلى اليسار ان يعمل ويلتزم ، وذلك بعد ان يتمكن من الكشف عن اتجاه التاريخ الاساسي في مرحلة معينة فيقف الى جانبه يسانده .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

☆ ☆ ☆

مطابقة الاوضاع المتحولة مع العمل الانساني او التحول الذاتي امر يمكن ادراكه فقط كعمل ثوري . مقياس الثورية لا يقاس بالنوايا والمقاصد، بل بالقدرة على توجيه واستخدام الوسائل والامكانات المتوفرة ، في القدرة على تلمس اتجاهات المستقبل في الحاضر وتطويعها لتصوراته . فالنوازع الاخلاقية والتطلعات المثالية تصاب سريعا بالضمور مهما كانت نقية ، ومهما كان الالتزام بها اصيلا ، ان لم تمكس وتمارس ذاتها في الواقع ، في تحويله في وجهتها . لذا كانت ميزة اليسار الاولى التحامه في الواقع من خلال ممارسات عينية ومقاومته للانزلاق والانحراف . فالانسان يميل

بشكل عفوي الى الاهتمام والتفاعل مع الظواهر التي تكون اقرب الى رغباتنا من غيرها .

العمل الثوري يعني ويفترض الانضباط والنظام . وهذا يعني خارجيا ممارسة وسائل عقلانية في تحقيق مقاصده ، وهو يعني باطنيا أي نفسيا وعقليا ان الثوري يجب ان يضبط قواه النفسية والشعورية والعقلية وتحقيق السيطرة على الذات . ان العمل الثوري يعني درجة عليا من العقلنة للشخصية . وهي عقلنة تفترض درجة عليا من كبح الرغبات والاهواء الانية . .

يشير الكاتب الى ان نتائج العمل الانساني بشكل عام ، نادرا ما تأتي منسجمة مع تخطيط سابق لها . للتغلب على هذا التناقض (بين القصد والنتيجة) ينصح المؤلف باعتماد اليسار الثوري على نظرية ثورية جامعة ، واستراتيجيا منفتحة ، مستعدة دائما ان تتحول مع مفاجآت وتحولات الواقع المتحرك . فبدون الوعي الثوري الجامع للمرحلة ككل ، وبدون هذه الاستراتيجية المنفتحة ، يتعثر اليسار الثوري ويعجز عن صنع الواقع في ضوء تصوراته الثورية . اليسار الثوري يتجه ويتحرك مع الاتجاه الذي يتحرك فيه مجتمع معين وتقترن أعماله في هذا الاتجاه . ففي كل مجتمع يكشف عن مرحلة ثورية نجد مواقف وسياسات صاعدة ، واخرى متخلفة ، مهمة اليسار الثوري الكشف عن الاولى والارتباط بها ودعم التحولات الموضوعية التي تقف وراءها وتفرزها . انه في ادراكه هذه التحولات يستطيع في الواقع تقدمها وقيادتها وتحديد المستقبل في ضوئها خروج اليسار الثوري عن هذه القاعدة وهذا الوعي الموضوعي والارتباط الجدلي بالواقع المتحول ، يخرجه من هذا الواقع ويقوده الى موقف مثالي.

فالمثالية هي السعي وراء مقاصد لا يمكن تحقيقها ، وتقسم مظاهرها الى قسمين : العمل باتجاه مقصدين أو اكثر يستثني بعضها البعض الاخر . أو عندما تكون الوسائل غير ملائمة لتحقيق الغايات . والنتائج المترتبة على موقف مثالي كهـذا :

ــ تعثير الحركة الثورية ومضاعفة صعوباتها .

ــ تجميد او بعثرة طاقات ضخمة في مسالك ضيقة غير مفيدة .

ــ اضعاف المقاصد الثورية نفسـها لان الخيبـة تؤدي لانسـحاب الكثيرين منهـا .

ان المثل العليا ظاهرة تلازم الوضع الانساني ولا يمكـن الغاؤها او تطبيقها حرفيا . فدورها التحفيز على النضال في سبيل تغيير الواقع بشكل ينقله الى صعيد انساني أعلى . القصد منها ليس مطابقة تامة ، بل اقتراب هذا الاخير منها باكبر قدر ممكن . القصد منها تحريك الانسان الى تجاوز ذاته ، وخلق المجتمع من جديد وليس ممارسة حرفية لها في الواقع . القول بغير ذلك يعني ضمنا نهاية التاريخ . لان المطابقة التامة بين المثل والواقع تعني ازالة جميع التناقضات التي تدفع الواقع الى رفض وتجاوز ذاتـه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الموقف المثالي الارادي يعمل بوحي مبادىء مطلقة ومقاصد تابى اية تسوية او مساومة . ان العمل الثوري يحتاج الى الموقف المثالي الارادي الذي يختار طريقا معينة تستثني غيرها ، لانه يؤمن بصحتها الاخلاقية ، كما يحتاج الى العمل المترابط جدليا مع الواقع المتحول .

اليسار الثوري يرى في الاحداث صعيدا تجب مناورته بغية توجيهه ، مرحلة مرحلة ، خطوة خطوة نحو قصدها الاخير هذا لا يعني ان النظرية الثورية التي ينطلق منها اليسار يجب أن تكون صحيحة عند المنطلق بشكل

عام ، بل ان تكون ذات صحة موضوعية نسبية ، تعطيه درجة كافية من الهيمنة على الواقع وسيادته ، وتتميز بقدر كاف من النضوج يمكن معه تصحيح النقص فيها عن طريق الممارسة .

هناك في كل مجتمع ، في كل حركة ثورية طاقة نفسية تحاول التعبير عن نفسها ولكن هذه الطاقة محدودة ، هذا يعني بالنسبة لليسار الثوري ضرورة استخدام هذه الطاقة بحكمة ودراية وتخطيط في مجال دون اخر وتركيزها في مجال جديد .

كل استراتيجية ثورية فعالة وناجحة تتميز بنظام من الاولويات ترتبط به ، وبقدرة تكتيكية تعرف كيف تقدم بعض الاعمال وتركز عليها . دور اليسار الثوري ليس في تحقيق اكبر فائدة ممكنة في برهة معينة ، بل قياس كل فائدة ممكن تحقيقها بفائدة النظام الجديد يريد اقامته والذي يجب ان يقيس ويحكم على كل فائدة ممكنة في الحاضر . اذ ذلك يتطلب من اليسار الثوري استخدام وسائل معينة لتنفيذ اهدافه وليست هذه سوى المواد المادية من سياسية واجتماعية ــ بشرية ــ اقتصادية تسمح بالانتقال من صعيد الادراك والتصورات الى صعيد التطبيق والممارسة الفعالة . الارادة التي لا تتوفر لها هذه الوسائل ليست ثورية لان الثورية تعني احداث تحولات في الواقع وصيغ التاريخ . ان استخدام الوسائل المتاحة يتطلب من اليسار الثوري وعيا موضوعيا عميقا وقوي الابعاد ، ومرونة صلبة قادرة على مبادرة الواقع والتاريخ واصالة ثورية .

السؤال الاول المطروح في العمل الثوري هو ما هي القوى التي يمكن تجنيدها او الاعتماد عليها في دفع الثورة وحمايتها في فترة او مرحلة معينة

على اليسار الثوري اعتماد الاستراتيجية والتكتيك كما ورد ، بحيث يعرف متى ينسحب وكيف يناور ويساوم التاريخ والاعداء . فالتكتيك

لا يجد قيمة في ذاته بل في النتائج الفير مباشرة . ان ممارسة التسويات والممارسات الانية التي تفرضها الضرورة التكتيكية تجعل من السهولة نسيان وتجاهل المقاصد العليا . ان الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية الغربية خير مثال على ذلك .

☆ ☆ ☆

مشكلة الوسائل التي يمكن اعتمادها اثناء الممارسة الثورية تفرض نفسها بالحاح على كل يسار . فليس من حركة ثورية تستطيع مثلا ان تتجنب التسويات العابرة او المرحلية مع الواقع ومع القوى المضادة التي يفرزها .

ان الجهد الفكري الكبير الذي يتطلبه الادراك الواعي للمرحلةالتاريخية التي يعمل فيها اليسار وفي جميع ابعادها الاساسية والثانوية ، تحولاتها، هو جهد كبير يميل الناس عادة الى تجنبه بالانغماس في التفاصيل والمشاكل الانية . هذا يشكل خطرا اضافيا يهدد اليسار بالخروج من حركة التاريخ وعلى اليسار التمتع بدرجة عليا من الانضباط ، يحتاج اليه لتأجيل منجزات ونجاحات انية قد تسيء الى مقاصده العليا لانها تتميز عادة بجاذبية كبيرة .

لا يستطيع اليسار الثوري مقدما اختيار مجموعة من الوسائل التكتيكية التي يجب اعتمادها ، لانها جزئية آنية مرتبطة بظرفها . القيادة الثورية الكبيرة هي التي تحدد كل هذه الامور .

☆ ☆ ☆

ولا ينسى الكاتب التعرض الى ما يسميه « اليسار الطفولي او التبشيري » فيحدده على النحو التالي : دعي يسارا تبشيريا لان الاطارات

الفكرية التي ينطلق منها هي اطارات اخلاقية ومثالية تحاول فرض تصوراتها المجردة على الواقع دون تفاعل جدلي معه وبشكل بعيد عن القوانين والقوى الفاعلة فيه والدافعة له .

هذا اليسار يشطر الواقع شطرين متناقضين محورهما الخير والشر ويرفض التعامل مع الشر ويركز على المقاصد . ويحاول فرضها على الواقع دون استيعاب موضوعي . والانقسام يحصل عادة داخل اليسار بين التبشيري او المتطرف وبين اليسار والصحيح . اصحاب اليسار التبشيري يتميزون بروح التشيع المغلق . فهؤلاء لا يرون الثورية خارجهم، لذلك ينحرف اصحاب اليسار التبشيري . خروج اليسار التبشيري عن حركة الواقع يجعله يبرز في الطاقة الكامنة ويصرفها في مجالات غير مفيدة . والشعب يكون من ناحية مستعدا للتضحيات مهما كبرت عندما يكون مقتنعا انها ذات قيمة في تحقيق مقاصد يتطلع اليها ، إن كان الشعب مقتنعا بهذا فان آماله الثورية تستطيع انذاك ان تكشف عن طاقات هائلة مخزونة لم تستخدم بعد . وان تحرك طاقات مماثلة حتى بين الجماعات التي كانت تتميز سابقا باللامبالاة تجاه قدرها الاجتماعي السياسي . لهذا فان اليسار التبشيري يواجه عاجلا او آجلا يوم حسابه . لانه يغدو عاجزا عن تغيير الواقع فيخسر ما كان يتمتع به من ولاء وينتفض الشعب عليه بسبب تضحيات ذهبت هدرا . هذا الخروج من الواقع والعجز عن التعامل معه جدليا يقودان الى انقسامات مستمرة في صفوف اليسار التبشيري تقضي عليه نهائيا .

الحركات الثورية التي تستطيع ان تتفاعل مع الواقع تنشغل بذلك عن ذاتها ، وتكشف عن وحدة قيادة وصف هي النقيض التام للتمزق الذي يكشف عنه عادة اليسار التبشيري . .

جميع التنظيمات الثورية تحوي بين صفوفها كثيرا من العاجزين عن التفكير الموضوعي او الانتقادي . وهؤلاء دخلوا بسبب جاذبية المشاعر ،

ARCHIVE

او لمصالح معينة ويشكلون عبئا كبيرا على الثورة وذلك بسبب تبسيط المفاهيم والوقائع .

عزلة اليسار التبشيري النفسية تصبح ثقيلة الوطأة وتشجع على الاتجاه الى اعتماد الارهاب في ذاته طريقا في التعبير عن تصوراتهم الثورية .

الاستيلاء على السلطة يضيف بعدا جديدا إلى اليسار الثوري ، يفرض عليه او على الثورة بعدا جديدا يقلب نقاءهما الثوري السابق ويجنح بهما في اتجاه سمة محافظة عند مقارنته بالاتجاه السابق .

في الختام يحسن ان ننبه الى قناعة اطلقها الكاتب في نهاية دراسته هذه تفيد بانه لا يمكن ظهور تجربة ثورية جديدة كليا على الاقل في المستقبل القريب ، لان هناك استمرارية في التجارب الثورية الحديثة والتي لم تستنفد اغراضها بعد .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكما قلنا في مبتدأ الحديث ، كانت غاية الكاتب من هذه الدراسة ومن غيرها بناء نظرية وحدوية جامعة تمكن العرب من تحقيق وحدتهم العربية هذا الهدف الذي كان وشيك الحصول في المرحلة الناصرية في خمسينات هذا القرن ، عندما كانت مصر تقوم بدور الاقليم القاعدة .. ويعزو الكاتب فشل تلك التجربة الوحدوية الى عدم توفر الشروط الضرورية لليسار الثوري الذي كان يعمل بعيدا عنها على ما يبدو .

اخيرا نعود للتذكير بالفكر الاساسية التي ركز عليها الكاتب في دراسته : « حدود اليسار الثوري » وهي أن تعبير الواقع امر حتمي وما على « اليسار الثوري » سوى معرفة متى يكون الواقع قابلا للتغيير لقيام الثورة ..

☆ ☆ ☆

وثـــائـــق

أنــا إنســان صاحب قرار سأحدث الأجيال عن نفسي

فلاديمير مايا كوفسكي
ترجمة: رضوان القضماني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الموضوع : شاعر أنا . في هذا تكمن طرافتي . لهذا أكتب . ولا أكتب عن شيء آخر إلا دفاعا عن الكلمة .

ولدت في ٧ حزيران عام ١٨٩٤ (أو في عام ١٨٩٣ ، لان ذاكرة أمي لا تتطابق مع قيود ابي . وفي كل الاحوال يمكنني أن أجزم انني لم أولد قبل هذا التاريخ) .

مسقط راسي بلدة باغدادي بمقاطعة كوتايسكايا في جيورجيا . ابي ـ فلاديمير قسطنطينوفيتش ، مدير منطقة حراجية ، توفي عام ١٩٠٦ . أمي ـ الكساندا الكسييفنا . اختاي : لودا و اولي . ولا اظن ان في عائلة الماياكوفسكي افرادا آخرين .

جذور رومانسية : اتذكر بيتنا الاول بجلاء تام . بناء من طابقين . نسكن في الطابق العلوي منه ، وفي الطابق السفلي مصنع للخمور . مرة كل سنة تأتي عربات العنب . يعصرونه . آكل انا وهم يشربون .

كانت هذه المنطقة قرب باغدادي قلعة جيورجية قديمة ، يعطيها السور الذي يطوقها شكل مربع قائم الزوايا ، وفي كل زاوية مصطبة نصب عليها يوما ما مدفع . وفي السور فتحات لاطلاق النار . امام السور خنادق ، ووراء الخنادق غابات والبناء آوى . وفوق الغابات جبال . كنت اعدو لاتسلق اعلى قمة ، وتهبط الجبال نحو الشمال . وفي الشمال فج عميق . انها روسيا التي احلم بها ، تشدني الى هناك بقوى عجيبة . كان عمري سبع سنوات عندما بدا ابي يصطحبني معه على فرس في جولاته بالغابة . الليل ، والمضيق الجبلي ، والمدق الترابي الضيق ، والضباب الكثيف الذي يطوقهم الى درجة تجعلني لا ارى ابي علق غصن عليق بكم ابي ثم افلت ليلسعني على وجنتي . فزارت اسناني ورحت انتزع الاشواك من وجنتي . وفجاة ، اختفى الضباب والالم . صارت الارض تحت اقدامنا اصفى من السماء . انها كهرباء معمل الامير ناكاشيدزه . رايت الكهرباء فكففت عن الاكتراث بالطبيعة ، انها شيء لم يكتمل .

التثقيف : علمتني امي وكل بنات الخال والعم . بدا لي ان الحساب غير مطابق للواقع . كان علي ان احسب التفاحات والاجاصات التي وزعتها على الاولاد الذين كانوا يعطونني ويأخذون مني دون حساب ، ففي جبال القفقاس من التفاح مالا يمكن احصاؤه ، الا انني تعلمت الحساب بمتعة .

الكتاب الاول ـ « افانيا مربية الطيور » . لو وقع في يدي عدد من امثال هذا الكتاب لتركت الحساب وانصرفت للقراءة كليا . ولحسن حظي كان الكتاب الثاني « دون كيخوت » . ياله من كتاب . صنعت سيفا ودرعا من خشب ورحت اهاجم كل من يحيط بي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الامتحان : رحلنا من باغدادي الى كوتايس . وكان علي تقديم امتحانات القبول بالمدرسة الثانوية . صمدت . سألوني عن الرساة على كم معطفي . فاجبتهم باسهاب . الا ان القسيس سألني ما تعني كلمة « اوكـه » فاجبته « ثلاثة ارطال » ، هكذا تعني كلمة اوكـه باللغة الجيورجية ، لكنهم شرحوا لي بأدب جم ان الـ « اوكه » هي العين باللغة السلافية الكنائسية القديمة . وبسبب هذا كدت أسقط في الامتحان. ولهذا صرت على الفور أكره كل شيء كنائسي وكل شيء سلافي قديم ، وربما كانت هذه بدايات المستقبلية (فوتوريزم) والالحادية والاممية عندي .

المدرسة الثانوية : السنوات التحضيرية . الصف الاول والثاني . انا الاول في الصف دائما ، اقدم امتحاناتي بدرجة امتياز . اقرا جول فيرن والقصص الخيالية عموما . واحد من اصحاب اللحى صار يعثر في على مواهب بالرسم فراح يعلمني دون مقابل .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحرب اليابانية : ارتفع عدد الصحف والمجلات في بيتنا : « الكشوف الروسية » ، « الكلمة الروسية » ، « الثروة الروسية » وماجرجرهم . اقرؤها كلها فتستفزني دون حساب .

العمل السري : جاءت اختي من موسكو . كانت مشبعة حماسا . اعطتني سرا قصاصات ورق طويلة . اعجبتني جدا . مخاطرة كبيرة . اذكرها الى الآن . القصاصة الاولى :

استيقظ يارفيق ... اصح يارفيق

اسرع والق بالبندقية ارضا

تلك كانت ثورة . كانت شعرا ، فالتحمت الثورة والشعر معا في راسي . عام ١٩٠٥ . قامت المظاهرات والندوات والاجتماعات . رائع .

اتذكر هذا كله واتصوره تصورا حيا : الفوضويون بالاسود . والاشتراكيون الثوريون بالاحمر ،والاشتراكيون الديمقراطيون بالازرق ،اما الفيدراليون فبكل الالوان الباقية .

الاشتراكية : كلمات وجرائد . وفي كل هذا كلمات ومفاهيم لا اعرفها. اطالب نفسي بالشروح . اشتري هذه الجرائد كلها . انهض في السادسة صباحا . اقرؤها حتى الثمالة ... اصابني الذهول طيلة حياتي من موهبة الاشتراكيين تحليل الاحداث وتنظيم الكون ... اخذوني الى احدى الحلقات الماركسية . صرت اعتبر نفسي اشتراكيا ديمقراطيا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عام ١٩٠٦ : توفي ابي . انغرزت ابرة في اصبعي وانا اخيط لوراقا فسرت عدوى الى دمي . ومنذ ذلك الوقت لا احتمل اي نوع من الابر او الدبابيس . انتهت حياة الرفاه. لم يكن لدينا بعد وفاة ابي ثلاث روبلات. وفي حمى الاحتياج بعنا الطاولات ثم الكراسي وتحركنا نحو موسكو . لماذا ؟ لم نكن نعرف احدا هناك . استاجرنا شقة في شارع برونايا .

في مدينة موسكو : كانت حالتنا الغذائية سيئة . فراتب ابي التقاعدي عشرة روبلات . انا واختاي مازلنا ندرس : لذا اضطرت امي الى تاجير غرف في شقتنا مع تقديم وجبة الغداء . كانت الغرف قديمة والمستأجرون فقراء . كانوا من الاشتراكيين .

العمل : لم يكن لدينا قرش واحد من المال . صرت ارسم واكوي الخشب . اتذكر بشكل خاص بيض عيد الفصح . بيض كروي يدور ويصر كما تصر الابواب . كنت ابيع هذا البيض في محل للصناعات اليدوية في شارع نيغلينايا . كل بيضة ب ١٠ ـــ ١٥ كوبيك . ومنذ ذلك الوقت وانا امقت هذا الطراز الروسي وتلك الصناعات اليدوية .

المدرسة الثانوية : انتقلت الى الصف الرابع في الثانوية الخامسة . علاماتي كلها أصفار وبضع علامات ضعيفة تتناثر هنا وهناك . في درج مقعدي يرقد دائما كتاب : « ضد دوهرينغ » .

المطالعة : لم اكترف حينها بالروايات الادبية . الفلسفة . هيغل . العلوم الطبيعية . والاهم من هذا كله : الماركسية . لم يكن هناك اي نتاج فني يمكنه أن يجذب اهتمامي أكثر من « مقدمة » ماركس . كانت المنشورات السرية تتسرب من غرف الطلاب : « تكتيك معارك الشارع » وما شابه ذلك . كما أذكر جيدا كتيب لينين الازرق : « خطتان تكتيكيتان » . اعجبني انه كان دون هوامش ، يبدأ السطر من حافة الورقة . ضرورات التوزيع السري . جمالية الحدود القصوى من التوفير .

أبيات الشعر الاولى : صدرت في الثانوية الثالثة مجلة سرية صغيرة اسمها « بوريف » (الوثبة) فاخذت على خاطري . الآخرون يكتبون وانا لا استطيع ذلك . اخذت أخربش . نتج عن ذلك شيء ثوري عجيب الى درجة كبيرة ، لكنه شنيع بالدرجة نفسها ، يشبه ما يكتبه كيريلوف الآن . كما انني لا اذكر بيتا واحدا من تلك القصيدة . كتبت قصيدة ثانية فكانت غزلية ، الا اني القيت بها جانبا لانني كنت اعتقد أن حالة قلبية مثل هذه لا تتلاءم مع « هيبتي الاشتراكية » .

الحزب : في عام ١٩٠٨ انتسبت الى حزب البلاشفة . صرت داعية . توجهت اولا الى الخبازين ثم الى الاسكافيين وأخيرا الى عمال المطابع وفي مؤتمر المدينة العام انتخبوني عضوا في اللجنة المنطقية للمدينة ... صار اسمي التنظيمي : « الرفيق قسطنطين » ، لكنهم لم يتيحوا لي فرصة للعمل لانهم اعتقلوني فورا .

الاعتقال : في ١٣ آذار ١٩٠٨ وقعت في كمين بحي « غروزينيني » حيث تقع قطعتنا السرية . اكلت دفتر الملاحظات بغلافه الكرتوني وما

يحتويه من عناوين : اخذوني الى قسم سوشفسكايا . ظن المحقق نفسه ذكيا فارغمني على كتابة ما يمليه علي . اتهموني بكتابة المنشورات . رحت ارتكب الاخطاء واحرف المعنى . كتبت مثلا : ديموإشتراكي (بدلا من اشتراكي ديمقراطي) . وكتبت : « اخذوني على كفالتهم » بدلا من « ضموني اليهم » وهكذا ... اطلقوا سراحي فمارست العمل الحزبي سنة ثم اعتقلوني من جديد .

الاعتقال الثالث : يقوم الرفيقان كوريدزه وغيرولايتس اللذين يعيشان بيننا بحفر نفق تحت تاغانغاكي ليحررا النساء المحكومات بالاعمال الشاقة. كما نجحنا بتنظيم هروب من سجن نوفينسكايا . فاعتقلوني من جديد . لم تكن لي رغبة بالمكوث في السجن . تحرشت وتشاجرت فراحوا ينقلوني من سجن الى آخر ... مكثت في سجن « باسمانايا » و « فيشانسكايا » و « ميانسنتسكايا » . . . واخيرا في سجن بوتيركي في الافرادية رقم ١٠٣ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١١ شهرا في بوتيركي : انها اهم فترة زمنية بالنسبة الي . بعد ثلاث سنوات من العمل النظري والتطبيقي انكببت على قراءة الروايات . قرات الجدد كليا . الرمزيون . بييلي . بالمونت . استهوتني جدة شكليتهم . الا انها كانت غريبة عني . لم تكن موضوعاتهم وصورهم من حياتي . حاولت ان اكتب بالجودة نفسها ولكن عن امور اخرى . كتبت دفترا كاملا ففهمت انه لا يمكن الكتابة عن امور اخرى بالطريقة نفسها . شكرا لحراس السجن الذين صادروا ذلك الدفتر فانقلوني من نشره . قرات الادب المعاصر وانقضضت على الادب الكلاسيكي . قرات بايرون وشكسبير وتولستوي . كان الكتاب الاخير : آنا كارنينا . لم استطع ان اتمه . استدعوني ليلا : « مع امتعتك الى المدينة » .

المعضلة : خرجت مشوشا . اولئك الذين قراتهم يسمون بالعظام . لكن كم من السهل ان نكتب افضل مما كتبوا . نشأت بيني وبين العالم

الآن علاقة سليمة ، الا أن الخبرة الفنية تنقصني . اين احصل على هذه الخبرة ؟ فانا لم اكمل تعليمي . يجب أن أجتاز مدرسة جدية . لكنهم قذفوا بي من المدرسة الثانوية ... بالحظ الرفاق الحزبيين الآخرين ، فقد حصلوا على تعليم جامعي ... كيف استطيع أن اواجه الجمالية القديمة التي انهالت علي . الا تطالبني الثورة بانهاء مدرسة جديــة ؟ دخلت على سيرغي ميدفيديف ، الذي كان حينها رفيقا : « اريد أن اخلق فنا اشتراكيا » . ضحك سيرغي طويلا : « مصرانك ضيق » . الا انني اعتقد انه لم يعط « مصراني » حق قدره . انقطعت عن العمل الحزبي وانصرفت للدراسة .

لا استطيع ان اكتب الشعر ، خبرتي يرثى لها . انصرفت الى الرسم . انتسبت الى معهد الرسم والنحت والعمارة لانه المعهد الوحيد الذي قبلت فيه دون شهادة حسن سلوك . اشتغلت فيه بنشاط . اذهلني في المعهد انهم يدللون المقلدين ويطردون المستقلين .

دافيد بورليوك : ظهر في المعهد وجه جديد ، انه بورليوك . مظهر وقح ونظارات وسترة . يمشي مترنما باغنية . صرت اتحرش به فتشاجرنا .

في غرفة الاستراحة : امسية نبيلة . حفلة موسيقية . راخمانينوف . « جزيرة الاموات » . هربت من ذاك الملل الرخيم الذي لا يحتمل . وفي اثري خرج بورليوك . التقينا وجها لوجه وانفجرنا ضحكا ، ثم ذهبنـا نتسكع معا . دارت الاحاديث بيننا ، من الملـل الرخمانيني الى ملـل المعهد ، ومن ملل المعهد الى ملل الكلاسيك كله . كان لدى دافيد غضب فنان ماهر سبق المعاصرين ، وكانت عندي حماسة اشتراكي يعي تماما حتمية انهيار القديم فتولدت منا معا المستقبلية (فوتوريزم) الروسية . كتبت في النهار قصيدة ، بالاصح ، مقاطع من قصيدة سيئة ، لم انشرها في اي مكان . في الليل ، في شارع سريتنسكي بولفار ، قرأت على بورليوك

تلك المقاطع . توقف دافيد . تاملني من راسي حتى اخمص قدمي وقال : « هل كتبت هذا كله بنفسك ؟ ... انت شاعر عبقري ! » . سرني جدا ان يطلق علي مثل هذا اللقب فانصرفت الى الشعر كليا .

في تلك الامسية صرت شاعرا .

في الصباح ، عرفني بورليوك على احدهم . لعلع صوته : « الا تعرفه؟! انه صديقي العبقري الشاعر المشهور ماياكوفسكي » لكزته بشدة ، الا انه عنيد دائما ، فصرخ بي وهو يبتعد عني : « اذهب الآن واكتب . والا ستجعلني في وضع حرج امام الناس » .

وكان علي ان اكتب . فرحت اكتب وانشر .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بورليوك الرائع : اتذكر بورليوك دائما بحب بالغ . صديق رائع . معلمي الحقيقي . جعل مني شاعرا . قرا علي الفرنسيين والالمان . قيم لي الكتب . كان يمشي ويتكلم دون نهاية . لم يكن يتركني ولو بخطوة واحدة . كان يعطيني كل يوم ٥٠ كوبيكا حتى لا اكتب وانا خاوي الاحشاء .

صفعة : خليبنيكوف في موسكو . كانت عبقريته الهادئة مختفية عني وراء دافيد بورليوك . وهنا ايضا ، في موسكو ، كان يحلق كروتشنيخ يسوع الكلمة المستقبلية .

بعد عدة ليال غزلية صغنا انا ودافيد بيانا مشتركا . جمع دافيد مواده ، واعاد نسخها واعطيناه اسما مشتركا : « صفعة للذوق الاجتماعي » .

استعر جنرالات الفن غضبا وبخاصة الامير لفوف ومدير المعهد ، طالبوا بايقاف النقد والدعاية فرفضنا . قرر مجلس « الرسامين » طردنا من المعهد .

عام مرح : جبنا انحاء روسيا . اقمنا امسيات . قرانا محاضرات . كانت السلطات المحلية متاهبة . وفي نيكولايفا نصحونا الا نمس لا الرؤساء ولا بوشكين . وكثيرا ما كانت الشرطة تنقض علينا في منتصف محاضراتنا. انضم الى عصبتنا المستقبلي الاكبر فاسيا كامينسكي .

كانت هذه الفترة بالنسبة الي فترة عمل شكلي كي اتملك ناصية الكلمة . لم يأخذ الناشرون انتاجنا . كان الانف الراسمالي يشتم فينا رائحة ديناميتية . لم يشتروا مني سطرا واحدا .

ـ موسكو ١٩١٧ ـ

ترجمة د . رضوان القضماني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

★ ★ ★

قضـايـا

الاستلاب الحضاري في روايتين

محمود سليمان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بين ماكيافلي في كتابه /الامير/ السبيل للامير ليكون امبراطورا ناجحا عن طريق ضم الامارات موضحا العقبات التي تعترض طريقه ، سواء كانت الامارة المنضمة تتمتع بالحرية سابقا أم لا ، وما يقصده بالنجاح ليس ان يقدم الحاكم الامان والسعادة لرعيته بل الاستقرار لحكمه فترة طويلة ضاربا عرض الحائط كل اماني الجماهير وتطلعاتهم فهو لا يهتم بتثقيف المواطنين وتوعيتهم بل يعتبرهم « جامدين هامدين » ولا يعني ذلك أن يتمادى الامير بفعاله ليجعل من الشعب عدوا له فماكيافلي يبين ان شر الامور ذلك .

ويوضح الطرق التي يحكم بها الناس على انها طريقان ، طريق القانون وطريق القوة . وعلى الامير أن يفهم الطريقين معا . فالطريق الاولى تجعل منه نبيلا الا انها لا تكفي لتحقيق الاهداف عندها يأتي دور الطريق الثانية فالدولة عندم « وحدة ديناميكية مفتونة » تسعى لاضعاف القوي ان أمكن . او كسبه لطرفها اذا لم تستطع اضعافه . والبقاء الضعيف علـى ضعفه ليسهل قيادته اذ « ان من يسعى لتقوية غيره يحكم على نفســه بالخراب والدمار » .

واذا كانت الماكيافلية تعني « الغاية تبرر الواسطة » فان ماكيافلي لم يبحث في هذه العبارة بل عمد لوصف غايات الامير وتبيان الوسائط المناسبة لتحقيق هذه الغايات مع النظر للطبيعة الاجتماعية والسياسية التي تسيطر على البلاد مدعما شرحه بشواهد تاريخية كثيرة .

ان عهد الامبراطوريات قد مضى ولكن هل يعني ذلك انتهاء « امير ماكيافلي » فـاذا اعتبرنا الاستعمار والامبريالية الابن الاكثر شراسـة للامبراطورية نعطي لامير ماكيافلي قيمة ماثلة ومسدسا على الجانب ليصبح ناشر الخير والقتل في ارجاء المستعمرات .

لن ابين في دراستي صورة المستعمر بالاعتماد على حقائق تاريخية وانما سابحث في روايتي (البابا الاخضر) لاستورياس و (احزان النهر والغابة) لكي محمد علي عن الاستلاب الحضاري من وجهة نظر ماكيافلية ، معتبرا ان الادب اصدق وثيقة ، فهو ذاكرة الامة ولا اعني بذلك الادب التسجيلي وانما الادب عامة والرواية خاصة والتي هي تصوير لحقبة من وجهة نظر الكاتب بالاضافة لاعادة تركيب الواقع واعطاء الرؤى المستقبلية .

البابا الاخضر ــ امير ماكيافلي :

يعالج استورياس . الكاتب الغواتيمالي في رواية (البابا الاخضـر حقيقـة التدخل الامريكي في امريكا اللاتينية بشكل عـام وفي الساحل الكاريبي بشكل خاص .

كان (جوماكر تومبسون) في مدينة شيكاغو يعمل قرصانا بقارب صغير يملكه . خطر له ان يصبح زارعا للموز فصار (البابا الاخضر) ناشر الاخضرار والقتل في ارجاء ساحل الكاريبي واحد الاعضاء البارزين في شركة (تروبيكال بلانتانيرا) وصاحب الاحتكارات والاسهم الاقوى في شيكاغو .

قال المستر كاند صاحب اقوى شركة موز في الكاريبي (سنبادل الثروة بالحضارة) ومن اجل ذلك جاء هو والسيد (جوماكر تومبسون) لتعزيز الانتاج وتحويل القرى لمدن والمدن لعواصم وربطها بالسكك الحديدية والطرقات والهاتف والتلغراف ، فتنتهي العزلة والبؤس وينتهي الاهمال وتكون الحضارة ، ولكن هل الحقيقة بهذا النبل ؟..

ان امير ماكيافلي يخفي خلف وجهه النبيل حقيقته الخبيثة ، فحقيقة الامر ان :

(في شيكاغو وبكل بساطة لا يفكرون الا في هذا : استخراج الثروات ولا شيء آخر) .

ولكن ينبغي (ايهام الحكام) واقناع القوم البؤساء ان بالسكك الحديدية والمرافىء والمنشآت الزراعية والمشافي والرواتب العالية يصبحون كاهل شيكاغو ، ذلك الذي لن يحدث ابدا ...

لقد وجدت السكك الحديدية ، ولكن لنقل الموز من مزارعه للمرافىء لا لتسهيل التنقل في البلاد ، ووجدت المرافىء لتستقبل القراصنة وتجار الموز لا للمسافرين ، ووجد التلغراف ولكن لبث الوثائق الكاذبة وخلق الحرب مع الجوار .

كل ذلك ليبقى (البابا الاخضر) رجل الموز ثابت القدمين ويتحول الشعب الى عمال عنده ، بذلك كانت له الثروة ، الارض واليد العاملة ، ولكن متى يكون البديل (الحضارة) التي قال عنها المستر كاند ...؟.

يقول ماكيافلي (من السهولة بمكان عظيم الاحتفاظ بالضم – ضم المستعمرات – لا سيما اذا كانت الدولة المضمومة غير متعودة على الحرية) لذلك اختار (البابا الاخضر) نيو اورليانز ذات الحكومة العسكرية ، وبما انه غريب على البلاد مد يده لنبلائها – حاكم المرفا وام ماياري – موضحا مقاصده ولانه يحمل الحضارة انساقوا معه ليبنوا امجادا وثروات .

بعد ذلك بدأ (جو) عمله بشراء الاراضي من الزراعيين الفقراء معتمدا على الاغراء المادي . الا انهم رفضوا بيع ارضهم التي تقدم القوت اليسير لهم . انها ارضهم المليئة بالاساطير والحكايات الساحرة ، عند ذلك تراجع لغاية (الايثار العدواني) فكان القتل والرصاص .

لكن « ينبغي ابهام الحكام » فبين ان هؤلاء يقفون عقبة في طريق تقدم البلاد فهم لا يعون مصلحتهم ، وعندما لم يجد القتل كانت الوسيلة الاقوى والاجدى هي « الحرق » بسبب انتشار الاوبئة ، وتحولت البلاد لمزرعة موز خضراء واخذت الصفقات تنتقل ، وتحول سكان البلاد عمالا لنقل الموز في الساحل . واذا كان امير ماكيافلي متيقظا لكل جديد يحدث ، فان البابا الاخضر كذلك ، مات المستر ميد وزوجته ميتة غامضة وعندما نعلم من هو نعي الحقيقة ، انه صاحب مزرعة موز جعل عماله شركاء له بانشاء شركة « ميد – لوسيرو – كوجوبول – آيوك – كابتان » واذا كان القضاء على مستر ميد لا يكفي فالقضاء على شركائه يكون متما للامر ، فابعدوا الى شيكاغو بحجة تعليم ابنائهم ولتهشم الحضارة المزيفة وجوههم . الا ان « لوسير » رفض ذلك محاولا انشاء «تعاونيات انتاجية» ومن لم تستطع القضاء عليه ، عليك ان تكسب وده لذلك طلبه البابا الاخضر ليكلمه بأمور شركة « تروبيكاك بلاتانيرا » وادلاء صوته لها لا الى « الغوتاميل كومباني » ليضيع في صراع المؤسسات الاحتكارية .

وعندما تبدأ بذور المقاومة بالانتاش ويحدث الهمس بأمور البلاد بين العسكريين الشرفاء وتتدنى اسهم شركة « تروبيكال بلاتانيرا » تخلق مشكلة الحرب مع الجوار بسبب وثيقة كاذبة عن طريق توريط « بول كامامي » موظف التلغراف ، لتبدأ الاسلحة والالبسة العسكرية تتدفق على البلاد من (نيويورك) . قال الملازم أول الذي اكتشف اللعبة وحصل على الوثيقة الكاذبة « كل ذلك يبدو من صنع الشركة » فقدمها لرئيس البلاد (وصار سفير الولايات اكثر اصفرارا من قميصه عندما شرع بقراءة رسالة بول كامامي) ثم اخذت الحرب تخمد رويدا رويدا . ولكن بعد ان ارتفعت اسهم الشركة وثبتت اقدامها من جديد وعاد البابا الاخضر الرجل الاقوى .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أحزان النهر والغابة :

أ ـ ايكولوجية (بيئة) الرواية :

تدور احداث رواية (أحزان النهر والغابة) في السودان البلد العربي الافريقي وبشكل خاص في السودان الجنوبي الاكثر بدائية وافريقية من السودان الشمالي الذي يحمل حضارة الشرق والمصاب بالمطالة والتخلف الحضاري كسائر بلاد الشرق .

هل يحق لنا أن نرسم هذا الخط بين جزئي السودان الواحد ، ان حقيقة الاحداث التي تدور في الرواية تفرض هذا الخط الفاصل فالاحداث التي تدور في الشمال ليست كالتي في الجنوب وحقيقة الامر تعود لاختلاف البيئة فالعلاقة بين المستعمر ورجال الشمال علاقة صراع اما العلاقة بين المستعمر ورجال الجنوب فعلاقة استلاب . فالشماليون يفكرون بالتخلص من المستعمر والقضاء على المطالة والتخلف الحضاري .

الا أن الجنوبيين يخنعون ، واذا رفض أهل (مادنيق) علاقتها (ببيتر) الا انهم لم يفكروا بسبيل للخلاص حتى انهم رفضوا مساعدة (عبد المجيد) الشمالي ، كما أن اختلاف اللغة يلعب دورا في خلق هذا الخط الفاصل بين جزئي السودان ، فعبد المجيد لا يجد وسيلة ليفضي للسجناء بخطته في اطلاق سراحهم .

هذه النظرة الايكولوجية للرواية اردت ان اقدم بها لحقيقة تليها : الا وهي (تعبيرية الرواية) .

ب ــ تعبيرية الرواية :

ان رواية (احزان النهر والغابة) رواية تعبيرية فلكل شخص من شخصيات الرواية ولكل حدث دلالة لفكرة او لحقيقة او شيء ما ولم يعبر الروائي عن الحقائق بشخصيات جامدة بل اعتمد على الشخصيات الحية فجعلها اكثر قربا من القارىء بل اكثر صلة بالواقع مما يكسبها ثقة القارىء وقبوله لها وذلك على طريقة المسرحي الامريكي (يوجين اونيل) في مسرحه التعبيري فـ (سيبل) في مسرحية الاله الاكبر براون تمثل امنا الارض و (يانك) في (الغوريلا) يمثل العالم بل يمثلنا (انا وانت) كما قال عنه يوجين .

ان بث الحياة في شخصيات الرواية وابعادها عن النمطية والجمود كان باعطاء الجوانب المتعددة لشخوص الرواية واظهار الصراعات التي تعاني منها ، فآسيا مثلا تعاني من سلطة والدتها المحافظة ولا تملك قدرة الثورة عليها . وتعاني من صراع داخلي طرفاه (المبدأ ـــ والمتعة) فهي تحدد مبادىء تسير عليها رافضة المتع الا انها تلقي بنفسها في احضان رزوق باشا المتعبد السكير .

هذه المحاولة في الابتعاد عن النمطية جعلت بعضهم يحيد عن حقيقة الرواية ويعتبرها رواية واقعية مقسما الشخصيات لجيل جديد وجيل قديم . والمراحل: استعمار قديم تمثل بالغزو العسكري ومرحلة استعمار حديث وغزو ثقافي(*) .

ان آسيا لا يمكن اعتبارها ممثلة لجيل جديد ، فما هي الا نسخة مشوهة عن الجيل الذي سبقها الممثل بوالدها وعبد المجيد والد مادنيق ، انها تعرف الطريق ولكنها لم تملك القرار الذي امتلكه من سبقها . فكيف نصفها بالفرادة والتجدد ، بالاضافة لشعورها بالغربة في الجنوب الذي تعمل فيه كمدرسة فكل شيء يظهر انها غريبة خاصة عند زيارتها لأهل مادنيق في الغابة فكيف نعتبرها جيلا جديدا لاناس غريبة عنهم ، هذه الحقائق التي تنفي عن الرواية واقعيتها بالاضافة للحقائق المثبتة ايكولوجيا تؤكد تعبيريتها بشكل آخر .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

☆ ☆ ☆

ما ارادت أن تقوله الرواية ، الاجابة على سؤال كبير ، كيف يمكن لافريقيا البدائية ان تنهض ؟ .

فالتزاوج الحضاري مع الشرق (زواج ــ عبد المجيد من مادنيق) كانت حصيلته بنتا غريبة عن اهلها وواقعها غربة وصلت درجة الضياع اذ انها تحقد على ابنها ماتيو لانه كابيه افريقي ، فالقت نفسها بأحضان (بيتر) الذي سلبها نصارتها وجمالها والقاها جيفة تهذي وتعاني من انفصام أهزلها حتى الموت ، لم تكن غريبة فقط بل فاقدة لانتمائها فهي (عائشة

(*) للزميل عبد الحميد كنجو .. دراسة حول ذات الرواية نشرت في جريدة تشرين . نستشف منها اعتباره للرواية واقعية من خلال سرده وتحليله لها .

بنت عبد المجيد الشمالي) الذي يحمل حضارة الشرق ، و (لورا) معشوقة الاوربي (بيتر) وبذلك عندما اقتربت المنية من والدها قال لامها : (اسمعي يا مادنيق اذا كان لا بد أن تغير عائشة اسمها فليكن الاختيار الجديد اسما افريقيا قويا كدقات الطبول راسخا كأشجار الغابة . .) فكان لها اسم امها (مادنيق) الا انها حصيلة خطأ لا يمكن تصحيحه بذلك فكل محاولات صديقتها آسيا الشمالية لم تثمر فتوجهت آسيا لماثيو الذي لم تمتد له يد التشويه وصنعت له ابقارا من طين وحظيرة .

حضارة الغرب ماكيافلية تخفي خلف نبلها خبث المستلب فكل علاقة معها لا تزيد الامر الا تعقيدا وعلاقة (بيتر ـ مادنيق) خير دليل على ذلك والتي كانت نتيجتها فصام مادنيق .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الصراع الحضاري :

رافق الصراع الإنساني الفكر الادبي منذ القدم فأسطورة (الخليقة) السومرية تبين ان بالصراع تم الخلق وفي ملحمة (جلجامش) صراع جلجامش مع انكيدو يحوله عن طريق الشر والظلم لطريق الخير وبناء الوطن .

اما في رواية (احزان النهر والغابة) فالصراع حضاري بين حضارة الغرب الشابة والنشيطة بوجهها الشرس وحضارة المشرق المتخلفة بوجهها الانساني . يبدو هذا الصراع في منطقتين بشكل واضح :

آ ـ صراع ـ عبد المجيد ـ روبنسون :

عبد المجيد الذي يحاول ان يفك أسر المسجونين ويطلق سراحهم وروبنسون الذي يريد لهم ان يظلوا عبيدا ، الا ان روبنسون الماكيافلي استطاع ان يقترب منهم ويبين لهم ان عبد المجيد يريد استغلال قواهم ويدفع احدهم لقتله ثم بعد ذلك إرضاء للعدالة المزيفة .

ب ـ صراع آسيا ـ بيتر :

مدت آسيا يدها لمادنيق لتريها طريق الصواب محاولة اعادة ما فقدته من ارتباطها بواقعها واهلها وانتشالها من احضان بيتر الذي يسلبها خيرها وجمالها الفينوسي مذكرة اياها بوالدها عبد المجيد الذي قتل برصاص اسلاف بيتر (روبنسون) الا ان بيتر كان يحدثها عن الحضارة عن برج ايفل وتمثال الحرية ، بذلك رفضت اهلها وقررت السفر معه لترى كل هذه المنارات وعندما تفقد جمالها ونضارتها ـ الثروة يعرض عنها وكأن لم يكن ، تماما كما قال المستر كاند في رواية (البابا الاخضر) (سنبادل الثروة بالحضارة) ولكن حقيقة الامر الثروة فقط وغير ذلك لن يكون .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لقد بدا الصراع غير متكافىء، انه صراع قوي وضعيف في زمن لا يعرف الا القوة كما يقول داروين (البقاء للأفضل) ـ الاقوى ـ بذلك ينحسم الصراع لصالح الاقوى .

اما علاقة (بيتر ـ روبنسون) مع (مادنيق ، واهلها) الافريقيين البداة فهي علاقة استلاب حضاري وليست صراعا . هذا الاستلاب الذي دفعت ثمنه مادنيق ـ افريقيا ، نضارتها ـ الثروة ودفع ثمنه السجناء حريتهم ، تماما كما هي العلاقة بين (البابا الاخضر) والهنود الحمر

الخلاسيين في رواية (البابا الاخضر) والتي دفعوا ثمنها (الارض) وتحولوا لعبيد يعملون بنقل الموز .

★ ★ ★

في مئة عام من العزلة تناول ماركيز قضية الغزو الامبريالي للساحل الكاريبي بفك عزلة (ماكوندو) بعد اعوام طويلة وتحولها لمزرعة موز عن طريق واقع اسطوري وخرافي قريب جدا من واقع الكاريبي المليء بالسحر والحلم الا ان استورياس في رواية (البابا الاخضر) عالج القضية بشكل مباشر عن طريق العلاقات السياسية للحكومات والشركات الاحتكارية فبدت الرواية وكأنها وثائق مجمعة وان اعتماده على اللغة الساحرة لا يعني اقترابه للواقع الساحر بل اتجاهه نحو اللغة الشعرية الحالمة البعيدة جدا عن لغة الرواية المحدودة والخالية من الحلم ويبدو الامر واضحا عند وصفه لمشهد زواج مایاري الخلاسية الاسطوري من النهر .

وكما اعتمد استورياس في (البابا الاخضر) على شخصية محورية ، شخصية البابا الاخضر تدور كل العلاقات في الرواية حول هذه الشخصية المحورية ، الا ان مكي محمد علي في رواية (احزان النهر والغابة) لم يعتمد ذلك بل اعطى لكل شخصية دورها وحريتهـا في علاقتها دون تحجيم تصرفات كل شخصية بأفق شخصية محورية فاقتربت الرواية من الملحمية والاسطورية وبدت اكثر اقترابا من الواقع البدائي .

★ ★ ★

واذا كان ماكيافلي قد بين السبيل لأميره كي لا يصطدم بالشعب ، فالشعب ذاته سوف يحاول الاصطدام به عندما تمس حقوقه .

واذا ألقت مادنيق في (احزان النهر والغابة) نفسها في احضان بيتر فان (مايارى) في (البابا الاخضر) رفضت زواجهـا من البابا الاخضر وهربت الى الفلاحين الفقراء ، لبث الوعي فيهم . ثم تزوجت النهر ـ الوطن بدلا من البابا الاخضر بمشهد اسطوري رائـع لتكون اول قربان للثـورة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المراجـع :

١ ـ (الامير) لنيقولا ماكيافلي ـ منشورات المكتب التجاري ببيروت ـ الطبعة الثانية .

٢ ـ (البابا الاخضر) لميدفيل استورياس ـ (دار التنوير ١٩٨٠) .

٣ ـ (احزان النهر والغابة) لمكي محمد علي ـ منشورات المنشاة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان والمطابع (١٩٨١) .

متابعات

المثقفون والهزيمة

الصاعد هاشم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لاشك في ان الهزيمة التي لحقت بالامة العربية من جراء العدوان الصهيوني على الشعبين اللبناني والفلسطيني، جدير بها ان تدعو المثقفين العرب والكتاب منهم بخاصة، الى مراجعة افكارهم واعادة تقييم دورهم في مسيرة النضال العربي ضد الاستعمار والصهيونية والرجعية والتخلف ..؟

.. كيف ترون الى الثقافة العربية الجديدة والى الدور الذي ينبغي ان تضطلع به للاسهام في الخروج من الهزيمة، وتجنيب الجيل العربي القادم اليأس والاستسلام ؟!)

... حول هذا السؤال استفتت الاداب /ستة وثلاثين/ ، اديبا ومثقفا عربيا في عددها الصادر مؤخرا عن الاشهر الثلاثة الاولى من هذه السنة [كانون ثاني ، شباط وآذار] وفي هذا الاستفتاء تكلم المستفتون عن الثقافة مابعد بيروت وعن بيروت مابعد بيروت ، تكلموا عن الحرب والثقافة ، عن الهزيمة والمثقفين ..؟!

ويبدو ان الاداب معنية اكثر من غيرها بمثل هذه المواضيع ، حيث قرانا قديما استفتاءات مشابهة : ابتداء من عام ١٩٦٤ عندما خصصت عددا عن فلسطين ومرورا بنكسة عام ١٩٦٧ وايلول ١٩٧٠ وما بعد حرب تشرين ١٩٧٣ ، ثم وانتهاء بهذا الاستفتاء الكبير « المثقفون والهزيمة » والاداب غنية عن التعريف فهي من المجلات القليلة التي تتماشى مع روح العصر في سبيل ثقافة وطنية وجادة .. دائما في الصدارة تتبع وترصد بعين ثاقبة اهم قضايا الساعة الثقافية/ الفكرية معبرة بذلك عن تطلعات المثقف والمفكر العربي المعاصر ..؟

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

لكننا نخاف من ان تتحول هذه المجلة الى منبر لرصد الهزائم المتوالية على وطننا العربي والتي يبدو انها لم تبدا بعد ..؟!

.. يأتي هذا العدد ما بعد مرحلة بيروت ، لكننا نرى اختلافا واضحا مابين الاستفتاءات السابقة وهذا الاستفتاء ان كان من حيث النوع والكم للادباء وطبيعة الدراسات الفكرية / الثقافية ، فهذا الاستفتاء الذي يضم بين دفتيه ستة وثلاثين اسما ليس بالامر البسيط ولا هو من باب الكتابة فقط وانما لكونه يناقش مسالة من اهم واخطر المسائل في مرحلة من اعقد واصعب المراحل في التاريخ العربي المعاصر ، مرحلة الهزيمة وما بعدها ومايمكن للمثقف العربي ان يفعل وكيف سيقوم بمهامه كمثقف عربي وكيف سيكون دوره في محاولة الاسهام للخروج من هذه الهزيمة..؟!

لكن ماذا حقق المساهمون .. ماذا تكلموا .. ماهي البدائل التي طرحوها او وضعوها للخروج من هذه المحنة العصيبة التي يمر بها هذا الوطن المترامي الاطراف ..؟

.. في هذا الاستفتاء الكثير من الاسئلة ، الكثير من الاجوبة الكثير من الآراء التي تضعنا وجها لوجه امام الحقائق الكبيرة المتعلقة بمصيرنا العربي في زمن تشتد فيه الهجمة الامبريالية الشرسة . والمتمثلة بالحركة الصهيونية وبالرجعيات العربية المتخاذلة / المستسلمة وهذا ماحصدناه فعلا في الاتفاق اللبناني / الاسرائيلي مؤخرا والحبل على الجرار ..؟!

.. وبعد فان هذه المقالات / الاطروحات الـ ٣٦ ــ تلقي مزيدا من الضوء حول مسألة / وقضايا شائكة هي اهم القضايا التي تواجهالمثقف العربي والفرد العربي ايا كان موقعه ومسؤوليته ، بل وتواجه حركات التحرر العربية على اختلاف انواعها ومراكزها / او تواجدها لافرق ..؟ بحيث يجمع المثقفون على اختلاف اتجاهاتهم السياسية / الادبية وعلى اختلاف مواقعهم لها كفعاليات على الاشارة الى الواقع المتردي الذي وصلت اليه الحال . ويدلون على غياب الوعي او تغييب الوعي بالاصح ، اضافة الى الهاجس الاكبر الذي يسيطر على كل شيء وهو غياب الديمقراطية بل انعدامها كليا ..؟! وبأن من الاسباب التي ادت الى مثل هذه الكارثة / المجزرة / الحصار .. الهزيمة ومالست ادري هو في عدم وجود ولو هامش صغير يستطاع من خلاله التحرك بوعي وبحرية ، في هذا الواقع القمعي المنتشر والمتزايد باستمرار مضافا الى ذلك غياب وتغييب (ايضا) حركات التحرر الوطني عن مهامها وعن تأدية دورها في هذه الرقعة او تلك في هذا الزمان او ذاك ..؟! ونقول بأن اهم مايميز الاستفتاء هو محاولة النقد الذاتي البناء لتجاوز اخطاء الماضي في سبيل صياغة المستقبل ..؟ ثم الاجماع ايضا على تحديد النقاط الرئيسية التي

يتمفصل حولها الصراع الدائر في اي عمل كان الا وهو [غياب الديمقراطية هذا العصب الحساس ، وهذا الشريان الذي يضخ الدم باتجاه القلب وبانعدام ذلك لايمكن لاي قلب ان يعمل ، بل سيتوقف عن الخفقان اضافة الى سيطرة النفط على مقدرات الامور وبالتالي التلاعب بمصير الملايين من الشعوب المظلومة على امرها والمستسلمة ..؟!

.. الكل يجمع على ازدياد الواقع القمعي او انظمة البسطار المخيم فوق الرؤوس في معظم انظمة البترو دولار العربية . لكن نتساءل ..؟ اليس المثقف العربي معنيا بذلك ايضا ..؟ اليس مسؤولا الى حد ــ ما ــ عن غياب الديمقراطية وعن ازدياد شدة القمع وعن ازدياد عدم الوعي / الجماهيري وغياب هذا وحضور ذاك ..؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أجل وبكل بساطة ..! فالمثقف العربي هو ضلع وهو نقطة في دائرة ، هو حلقة في سلسلة طويلة يستطيع ان يساعد على احكام اغلاق الدائرة/ والسلسلة ..؟ ويستطيع ايضا بالتالي فك ذلك الطوق الحديدي وكسر تلك القوالب الجامدة ؟ رغم انعدام اي هامش للممارسة الفعلية في ظل غياب الممارسات الديمقراطية .؟! وفي اي قراءة سريعة لما كتب في هذا الاستفتاء ، نستطيع ان نستخلص ذلك ونستطيع ان نصل الى لب المشكلة القائمة والى طبيعة الصراع الدائر في المنطقة ككل ، وان اهم ما يلفت النظر ويسترعي الوقوف ولو للحظة بأكثر من محطة ، وباكثر من وقفة هو طبيعة الاراء التي قيلت وتقال بحيث نرى اجماعا واضحا (مع اختلاف وجهات النظر تلك] ... الكل يقول والكل يطلب المحاسبة ، والكل يتألم مما آلت اليه الحال ويضع اللوم على الاخرين وكأنه غير معني بذلك ، فقط يترك الادباء والمثقفون اقلامهم تصول وتجول والبعض يشحذ افكاره وخيالاته ويترك لها العنان لتدين وتشرح ، وتعري ؟ اما هم (المثقفون) فليسوا مسؤولين عما حدث وانما تقع مسؤولية ماحدث ويحدث وماسيحدث ..

على الاخرين على هؤلاء المتنفذين من اصحاب القرارات السياسيـــة المتنوعة والمتناثرة على طول خارطة الوطن العربي الذي يتألم ويئن من الجراح التي اقعدته ولا من محرك قيد شعرة ..؟!!

نقول هذا لان البعض من المساهمين في الاستفتاء لايزالون يرزحون تحت سلطة الكتابة والمؤســـاتية بكافــة انواعها ؟ ولان بعضهم الاخــر مستزلم لهذا او لذاك ..؟! ونقول ايضا هل يحق لمن يكون كذلك ان يشكك في احد..وهل يتألم مثلما يتألم الاخرون وهو السيد في البلاط والمتنفذ في بعض القرارات الثقافية ..؟! لكن هذا لا يمنع من الاشــارة والشهادة بجدارة لبعض الاقلام ولبعض اصحاب الضمائر الذين لايزالون يمارسون ادوارهم بشكل منطقي وعلمي مدروس في مواجهــة التحديات والعوائق التي تقف في وجوههم في كل مكان وزمان ..؟!

وبعد فهذا الاستفتاء هو بحق شهادة حقيقية وصك اعتراف واتهام بالوقت نفســه لما يجري رغم تضاد الافكار وتناقضها عند البعض ورغم انهم (المســاهمون) يمثلون اكثر من جيل هزيمة واحدة بل يمثلون جيل هزائم متكررة وبالتالي فهم جيل مهزوم ، ولنعترف باننا جيل مهزوم من الداخل والخارج ونتســاءل ماذا يمكن لجيل مهزوم ان يفعل وما مدى حجم فعله ومشــاركته الفعل ،خاصة اذا تساءلنا ايضا .ترى هل انتهت هزيمة بيروت وهل انتهت مرحلة بيروت ام انها لم تبتدىء ايضا ..؟

ولكن هل يقف المثقفون والمفكرون مكتوفي الايدي تجاه ماحصل وتجاه ماسوف يحصل ..؟!

.. وهل سيبقى المثقف العربي طيلة حياته ، يئن ويتألم ..؟ ام ان جديدا ـ ما ـ سيأتي ..؟ هذا السؤال موجه ومطروح على بساط البحث لكل من يعنيهم الامر ..؟؟!!

اذا يجب المحافظة على الذات من السقوط ومن الانهيار التام والجزئي ..؟

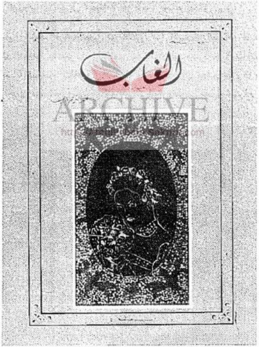
ونستطيع القول بأن هذا الاستفتاء وهذه الكتابات هي تعبير حقيقي عن واقع لازلنا نعيشه رغم كل شيء .. ولازلنا نتنفس فيه هواء نقيا رغم كل شيء ايضا ولكن لن تكون مرحلة بيروت ومابعدها سوى حافز للعمل الدؤوب في سبيل استعادة جزء مما يضيع بشكل يومي ..؟!

اخيرا نلحظ غياب بعض او الكثير من الاسماء الهامة والمبدعة في مجالات الثقافة والفكر ...؟ المهم تبقى الاداب منبرا حرا تناقش فيه اهم قضايا الساحة الثقافية / الفكرية وكلنا امل بأن تحذو حذوها مجلات عربية اخرى لتساعد في وضع النقاط على الحروف .. مجرد اقتراح ..؟؟!

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

☆ ☆ ☆

صدر حديثاً عن وزارة الثقافة والإرشاد القومي



ARCHIVE